

فى واحه العلم والأءب

# للحق والنهضة والجمال



فى الأءب والترىبة والثقافة

بقلم

عبء اللطىف الءوهرى

الناشر

مكئبة وهىبة

ء اءارع الءهورة. عابىن

القاهرة- ءلفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

---

حقوق الطبع محفوظة

---

# إهداء

إلى أديب العربية الكبير والرائد

التربوي القدير السيد

**الأستاذ محسن أحمد باروم**

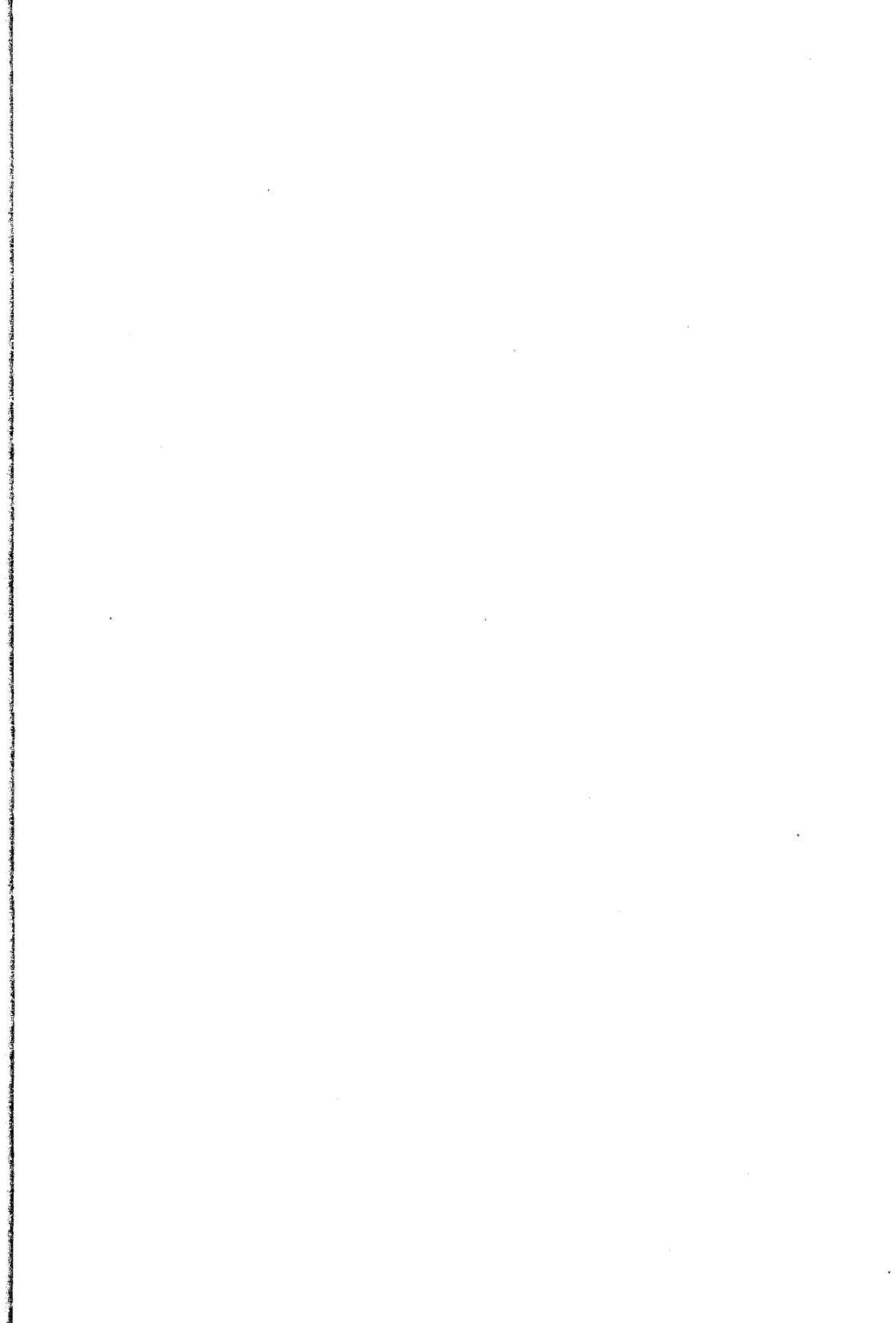
مع أسمى آيات الإعزاز والتقدير والعرفان

لأياديه البيضاء على النهضة العلمية

والتعليمية والإعلامية المعاصرة ...

المؤلف

**عبد اللطيف الجوهرى**



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى محمد بن عبد الله أمير الأنبياء وإمام المرسلين وخاتم رسل الله أجمعين، اللهم صلّ عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار ومن تبعهم بإحسان من التابعين وتابعي التابعين وتابعيهم الأخيار إلى يوم الدين.

أما بعد ...

● فهذا الكتاب الجديد سياحة عقل وقلب في حدائق من الكتب والقصائد في أدب الطموح والحب والإيمان وثقافة النهضة والأمل والتوحيد، وهو كتاب يحتفى بقيم الثقافة العربية الإسلامية الخالدة ويُعلى قيمة العبقريّة والنبوغ ويمجد ثقافة الاتحاد والوحدة، كما يحتفى بقصائد الشعر العربي الخالد في قصائده الإيمانية الإنسانية البديعة في مواجهة أدب القبح والعبث والتبعية وعولمة الهيمنة والاحتواء.

● وقد أسميته (للحق والنهضة والجمال)، وهو قراءة أدبية وفكرية في باقّة من كتب الثقافة الرشيدة وقصائد الشعر المجيدة، التي ألهمتني قضاياها وحفزتني إضاءاتها ووهج أفكارها وأريج آثارها لمعايشتها والكتابة من وحيها وفي ظلالها.

● وتنحاز دراسات هذا الكتاب لثقافة النهضة والتنوير والمشروع الحضاري العربي الإسلامي وتدعو إلى وجوب الحوار بين الوطنيين من أبناء الأمة، لمواجهة ثقافة الهيمنة والاحتواء وجنود الرّدة الحضارية والذوبان في ثقافة القويّ المستعلي وقيمه الاستهلاكية وفلسفته المادية.

● وتستوعب أبواب الكتاب الثمانية مقالات في ظلال الدرس القرآني والتعاطي الفكري للقضايا العقدية والتيارات الفكرية المعادية، فكان اللقاء في رحاب البركة وآفاقها في القرآن الكريم ونبي الله يونس عليه السلام في القرآن والتوراة ودعوته المستجابة وفضل دعاء المضطهر وفضل الصبر على البلاء، وقضايا الدستور الإسلامي وعبادة الشيطان وآفاقها في البيان القرآني والتاريخ الإنساني كما عرّضت دراسات الكتاب للشأن التربوي والنهضة العلمية والتعليمية المعاصرة، وحذرت من أخطار التعليم الأجنبي في البلاد الإسلامية، كما فتحت ملف الغزو الثقافي والاستلاب الفكري وأزمة المثقفين التغريبيين تجاه الإسلام.

● كما قدم الكتاب دراسة أدبية في نماذج من شعر الزمن الجميل للشعراء الأعلام أمثال أمير الشعر والشعراء أحمد شوقي وشاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال ونابغة الشرق الشاعر الشيخ الصاوي على شعلان وشاعر الأطباء العلامة الدكتور عمر الجارم والشاعر العربي السكندري عبد العليم القباني فضلاً عن صاحب ( البردة الفيحاء ذي القدم ) .

وقد أفردت ثامن أبواب الكتاب احتفاءً بقيمة العطاء العبقري وتكريماً للنبوغ الفردي لنماذج من أفاذا الأمة في حقل العلم والأدب والدعوة والإعلام، وفاءً لتلكم الكوكبة التي رفع الله ذكرها في العالمين وأعطت لأمتها والإنسانية بأسرها عطاء العبقريين المحسنين الماجدين، ومن هؤلاء : العلامة الدكتور حسين مجيب المصري والبرفسور نصر الله مبشر الطرازي والعلامة الحكيم الدكتور محمد إقبال والعلامة الفقيه والزعيم التركستاني الشيخ مبشر الطرازي الحسيني والمجاهد الشهيد عمر المختار وصاحب ( الاعتصام ) الشيخ أحمد عيسى عاشور وصاحب دار تبليغ الإسلام المهندس الداعية محمد توفيق بن أحمد سعد وعميد سفراء الحضارة الإسلامية في أوروبا لسبعين عاماً العلامة الدكتور زكي علي ورائد طب الأعصاب في مصر والعالم العربي الشاعر الدكتور عمر الجارم وغيرهم .

● وقد جاءت مادة هذا الكتاب في ثمانية أبواب ومقدمة وخاتمة. تتابعت في دراسات حررتها ونشرتها في الصحف والمجلات (\*) على مدى نحو خمس سنوات بداية من شهر رمضان ١٤١٤ هـ (فبراير ١٩٩٤ م) إلى شهر ربيع الأول ١٤٢٠ هـ (يوليو ١٩٩٩ م).

● وإني لأرجو أن يأتي هذا الكتاب إضافة ملموسة في دعم أدب القوة والطموح والحب والإيمان، ومساهمة متواضعة في التحصين الثقافي والبناء التربوي الواعد لنهضتنا المتطورة وطموحنا المشروع في حياة العزة وعزة الحياة.

● وإني لأشكر لرموز الأمة من العلماء والكتاب والدعاة الذين استلهمت من وحي أفكارهم وكتاباتهم وأشعارهم وإبداعاتهم مادة هذا الكتاب، كما أشكر لكل من احتفى بهذا الكتاب طباعة ونشراً وإخراجاً وتوزيعاً وكل من تقبله بقبول حسن من القارئ والكاتبين والإعلاميين من المحبين لأدب الكمال وكمال الأدب، وأنصار الفنون الجميلة والمثل العليا وحياة الإيمان والجمال والكمال والإتقان والتوحيد.

● ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، يا نعم المولى ويا نعم النصير.

المؤلف

**عبد اللطيف كمال الجوهري**

جناكليس - الإسكندرية

فجر الأربعاء  
هـ ١٤٢٠ / ٤ / ٢٩  
م ١٩٩٩ / ٨ / ١١

---

(\*) نُشرت تلك الدراسات في صحف (أخبار الخليج) و(الأيام) البحرينيتين و(المدينة) و(البلاد) السعوديتين و(الأخبار) القاهرية و(منار الإسلام) المجلة الظبانية الإماراتية.



## فى ظلال البحوث القرآنية

- البركة فى القرآن الكريم .
- نبى الله يونس فى القرآن والتوراة .
- والشيخ الدكتور محمد أحمد طه على .



## الفصل الأول في رحاب البركة

● لم يزل القرآن الكريم المورد العذب لعشاق حياة الكمال وكمال الحياة، ولكل الباحثين من قيم الصفاء والحب والخير والحق والجمال، ويبقى هذا الكتاب الخالد معيناً فياضاً بالحكمة الربانية والذكر الحكيم وأحسن القصص بصافي البيان وبديع التصوير والتعبير، وما أجمل ما وصفه به رسول الله ﷺ في حديثه المروي عن الإمام علي كرم الله وجهه حيث قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها ستكون فتن، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: «إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد» من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم» (رواه الترمذى والدارمى).

● وكلمة البركة في صورها ومشتقاتها المتنوعة من أطف الألفاظ المتكررة في الأوساط المؤمنة وأكثرها تردداً على الألسنة في المجتمعات الإسلامية؛ لما استقر من مدلولاتها من معاني البر والخير والنفع والفضل، فتتردد عبارات من مثل الدعوات بالبركة كقولهم: «بارك الله عليك» و«بارك الله فيك ولك»، و«رحمة الله وبركاته» و«عيدكم مبارك» وقولهم في التهنة بقدم شهر رمضان: «مبارك عليكم الشهر» وفي كتاب الله العزيز والتنزيل الكريم تصافح عيوننا وتشنف آذاننا آيات القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١] ومثل قوله

تعالى على لسان سيدنا عيسى بن مريم: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٢] وفي وصفه - سبحانه وتعالى - القرآن الكريم يقول عز وجل: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]

● وكشده ما يستوقفنا في مفردات البركة، ويملؤنا خشوعاً ورهبةً وإجلالاً للمولى - عز وجل - لفظ (تبارك) في مواضع مختلفة من التعبيرات البلاغية القرآنية من مثل قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١]، وفي سياق إخباره - عز وجل - عن معجزة خلق الإنسان وإعجاز القدرة وتفصيل مراحل إبداع الخلق بالصورة التي لم يتوصل إليها علماء الطب إلا في السنوات المتأخرة، مما جعلهم يحنون رؤوسهم خشوعاً وإجلالاً للخالق العظيم مصدقين بالتنزيل الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَرْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤]، ثم يأتي قوله تعالى في صدر سورة (الملك): ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١].

● إن مدلول (البركة) في حياة الإنسان المؤمن وأثره في بناء المجتمع الإيماني جليل وكبير، حيث يعلو شأن الإنسان وتسمو إنسانيته وتفيض حياته بالخير والطمأنينة والسلام والثراء والسعادة وحيث يتحقق في العمران البشري ما وصف به القرآن الكريم أهل سبأ ﴿ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥] وحيث تتمتع قرانا

ومدائننا بما تمتعت به القرية التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان .

– إن ذلك المدلول المميز لمعنى البركة في حياة الإنسان المؤمن وأثره المبارك في بناء المجتمع الإنساني المتحضر من المعانى التي يصعب على الإنسان المادي أو الدهري أن يدركها؛ لأنه حُرْمُ نعمة الإيمان وانطفأ نور بصيرته وأظلمت روحه فلا يلتفت إلى هذه اللطائف الإيمانية وإلا فيمَ نفسر حال رجل مكافح رقيق الحال رزقه الله البنين الصالحين المطيعين المجتهدين المتميزين في عطائهم الشخصي والدراسي، فهم ينجحون في مدارسهم ويُبزَّون أقرانهم وتكفيهم النفقة القليلة قياساً إلى غيرهم من أبناء الرجل من غير الصالحين، وقد آتاه الله بسطة في المال والجسم، لا يهتم كثيراً بالرزق الحلال والكسب المشروع، فتجد أبناءه – برغم كثرة إنفاقه عليهم – تكثر مشكلاتهم، ويتعثرون في دروسهم برغم النفقات الباهظة، ويرسبون في دراستهم وينحرفون ويعقُّون آباءهم وربما يعتدون عليهم ويفسدون في الأرض، وهذا مثل واقعي من حياتنا نلمسه ولا يجادل فيه أحد، فهل نجد تفسيراً لنجاح أبناء الأول ورشادهم وامتيازهم برغم فقر أبيهم الصالح وقلة ما له وفشل أبناء الثاني الغنى وفساد أبنائه وانحرافهم وعقوقهم برغم ثرائه ومكانته إلا بتحقيق معنى البركة للرجل الأول في أبنائه وأمواله القليلة لصالحه وتقواه وتحريره الرزق الحلال في سعيه وأمور معاشه بينما حرم الثاني فيض البركة في الأموال والأولاد؟؟؟!

● إن تتبع الجذر اللغوي لكلمة البركة في المعاجم اللغوية يُبين لنا أنه يدور حول الثبوت والاستقرار والدوام والزيادة والنماء، ومن ذلك برك الجمل أو أبركه فبرك، وإن كانت العرب تقول: أناخه فاستناخ، ومنه البركة (بتسكين الراء) مستودع الماء الراكد الثابت المستقر، والبركة (بتحريك الراء بالفتح مع الباء) بمعنى الزيادة والنماء ومنها التبريك أو الدعاء بالبركة . يقول صاحب (مختار الصحاح): «(بَرَكَ) البعير من باب (دَخَلَ) أى استناخ و(أبركه) صاحبة فَبَرَكَ،

وهو قليل والأكثر (أناخه فاستناخ)، و(البركة) بكسر الباء وسكون الراء كالحوض والجمع (البرك). قيل سُميتُ بذلك لإقامة الماء فيها وكل شئ ثبت وأقام فقد (برك)، و(البركة) النماء والزيادة و(التبريك) الدعاء بالبركة، ويقال (بارك) الله لك وفيك وعليك وباركك وتبرك به تيمن به.

● وفي هذا السياق وبالبحث الفضفاض وبتوفيق الله وفيوضاته على الباحث الداعية المبارك الدكتور محمد أحمد طه نستعرض سفره القيم «البركة في القرآن» الذي صال فيه وجال في معنى البركة وصورها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بأسلوب الأديب الباحث، واستقصاء العالم المدقق في حيدته وأمانته.

\* \* \*

## الفصل الثاني البركة في القرآن

● إن متابعة بحث معنى البركة في القرآن الكريم يلفت إلى إعجاز القرآن الكريم وثراء معانيه، ويستغرق الباحث في آفاقه الفسيحة وأنواره الربانية، ويفيض عليه المولى عز وجل بفتوحاته النورانية، ويكشف له من أسرار التنزيل ما يفيض به على عباده الصالحين، ولا أظن صاحب (البركة في القرآن) إلا واحداً من هؤلاء وقد متعه الله بسلب حبيبته فصبراً ورضياً، وتعرض لحادث سيارة فيما كان عائداً إلى الإسكندرية فأقعده تماماً فصبر ورضى وله الرضا إن شاء الله تعالى، وبرغم ذلك نجد داعيتنا الدكتور محمد أحمد طه يواصل نشر العلم في الناس والخطابة فيهم جالسا على مقعده المتحرك، وينشط لفعل الخيرات، ويخف للدعوة إلى الله وتقريب المساكين والإحسان إلى الفقراء فضلا على رعايته لطلاب الدراسات العليا في كلية أصول الدين ومتابعة القراءة والدرس في مختلف العلوم وبخاصة علوم القرآن مجال تخصصه، ولذا فنحن أمام كتاب (البركة في القرآن) أمام كتاب مبارك لرجل مبارك لقارئ مبارك إن شاء الله تعالى.

● وعندما نعيش المؤلف الكريم في هذا السفر الجامع لمعنى البركة ومواضعها في القرآن الكريم لا نملك إلا أن نردد قوله تعالى في خواتيم سورة الكهف: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلَّمَاتُ رَبِّي لَفَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]

— وها نحن أولاء نسبح مع المؤلف في بحار البركات القرآنية، وأول ما يشدك في هذه السباحة الإيمانية في رحاب البركة أنك في صُحبة نوحدة أو ربان ماهر وداعية عابد، يقودنا في محيطات البركة، وقد تزود بكل ما يلزم السباح الماهر والربان الخبير والبستاني الذواقة لكل ما هو طيب وجميل، حيث تعايشه مستمتعا بأطياب ثماره المختلفة مقبلاً على مادبه في لهفة وشوق، وها هو ذا

يفتح سفره القيم بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦] وفي مقدمة موجزة يحمد الله ويصلي على النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، متحدثاً عن فضل الكتاب العزيز وتدبر آياته واصفاً القرآن الكريم بأنه: « بحرٌ زاخرٌ بعيدٌ غوره لا ينتهي فيضه، مترامى الأطراف، جمع الله فيه من اللآلئ الثمينة والكنوز النفيسة ما لا يعلمه إلا هو، والعلماء على اختلاف مشاربهم ييممون وجوههم شطر ذلك البحر، ينهلون منه، ويستخرجون من لآئمه، ويكتشفون من كنوزه كل حسب تخصصه » (البركة في القرآن ص ٥، ٦).

● ويتقصى شيخنا الحليل مواضع البركة ومشتقاتها في القرآن الكريم ويحصرها في اثنتين وثلاثين آية من القرآن الكريم وفي محيطها يدور هذا البحث القيم، الذي أخرج للمكتبة العربية في سفرٍ جليل، يُضيف إليها إضافة مشكورة ومفيدة في مجال الدرس القرآني الثري، ويُعالج المؤلف مادة بحثه في تمهيد وخمسة أبواب وخاتمة.

— وفي التمهيد يبسط معنى البركة وأقسامها وينتهي إلى دوران المعنى اللغوي للبركة على مدلولين يتفقان في الجذر اللغوي وهو مادة ( برك ) أولهما يعني الثبوت والاستقرار والدوام ومنه برك البعير و( البركة ) بكسر الباء وسكون الراء، وثانيهما: النماء والزيادة والخير المتنامي، وينقل عن الفيروز أبادي قوله في تفسير معنى ( البركة ) بفتح الباء والراء حيث قال صاحب ( القاموس ): « البركة معناها ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمادة موضوعة للزوم والثبوت، وسُمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في ( البركة ) [بتسكين الراء وكسر الباء] والمبارك ما فيه ذلك الخير ».

— ويقسم الباحث الكريم البركة إلى قسمين رئيسيين. أولهما بركة حسية وتكون في الأمور المادية كزيادة الأموال وكثرة الذرية وقوة الأبدان، وثانيهما: في

الأمور المعنوية كتنقوى الإنسان وصلاحه وكثرة علمه وقوة عقله وبلاغه لسانه  
وجمال بيانه وغير ذلك من الخيرات الربانية .

● ويصحبنا الكاتب الداعية إلى أصل البركة ومصدرها في الباب الأول  
فيرشدنا إلى الله تبارك وتعالى المنعم بالبركة، وهو جل جلاله أصل الكمالات  
كلها ومنبع الخيرات جميعاً، فكمالاته لا نهاية لها وخيراته لا حد لها؛ ولذا يأتي  
لفظ ( تبارك ) مسنداً إلى الله لفظ الجلالة في تأكيد اتصافه سبحانه وتعالى  
بالكمال المطلق والقدرة المقتدرة والتفضل بالخيرات التي لا تعد ولا تحصى والتفرد  
بالملك والعظمة والكبرياء، وهكذا يأخذ الباحث المبارك بأيدينا إلى مواضع ورود  
لفظ ( تبارك ) التسعة في القرآن الكريم، وينقل عن المفسرين تفسيرهم لفظ  
( تبارك ) في السياق القرآني فيقول: « يقول الضحاك : معنى تبارك : تعظيم،  
وقال الحسن : معناه : تزايد خيره وعطاؤه وتكاثره، يقول تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي  
جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [ الفرقان : ٦١ ]

– ويخبر شيخنا الباحث عن رسول الله ﷺ ثناءه على ربه تبارك وتعالى  
آناء الليل وأطراف النهار، ومن قوله صلوات الله وسلامه عليه في ختام الصلاة :  
« اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام » ويخبر  
عن الفاروق عمر رضی الله عنه أنه كان يقول في افتتاح الصلاة : « سبحانك اللهم  
وبحمدك وتبارك اسمك ولا إله غيرك »، ويخلص الكاتب الباحث في تفسيره  
لفظ تبارك في القرآن الكريم بقوله : « وفي التعبير بقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ﴾ إشعار  
بكثرة ما يفيضه – سبحانه – من خيرات وبركات على عباده وأن هذا العطاء  
ثابت مستقر وذلك يستلزم عظمته وتقده عن كل مالا يليق بجلاله – عز  
وجل – » ( البركة في القرآن – ص ٣٤ ) .

● وبعد أن عرفنا الكاتب بمصدر البركة المتفضل المنعم بكل الخيرات والنعم  
التي لا تعد ولا تحصى سبحانه وتعالى – انتقل بنا في الباب الثاني إلى أعظم  
البركات إلى القرآن الكريم نعمة الله العظمى على بنى الإنسان، وعالج مادته في  
ثلاثة فصول : الأول : عن البركات القرآنية الذاتية والثاني عن بركات القرآن

( ٢ – للحق والنهضة والجمال )

الدينية. والثالث عن بركات القرآن الديوية، وقد صح عن رسول الله ﷺ قوله « من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن » وأيضاً قوله ﷺ: « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه » (رواه الحاكم).

– دعا الملك الأفغانى نادرخان شاعر الإسلام وحكيم الأمة الدكتور محمد إقبال لزيارة كابل ونزل ضيفاً عليه، فأهداه إقبال نسخة من القرآن الكريم وقدمها إليه قائلاً: إن هذا الكتاب رأس مال أهل الحق، فى ضميره الحياة، وفيه نهاية كل بداية، وبقوته كان على فاتح خيبر، فبكى الملك نادرخان وقال: « لقد أتى على نادرخان زمان وماله أنيس سوى القرآن، وهو الذى فتحت قوته كل باب » (مع إقبال – شاعر الوحدة الإسلامية – للمؤلف ص ٣٠).

● ويعرج بنا المؤلف إلى باب آخر من أبواب بستان البركة فى القرآن الكريم ألا وهو باب (بركة المكان) ويُعالج مادة الباب فى خمسة فصول تدور حول البركة العامة التى حبا بها الله الأرض ثم بركة البيت الحرام ومكة المكرمة ثم بركة المدينة المنورة ومسجده ﷺ وبركة الشام والمسجد الأقصى وبركة مصر، مفصلاً المواضع القرآنية فى ذلك مدلاً بالأسانيد القرآنية والنبوية والتاريخية والعلمية على ما ذهب لشرحه فى إطناب بديع ينم عن ثقافة واسعة تزود بها كاتبنا العالم الجليل فى مجال التاريخ وعلم الحياة فضلاً عن علوم القرآن واللغة العربية وآدابها.

– وفى الباب الرابع عرض المؤلف لبركة الزمان فى ثلاثة فصول، الأول منها فى بركات الشهور والثانى فى بركات الليالى، والثالث فى بركات الأيام، ونراه فى أسلوب العالم الداعية يطوف بنا فى مواضع البركة الزمانية فى مثل شهر رمضان وليلة القدر وأيام البركة مثل يوم الجمعة ويوم عرفات والعشر الأواخر من رمضان، ذلك من بركات الزمان التى عناها المصطفى ﷺ فى قوله: « إن لله فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها، فإن الشقى من حرم فيها الأجر والثواب ».

– وفى الباب الخامس يسهب الشيخ الباحث فى شرح البركة فى الناس؛ لأن فيه هدف الدراسة وثمره البركة فيبسط القول فيه عن الإيمان والتقوى وأثرها

في حياة الناس ويخلص إلى أن البركة ثمرة المحبة والإيمان والتقوى ويختتم هذا الباب بنماذج من الأنبياء الذين باركهم الله فكانوا نماذج مباركة للمصطفين الأخيار ومن البشر المباركين كسيدنا نوح أبي البشر الثاني وأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وكليم الله موسى ونبي الله عيسى كلمة الله ونبينا سيد الأنام أمير الأنبياء، وإمام المرسلين، وبنه من خلال ذلك كله إلى سنن الله - عز وجل - في خلقه وينعى على مسلمي اليوم حالهم مُعللاً تدهور أحوالهم بقوله - بارك الله عليه: «إن مسلمي اليوم يشكون من ضيق الأرزاق وضحك في العيش وجذب في الأرض وقحط من السماء، يشكون من زلازل تدمر بيوتهم وفياضانات تخرب بلادهم وجراد يرسل عليهم فيفتك بمحاصيلهم وأمراض لم تكن نسمع عنها من قبل وأوجاع انتشرت بينهم وغير ذلك من الآفات الظاهرة وغير الظاهرة مما نسمع عنه في الإذاعات ونقرأ عنه في الصحف يومياً، إنما حدث هذا لبعثنا عن الإيمان الصحيح وعن التقوى الصادقة.

لقد آمنا بكتاب الله وسنة رسوله قولاً وبندناهما عملاً وسلوكاً وخلقاً فحل بنا من صنوف البلاء ألواناً، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون» (السابق ص ٢١٧، ٢١٨).

- ثم يدل على مذهبه ذلك بقول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]

● وحفظ البركة كما يؤكد الكاتب الكريم يكون بالبعد عن المعاصي ومجانبة الشهوات والاستقامة على الجادة ولا بركة للأمة المحمدية إذا تخلت عن كتاب ربها وسنة نبيها؛ لأنهما العصمة من كل زلل وفيهما الهداية إلى كل خير وفيهما البركة التامة والنعيم المقيم والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

- جزى الله داعيتنا الباحث الكريم خير الجزاء، إذ ينورنا بما فتح الله عليه من علم وفيوضات بأسلوب العالم الداعية والمرشد المربي والأديب الشفاف وبارك الله له وعليه ونفعنا بعلمه ودعائه.

## الفصل الثالث نبي الله يونس في القرآن والتوراة

• يوقن كل مؤمن بالله تعالى ورسله الكرام عليهم صلاة الله وسلامه أن حياته العابرة في هذه الدار الدنيا سلسلة من الاختبارات والابتلاءات المتتابعة، وتلك الابتلاءات تكون بالشر وبالخير كذلك، منعاً وعطاءً، ليحيا المؤمن حياته بين الشكر والصبر، فإن أعطاه الله شكر وإن سلبه صبر، فلم يزل يتقلب في حالتي الشكر والصبر حتى يلقي وجه ربه الكريم بنفس مطمئنة خليقة بخطاب بارئها في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً \* فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] ويقول تعالى: ﴿ وَنَبِّئُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وفي الحديث الشريف يصفح وجوهنا أنوار هذا القول النبوي الشريف: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كَلَهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سُرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (رواه الإمام الترمذى فى سننه).

– بل إن الله تعالى استخلف الإنسان فى الأرض للاختبار؛ ولذا جعل الدنيا دار عمل بلا حساب، يخوض فيها الإنسان غمار بحارها اللججية، فإن أحسن فلنفسه وإن أساء فعليها، يقول تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا \* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ١، ٢] ويقول تعالى: ﴿ ... وَیَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

• ولأن الدنيا دار ابتلاء واختبار كانت الحياة فيها متغيرة لا ثبات لها، يقول تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩]؛ ولذا فهي محفوفة بالمكاره والأكدار، لا تدوم فيها سعادة ولا شقاوة، ولا

يبقى فيها غنى دائم أو فقر مقيم، وكل حال فيها إلى روائ، وفي هد يقنور  
الشاعر الأندلسى أبو البقاء الرندى فى وصفه الدنيا فى نوبيته فى رثاء الأندلس :

لكل شئ إذا ماتم نقصان  
فلا يغير بطيب العيش إنسان  
هى الأمور كما شاهدتها دول  
من سره زمن ساءته أزمان  
وهذه الدار لا تبقى على أحد  
ولا يدوم على حال لها شان  
أين الملوك ذو والتيجان من يمن  
وأين منهم أكاليل وتيجان  
وأين ما شاده شداد فى إرم  
وأين ما ساسه فى الفرس ساسان  
وأين ما حازه قارون من ذهب  
وأين عاد وشداد وقحطان  
أتى على الكل أمر لا مرد له  
حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا  
وصار ما كان من ملك ومن ملك  
كما حكى عن خيال الضيف وسان

– ولذا يوطن المؤمن نفسه بالتربية الإيمانية على استقبال اختبارات الحياة  
الدنيا بالرضا والقبول ، لأنه يفهم عن الله تعالى ، ويعلم يقينا أن ما ينزل به من  
البلاء والمصائب فى الدنيا يكفر عنه ذنوبه ويرفع درجاته عند الله ويقربه من ربه ،  
وذلك عندما يستقبل المؤمن الابتلاء ونزول القضاء بالرضا والتسليم والصبر فيظفر  
بثواب وجزاء الصابرين وينزل عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ  
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ الزمر : ١٠ ] برداً وسلاماً ، مستبشراً بما أخير به الصادق المصدوق  
عليه الصلاة والسلام من عظيم الجزاء ووافر الثواب للمبتلين الصابرين من مثل  
قوله : « يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب ، لو أن جلودهم  
كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض » ( أخرجه الترمذى ) وقوله ﷺ : « إن العبد  
إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها ، ابتلاه الله تعالى فى جسده أو فى ماله أو  
فى ولده حتى يبلغه المنزلة التى سبقت له من الله عز وجل » ( رواه أبو داود ) .

– أما الكافر والمشرك وأهل الحياة المادية كما هو الحال فى كثير من أهل  
البلاد الأوربية والأمريكية وأتباعهم فى الديار الإسلامية إذا نزل البلاء بأحدهم

ضاقَت به الدنيا واسودت حياة في عييه، وكثيرا ما ينتهي أمره بانتحاره؛ لأنه حرم لذة الإيمان وبرد اليقين والقناعة العقلية والقلبية بالحكمة الإيمانية في الابتلاء، مما يجعل الدنيا كبرهم همهم ومبلغ علمه ومجال تنعمه، وهو لا ينتظر ثوابا أو جزاء في الدار الآخرة، لأنه لا يؤمن بها ومن ثم لا يصدق بثوابها ونعيمها فإن فاته شيء من نعيم الدنيا وجنتها فقد فاته الخير كله، وفي هذا يقول السفير الدكتور فتحى مرعى فى إحدى مقالاته التأملية المربية بصحيفة (الأهرام) القاهرية: «أما الفاجر فتجده ساخطاً ناقماً كلما أصابه مكروه، فليس لديه ما يدفع عنه السخط أو النعمة فهو لا يرجو لقاء الله... كما أنه إذا حلت به نعمة زاد فجوره وطغيانه ومشى بين الناس مختالاً فخوراً، متغطرساً متعجرفاً... فى حين أن المؤمن إذا أصابته نعمة حمد الله وأثنى عليه وازداد تواضعاً، وجعل للمحتاجين من الناس نصيباً مما آتاه الله من فضله» (الأهرام - السبت ٢/١/١٩٩٩م).

● وفى هذا السياق أتت الدراسة القيمة المسماة (يونس فى القرآن والتوراة) لأستاذنا الداعية الدكتور محمد أحمد طه علي أستاذ التفسير بجامعة الأزهر، وهى أطروحة علمية فى كتاب جليل عرض فيها شيخنا الباحث لنبى الله يونس فى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

- وقد عرف كاتبنا الباحث فى التمهيد بالعصر الذى عاش فيه يونس عليه السلام، وفى الباب الأول عرض لنسب النبى يونس وحياته ورسالته، وحكى فى الباب الثانى عما ورد عن يونس فى القرآن والتوراة، أما الباب الثالث فكان للباحث الداعية تعقيبات قيّمة فى المفارقات اللفظية فى قصة يونس وتأديب الله تعالى نبيه يونس وما نزل به من بلاء التقام الحوت إياه مستقراً فى جوفه ومغاضبته والدروس المستفادة من قصة يونس فى مجال الأحكام الفقهية والدروس التربوية الإيمانية ثم بيان فضل نبى الله يونس عليه السلام وسبحان الله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

عملاً ﴿ [الملك: ٢٠١]

## الفصل الرابع من أمراء الصبر والبلاء

● ولا يملك مَنْ يقترب من الشيخ الداعية الإسلامى الدكتور محمد أحمد طه إلا أن يحبه فى الله تعالى وَيَعِض على أُخُوْتَه وصداقته بالنواجذ لأسباب منها أنه من أهل القرآن وخاصته، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته وخير خلقه، وفى هذا يقول ﷺ: «خيركم مَنْ تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخارى)، والرجل من أهل البلاء بل من أمراء البلاء وملوك الصبر، فهو ممتع بسلب حبيبته ونور عينيه، وليس لمن رضى بقضاء الله فيهما من ثواب إلا الجنة، والرجل فوق ذلك قد نزل به قضاء الله تعالى فى حادث سيارة فى مدخل كفر الدوَّار قرب الإسكندرية فأقعده تماماً وصبر الرجل ورضى بقضاء الله تعالى، وما برح يواصل دوره فى خدمة العلم والدعوة إلى الله آناء الليل وأطراف النهار فى المساجد محاضراً وخطيباً فوق كرسية المتحرك ومجيباً سؤال السائلين والمستفتين عبر الهاتف؛ فهو لهذا فى معية الله تعالى ورحمته، يظفر بجوار الله ورحمته ومؤانسته، وتتنزل عليه شآبيب رحمة الله تعالى ومغفرته وسكينته.

– وفى الحديث القدسى يقول الرب جل وعلا: «يا بن آدم مرضت ولم تعدنى!! قال: قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟! أما علمت أنك لوعدته لوجدتنى عنده؟!» (رواه مسلم)، وكان الرسول ﷺ يسأل الله تعالى أن يحييه مسكيناً وأن يميته مسكيناً وأن يحشره فى زمرة المساكين فلما سئل عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقال: «إن رحمة الله لا تفارقهم طرفة عين»، وفى هذا يقول ابن عطاء الله السكندرى: «من استسلم إلى الله فى واردات الامتحان أعاد الله عليه شوكتها ريحاناً وخوفها أماناً».

– وهذا الرجل المبارك، فضلاً عن كونه من أهل القرآن وأهل البلاء وأمراء

الصبر هو أيضا رجل ظرف وصاحب طرفة، حديثه غير ممدود والجلوس إليه يصور  
ويطول وتضييق بعلمه وطرائفه الفصول والفصول

- لهذا كله كان حديث الرجل في البلاء حديث (الدائق الفهم) حيث  
(لا يعرف الشوق إلا من يكابده - ولا الصبابة إلا من يعانيتها)، فحسن عند  
الحديث عن البلاء بيانه، وبرع استشهاده، وقد ارتكزت حجته على ما جاء في  
الكتاب والسنة بشأن البلاء من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ  
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ومن مثل قول  
المصطفى ﷺ فيما يرويه مصعب بن سعد عن أبيه حين سأل النبي ﷺ قال:  
قلت: يا رسول الله. أى الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى  
الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة  
ابتلاه على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض  
وما عليه خطيئة» (أخرجه الترمذى).

- يقول شيخنا الدكتور محمد أحمد طه - أكرمنا الله بعلمه ونفعنا  
بدعائه - : «إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال  
ليلها فالصبر وحده هو الذى يشع للمسلم النور العاصم من التخبط والهداية  
الواقية من القنوط، والصبر فضيلة أعماله وآماله وإلا كان هازلا . يجب أن  
يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت.  
ومواجهة الأعباء مهما ثقلت. بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة  
[ص ١٠٢ - يونس فى القرآن والتوراة].

- وهو جميل الاستشهاد بالشعر كما كان جميل الاستشهاد بالحكمة  
القرآنية والنبوية وعيون الحكمة النثرية، فهو ليدل على ضرورة توطئ النفس  
على احتمال المكاره والصبر على بزور القضاء والرضا بالقدر والتسليم بحكم الله  
يستشهد بقول الشاعر

عرفنا الليالى قبل ما نزلت بنا فلما دهتنا لم تزدنا بها علم

- كما نجده يحسن الأخذ عن العلماء الرواد لدعم مذهبه وشرح فكرته وتأكيد غايته فينقل عن الشيخ الجليل الأستاذ محمد الغزالي - رحمه الله - كلاماً جميلاً في الصبر من كتابه (خلق المسلم) حيث يذهب شيخ الدعاة المجاهدين - رحمه الله تعالى - في شرح فضيلة الصبر إلى اعتماد الصبر على حقيقتين الأولى تتعلق بطبيعة الحياة باعتبارها دار تمحيص وابتلاء يحيها الإنسان في سلسلة متواصلة من التجارب والاختبارات وليست دار قرار وجزاء، والثانية تتعلق بطبيعة الإيمان الذي هو صلة بين العبد وربّه، يلزمها أن تتعرض للابتلاء الذي يحصها ليكشف عن طيبها أو زيفها. قال تعالى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣] ، ويختم كلام الشيخ الغزالي - رحمه الله - في توضيح حقيقة الصبر بقوله: « ولا ريب أن علم الله محيط بظواهر الأمور وبواطنها وأن هذا الامتحان لم يأت بجديد بالنسبة إلى الكشف الإلهي المستوعب للبدايات والنهايات، غير أن الإنسان لا يحاسب على ما في علم الله بل حسابه على عمله الشخصي » (السابق - ص ١٠٤).

● ويعرض شيخنا الدكتور محمد أحمد طه لقصص الأنبياء مع البلاء ، كما حدث به القرآن الكريم، كما يظهر ذلك واضحاً جلياً في بلاء أبي الأنبياء إبراهيم ورؤياه بذبح ابنه اسماعيل - عليه السلام - ونبي الله يوسف وابتلائه بحقد إخوته وتآمرهم عليه بالقتل بالرمي في الحب ومرادة امرأة العزيز وسجنه، وما نزل بنبي الله أيوب ( عليه السلام ) من صنوف البلاء التي تنوء بحملها الجبال، الأمر الذي أثنى معه الله تعالى عليه في قوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤] ومروراً بنبي الله موسى، وصولاً إلى نبي الله يونس - عليه السلام - الذي ابتلاه الله تعالى بإلقائه في بطن الحوت حيث صبر وفوض أمره إلى الله تعالى مثنياً عليه بتوحيده وتنزيهه وخضوعة التام له مع كمال

الضراعة والإقرار بالدب، فيلطف الله تعالى به ويأمر الخوت بنبده فى العزة ويستره بشجرة اليقطين ويظله بأوراقها .

وأخيراً يأتى على ذكر خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين، الذى أمره الله بالصبر والثبات ويقص عليه نبأ الأنبياء والرسل مع أقوامهم ليثبت فؤاده ويعينه على الاستمرار فى دعوته واليقين بينصر الله تعالى إياه، كما فى قوله جل وعلا: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]

– ويختتم الشيخ الجليل تعقيبته هذا فى بيان سنة الابتلاء بقوله: « وبهذا يتضح لنا جلياً أن الله يبتلى العباد على قدر إيمانهم، فمن كمل إيمانه كان بلاؤه أشد من غيره، ولذا كان نصيب الأنبياء من البلاء أكثر من غيرهم كما تقدم والله أعلم » (السابق ص ١٠٦) .

وبعد: يبقى الرجاء فى رفع البلاء بالدعاء الصادق، دعاء المضطر والمكروب ودعاء من يعرف حق ربه فى الرخاء فيذكره مولاه عز وجل فى الشدة .

\* \* \*

## الفصل الخامس دعوة النبي يونس في بطن الحوت

• الدعاء الصادق هو العبادة كما ورد في الحديث النبوي الشريف: «الدعاء هو العبادة»؛ لأن الدعاء ترجمة وبيان عملي على توحيد الله تعالى والخضوع له والرجاء فيه والتوكل عليه والثقة به، قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وأصدق ما يكون الدعاء ساعة الكرب ووقت الخطر والضيق؛ ولذا يمين الله تعالى على عباده بإجابة دعاء المضطر والمظلوم وإن كان كافراً فهو المغيث يلبي دعاء من استغاث به وجأر بذكره وهو الكريم يجيب من ناداه:

هو أول هو آخر هو ظاهر هو باطن ليس العيون تراه

– يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] ويقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]. ولذا قص علينا القرآن الكريم كثيراً من دعوات الأنبياء والصالحين، وقد جاءت دعواتهم فياضة بالثناء على الله تعالى وتمجيده وتوحيده والتضرع إليه مع الاعتراف بالذنب والإنابة إلى المولى عز وجل بالتوبة النصوح وكان البدء بالخطأ والتوبة مع سيدنا آدم أبى البشر عليه السلام وأما حواء حين أكلت من الشجرة المحرمة واعترفا بالذنب فتاب الله عليهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿هَذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقوله تعالى على لسان نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ

آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿ [يوسف: ١٠١]

– ولكن يبقى لدعوة المظلوم والمكروب مكانة خاصة في تأكيد العبودية لله  
وتأكيد الكمال لله تعالى والاعتراف بالعجز والضعف البشري أمام قدرة الواحد  
القهار، وتبرز في هذا الصدد ثلاث دعوات من دعاء الرسل والأنبياء، كدعوة أبي  
البشر الثاني سيدنا نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَنوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلِ  
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿ [الأنبياء: ٧٦] ودعوة نبي الله أيوب  
عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ  
الرَّاحِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ  
عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ ﴿ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤] والثالثة هي دعوة المكروب على لسان  
نبي الله يونس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ  
لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ  
\* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]

● إن دعاء المكروب دعاء صفاء ونقاء، ليس بينه وبين الله حجاب، وتتفاعل  
معه ملائكة العرش، وهو سبيل لتفريج الكروب وباب من أبواب رحمة الله  
ورضوانه وكرمه ونصره ولطفه اللطيف ورحمته الرحيمة، وفي هذا يقول الرسول  
ﷺ: « من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله تعالى: شيئاً  
أحب إليه من أن يسأل العافية، وإن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ولا يرد  
القضاء إلا الدعاء فعليكم بالدعاء » (أخرجه الترمذى).

– وليس من شك أن عبادة الله وتوحيده بالذكر ولزوم الاستغفار، والتسبيح  
وقت الرخاء ينفع المؤمن وقت الشدة وعند وقوع البلاء؛ ولذا ورد في الهدي  
النبوي الشريف: « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » وفي إيضاح هذا  
المعنى يقول صاحب ( البركة في القرآن ) داعيتنا الإسلامي الدكتور محمد أحمد

طه : «ومعرفة الله في الرخاء أن يكون الإنسان على ذكر من ربه وعلى صلة بخالقه، هذه الصلة من شأنها أن تعصم الإنسان من الوقوع في الأخطاء ومن اقتراف الذنوب والآثام، وكذلك تكون رداءً له إذا ألت به محنة، ولقد كان لنا في نبي الله يونس الأسوة الحسنة فقد كان ذاكراً لله في كل أحواله متصلاً به في حركاته وسكناته، فلما أصابه ما أصابه ودعا الله نجاه الله بسبب ذكره وتسبيحه إياه، وقد بين الله لنا ذلك في القرآن حيث يقول: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصفات: ١٤٣، ١٤٤]

– وينقل الشيخ المبارك عن ابن جرير الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ قوله: قال قتادة: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ كان كثير الصلاة في الرخاء فنجاه الله بذلك. قال: وقد كان يقال في الحكمة إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عثر، فإذا صرع وجد متكأ، ومنه قال: كان طويل الصلاة في الرخاء، وعن أنس بن مالك أن يونس النبي حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأقبلت الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يا رب هذا صوت ضعيف معروف في بلاد غريبة. قال: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: يا رب من هو؟ قال: ذلك عبدى يونس، قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يُرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة، قالوا: يا رب أولاً يُرحم بما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى فأمر الحوت فطرحه في العراء» (يونس في القرآن والتوراة ص ١١٠).

– ولذا كان دعاء يونس عليه السلام في بطن الحوت دعاء المكروب المضطر وكان دعوة مستجابة؛ لأنها مشتملة على اسم الله الأعظم الذى إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب، كما حدث بذلك المصطفى ﷺ. قال راوى الحديث سيدنا سعد بن أبى وقاص مستفسراً عن دعوة يونس عليه السلام. قال: «يا رسول الله. أهى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هى ليونس خاصة

وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى: ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين ﴿فهو شرط من الله لمن دعاه به﴾ (المصدر السابق ص ١١١).

— ويبسط داعيتنا المبارك لدعوة نبي الله يونس بنقل مفيد وأخذ نجيب عن العالم العابد الشيخ الدكتور عبد الحلیم محمود شيخ الجامع الأزهر الأسبق من كتابه (في رحاب الكون) فيقول: يقول الشيخ الجليل الدكتور عبد الحلیم محمود عن هذه الدعوة: «وهي دعوة تبدأ بالتوحيد الخالص يتمثل في قوله: (لا إله إلا أنت) وتثنى بالتنزيه. تنزيه الله عن كل ما يتنافى مع الكمال، وذلك يتمثل في قوله: (سبحانك)، ثم تنتهي بالاعتراف الخاشع المتمثل في قوله: «إني كنت من الظالمين». وهذه الكلمات القليلة التي يتمثل فيها الإيجاز في اللفظ، والتي يتمثل فيها السمو السامي في المعنى، لا تطلب شيئاً في صراحة ولا تنادى بشئ بأسلوب مباشر، ولكنها مفعمة بالطلب، مفعمة بالاستغاثة، فقد سأل يونس ربه على أطف وجهه وأبلغه، فهو لم يسأله الخلاص وإنما اعترف لربه بالكمال وأقر على نفسه بالظلم وهذا يدل على أدب يونس وذوقه العالي وهذا شأن الأنبياء مع الله».

● رحم الله شيخ الجامع الأزهر الأسبق وعالمه العابد الذي شهد له الأعداء قبل الأصدقاء شهادة بالصلاح والتقوى وحسن قيامه على الأزهر جامعاً وجامعة، والذي خاض جهاداً متواصلاً لنصرة الإسلام الحنيف وشريعته الغراء حتى قبضه الله إليه واسترد منه وديعته ليحيا في رحابه في دار الخلد في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وبارك الله في داعيتنا الإسلامي فضيلة الدكتور محمد أحمد طه أستاذ التفسير بجامعة الأزهر وأحد أبناء الأزهر وعلمائه المخلصين، وهو العالم السكندري صاحب الدراسات القرآنية المباركة من مثل دراسته القيمة في منهج الشهرستاني في تفسير القرآن الكريم والتي هي أطروحته للدكتوراه، ومثل كتابه

المبارك ودراسته القرآنية « البركة في القرآن » وكتابه « المال في ضوء القرآن » ودراسته اللطيفة « الزينة في القرآن » ثم أتت دراسته الجديدة « التسبيح والتحميد كما ورد في القرآن المجيد » ولديه الجديد والجديد ببركة القرآن المجيد، هذا فضلاً عن أحاديثه المفيدة لإذاعة الإسكندرية وفعالياته في إثراء البرامج الإذاعية الحوارية مع غير إذاعي نابه وبخاصة مشاركته في برنامج « رحلة مع الإنسان » مع الإذاعيّ السكندريّ الرائد الأستاذ محمد الطنبداوى، وهو البرنامج الذى عمّر طويلاً لقيّمته العلمية والأدبية، والذى عُنَى خلاله صاحبه بإبراز الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان في جميع أجزائه وأعضائه، ولفتنا إلى بديع صنع الله الذى أتقن كل شئ؛ باستضافة ومحاورة قمم أهل العلم والمتخصصين على أرفع درجات التخصص وأدقه مع التناول الأدبي والدينى مؤيدا بما ورد فى آي الذكر الحكيم والحكمة العربية والنص الأدبي شعره ونثره؛ ولذا نجح ذلك البرنامج نجاحاً كبيراً وتمت إعادة إذاعته فى الإذاعات العربية ومن بينها إذاعة البحرين وإذاعة الكويت، وكيف لا وقد استضاف صاحبه ومعه الأستاذ الطنبداوى النابهين فى العلم والطب والمباركين فى الدرس القرآنى أمثال (صاحب البركة) الدكتور محمد أحمد طه!؟ جزاه الله عن الإسلام والقرآن خير الجزاء ونفعنا بعلمه ودعائه وثبتنا وإياه على الإيمان وختم لنا بخاتمة السعادة .

\* \* \*



## فى العقيدة والتيارات الفكرية المعادية

- القرآن نور ودستور.
- عبادة الشيطان وآفاقها فى المجتمع الإنسانى
- فى رجاب الدعوة الإسلامية.
- وجوب الحوار بين الفرق وجماعات المسلمين
- «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».
- العطاء المبارك ثمرة التربية الصالحة.
- مع الشيخ الدكتور محمد سيد أحمد المسير
- الإسلام يتحدى فلسفات العصر.
- والأديب الأستاذ يوسف الملا.



## الفصل الأول القرآن نور ودستور

● «القرآن نور ودستور» هذا عنوان المحاضرة التي ألقاها الداعية الإسلامية الفقيه الدكتور يوسف القرضاوى فى الحفل الختامى لجائزة دىبى الدولية للقرآن الكرىم فى دورتها الثانية للعام الهجرى (١٤١٩)، - وقد أكد فيها - كما روى محرر مجلة (منار الإسلام) الغراء «أن القرآن الكرىم هو النور الذى تهتدى به العقول والقلوب، وهو الدستور الذى ينظم حياة الجماعات والشعوب وهو دستور حياة الأمة الإسلامية، وأول ما يميز هذه الشمولية (إضافة إلى اليسر والإبانة) أن القرآن دستور خالد، ليس لقرن أو قرنين بل هو دستور دائم للأمة كلها ولا مبدل له»<sup>(١)</sup>.

- وليس هناك دستور دائم إلى يوم القيامة إلا القرآن الكرىم؛ لاشتماله على ما يكفل الاستقامة والاستقرار والسعادة للفرد والجماعة والبشر جميعاً لاعتبار مصدره الربانى المحيط بطبيعة الإنسان وحاجات الاجتماع البشرى، ولأنه ليس فقط مشتملاً على ما تتضمنه الدساتير البشرية من قواعد تنظم الحياة فى مجتمع محدود، وإنما هو فضلاً عن ذلك كتاب هداية ونور يبدد ظلمات الحياة ومنهاج تربية وتهذيب وارتقاء فى مدارج الجمال والكمال الإنسانى نحو الآفاق الحيوية الأسمى.

- فالقرآن الكرىم كتاب منزل من لدن حكيم خبير، وهو أرقى ما أوحى به الله تعالى لأحد من رسله الكرام، وهو خاتم الكتب السماوية وحجتها من الله عليها، وهو آخر كلام الله تعالى لعباده المصطفين الأخير؛ ولذا جاء منهاجاً شاملاً جميع ما تحتاج إليه حياة الإنسان فى مختلف جوانبها وأحوالها المادية والنفسية ملبياً الحاجات التى تلزم الاجتماع الإنسانى على المستوى الفردى أو الاجتماعى

---

(١) مجلة (منار الإسلام) الظبىانية عدد (شوال ١٤١٩ هـ - فبراير ١٩٩٩ م).

أو الأُمى، ليضمّر بذلك عمران الكون وكمال الحياة الإنسانية. يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا \* وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩، ١٠]، وفي الهدى النبوى فيما يرويه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتن، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله. فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه. هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: «إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فأمانا به» من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم» (رواه الترمذى والدارمى).

– ونحن – المسلمین – مأمورون بالاعتصام بالقرآن والاحتكام إليه والاتفات حول رايته لا سيما إذا نزلت الخطوب واستبيحت بيضة الإسلام واستضعف المسلمون وانتقصت حقوقهم وديارهم وأعراضهم – كما هو حاصل فى زمننا الحالى – قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

● ولقد أمرنا الله – سبحانه وتعالى – بالإقبال على كتابه الكريم ومأدبته العامرة بثمار الحكم وأنوار الهداية. تعلماً وتدبيراً وتعبداً؛ لتستقيم أمورنا وتطيب حياتنا، فجعل – سبحانه – الحياة الحقيقية هى حياة الإيمان والالتزام بهدى القرآن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] .

● وقد أكب المسلمون على دراسة القرآن وعلومه واستخراج درره وآلته في مختلف العلوم والفنون والآداب، وكان من الطَّبَعِيِّ أَنْ يحظى الجانب التشريعي والقانوني بنصيب وافر من تلك الدراسات؛ لما في الشريعة الإسلامية بآفاقها كما عرض لها القرآن الكريم من ثراء وامتياز. مما يؤكد الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم، وقد شهدت بذلك المؤتمرات القانونية الدولية، على لسان فقهاء القانون الدولي المقارن الأعلام.

- وَدَرَجَتُ الْحَيَاةِ الْحَدِيثَةَ عَلَى وَضْعِ الدَّسَاتِيرِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْقَوَاعِدِ وَالْأَسْسِ الْقَانُونِيَّةِ الَّتِي تَنْظُمُ الْحَيَاةَ فِي مَخْتَلَفِ مَسْتَوِيَاتِهَا وَجَوَانِبِهَا فِي نِطَاقِ الدَّوْلَةِ الْحَدِيثَةِ، وَقَدْ عُنِيَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ لِتَفَاعُلِهِمْ مَعَ النِّهْضَةِ الْأُورِبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، وَمِنْ ثَمَّ شَاعَتْ كَلِمَةُ (الدستور) فِي الْفِقْهِ السِّيَاسِيِّ وَالدِّسْتُورِيِّ، وَتَتَابَعَتِ الدِّرَاسَاتُ وَالْمُؤَلَّفَاتُ مِنَ الْمَفْكَرِينَ وَالْقَانُونِيِّينَ الْمُسْلِمِينَ فِي كِتَابَاتِهِمْ عَنِ الدِّسْتُورِ .

- وَلَمَّا بَسَطَ الْاِحْتِلَالُ الْأُورِبِيُّ نَفُوذَهُ عَلَى مَعْظَمِ بِلْدَانِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ شَرْقَهُ وَغَرْبَهُ حَرَصَ عَلَى فِرْضِ ثِقَافَتِهِ وَقَوَانِينِهِ وَانْتِزَاعِ الْأَسْسِ وَالْمِبَادِئِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَخْتَلَفِ مِيَادِينِ الْحَيَاةِ فِي الْبِلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لَيْسَهْلَ عَلَيْهِ اِحْتَوَاؤُهَا وَالسِّيَطْرَةَ عَلَى مَقْدَرَاتِهَا وَتَقْلِيمِ أَظْفَارِهَا وَالْحَيْلُولَةَ دُونَ وَحْدَتِهَا وَنَهْضَتِهَا عَلَى أَصُولِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَثِقَافَتِهَا، وَكَانَ الْبَدْءُ بِالْتَّعْلِيمِ وَانْتَقَلَ بَعْدَهُ إِلَى الْاِقْتِصَادِ وَالسِّيَاسَةِ وَالتَّشْرِيعِ حَتَّى صَارَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ غَرِيبَةً فِي بِلَادِهَا، وَصَارَتِ الْكَثِيرُ مِنَ التَّقَالِيدِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْقَوَانِينِ وَالتَّشْرِيعَاتِ فِي الْأُطْوَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ أُورِبِيَّةِ الْمَصْدَرِ رُومَانِيَّةِ الْأَسَاسِ، الْأَمْرَ الَّذِي حَفَزَ دَعَاةَ النِّهْضَةِ وَالْإِصْلَاحِ - لَا سِيَّمَا بَعْدَ

رحيل الاحتلال العسكرى - عن ديار المسلمين معظمها - حفزه للعودة إلى الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية والعودة إلى المبادئ والأسس الإسلامية فى مختلف مجالات الحياة وبخاصة فى مجال الإعلام والتعليم والاقتصاد والفنون والعلوم والقانون، لىتم لهم بذلك تحقيق الاستقلال التام فى مختلف نواحي الحياة عن الاحتلال وثقافته، مع التواصل والانفتاح على العالم لأخذ النافع من كل الحضارات والثقافات مما لا يتناقض وقيمنا الإسلامية الرفيعة وتقاليدنا العربية الصالحة.

- ومن تلك الدراسات كتاب مولانا أبى الأعلى المودودى (الدستور الإسلامى) ودراسات أخرى كثيرة فى هذا المجال قدمها فقهاء القانون الدستورى ومفكرو الإسلام فى العصر الحديث، ومن هذه الدراسات الجديرة بالاعتبار والاهتمام. مشروع الدستور الإسلامى الذى صدر عن الأزهر الشريف وقدمه إلى المكتبة العربية العالم الداعية الدكتور محمد سيد أحمد المسير أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر فى كتاب بعنوان (نحو دستور إسلامى - مشروع وضع مواده الأزهر الشريف).

● ولخروج هذا الكتاب إلى القارئ العربى قصة شيقة يرويها صاحبه الدكتور محمد سيد أحمد المسير بأسلوب شائق فىقول «لهذا الكتاب قصة مرت بمراحل ثلاث:

المرحلة الأولى أوصى المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الذى انعقد بالقاهرة فى ذى القعدة سنة (١٣٩٧ هـ) الموافق أكتوبر سنة (١٩٧٧ م) بأن يقوم الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية بصفة خاصة بوضع دستور إسلامى لىكون تحت طلب أية دولة تريد أن تأخذ بالشريعة الإسلامية منهاجاً لحياتها، ويرى المؤتمر أن يؤخذ فى الاعتبار عند وضع هذا الدستور أن يعتمد على المبادئ المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية كلما أمكن ذلك.

- وفعلاً فقد تم إنجاز هذا المشروع بعد عام من التوصية، وطبعته الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية في ذى القعدة سنة (١٣٩٨ هـ) الموافق أكتوبر سنة (١٩٨٧ م) تمهيداً للعرض على المؤتمر التاسع للمجمع، ونشرته مجلة الأزهر فى عددها الصادر بتاريخ جمادى الأولى لسنة (١٣٩٩ هـ) الموافق أبريل (١٩٧٩ م) وقالت مجلة الأزهر إن الإمام الأكبر الدكتور عبد الحلیم محمود وضع اللمسات الأخيرة لهذا المشروع الذى يستمد أحكامه من مختلف المذاهب والآراء الفقهية وتغطى مواده احتياجات المسلمين كافة ومضت السنوات ويات المشروع نسياً منسياً (١).

- ويمضى بنا المؤلف الكبير إلى المرحلة الثانية من قصة ميلاد هذا الكتاب فيقول «المرحلة الثانية: بتاريخ ٢٨/٧/١٩٩١) نشر فى صحيفة (الأهرام المسائى) مقالاً بعنوان «المستشار سعيد العشماوى يضع دستوراً إسلامياً جديداً» وجاءنى أحد الصحفيين الشبان وهو الأستاذ محمود عبد الغفار، وناشدنى إبداء الرأى فى هذا الموضوع، فبدأت سلسلة من المقالات بعنوان «نحو دستور إسلامى جديد» وجاء المقال الأول ليؤكد أن المستشار العشماوى ليس مؤهلاً للحديث عن الإسلام، ثم جاء المقال الثانى ليحیی مشروع الأزهر الشريف للدستور الإسلامى بعد ما يقرب من ثلاثة عشر عاماً.

وتوالت المقالات تقدم مواد الدستور الإسلامى وتعلق عليها بما يوضح الفكرة، ويسوق الشاهد ويظهر الحكمة، ويبرز خصائص ومميزات الشريعة الإسلامية... واستمر نشر المقالات أسبوعياً تقريباً على مدى أربعة أشهر فى صحيفة (الأهرام المسائى)، وفجأة توقف النشر؛ لأن المسئولين فى الصحيفة تنبهوا إلى أننا لسنا فى حاجة إلى دستور إسلامى جديد، فمصرنا العزيزة مسلمة والحمد لله، ودستورها إسلامى .. !!

---

(١) نحو دستور إسلامى ص ٣.

هكذا قيل نى...!! لكن الرسالة قد وصلت...!! وجاورت حدود الوطن...!!»

ولكن كيف جاوزت الرسالة حدود الوطن، وكيف بلغ الله تعالى بقدرته الأذان بعدما أذن إبراهيم عليه السلام فى واد غير ذى زرع، ليبلغ الأذان أقصى الربع المسكون؟!؟!!

هذا ما يقصُّه علينا الكاتب الأستاذ فيقول: «لقد حضر أحد المستشرقين من نيوز لانداه وهو مستر ويليام شبرد إلى كلية أصول الدين بالقاهرة، وكان على صلة بعميدها فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق، وطلب نسخة من مشروع الأزهر للدستور الإسلامى!!

وقمت بتسليمه هذه النسخة (وأهديته كتابى) «محاورة تطبيق الشريعة»، وزارنى الأستاذ عبد الرسول الزرقانى رئيس تحرير جريدة (النور) سابقا وطلب منى نسخة من مشروع الدستور الإسلامى وسلمته صورة منها، وهنا توقف القلم عن استكمال التعليق والدراسة لمشروع الأزهر للدستور الإسلامى...!!»<sup>(٢)</sup>.

- وتبقى المرحلة الثالثة من مراحل قصة ميلاد هذا الكتاب كما يعرض لها مؤلفه الداعية الكريمة فيقول: «ذهبت معارا إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام (١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م) وبدأ الحنين إلى معاودة الكتابة عن مشروع الدستور الإسلامى فى وقت اشتدت فيه حملات العلمانيين وقلول الماركسيين وضحايا الفكر الدخيل، ويسر الله الأمور وأعان ووفق واتسع البحث، واحتد التعليق وسال القلم، وكانت خاتمة الكتاب فى ذى القعدة (١٤١٥ هـ) الموافق إبريل (١٩٩٥) واستوعبت الدراسة مشروع الدستور الإسلامى فى أبوابه التسعة، ومواده الثلاث والتسعين»<sup>(٣)</sup>.

● وقد عالج داعيتنا الباحثة مواد مشروع الدستور الإسلامى فى تسعة

(١) السابق ص ٤ (٢) السابق ص ٥ (٣) السابق: ص ٥

أبواب وثلاث وتسعين مادة مشتملة في خطوطها العريضة ( الأمة الإسلامية ) في أربع مواد و( أسس المجتمع الإسلامي ) في ثلاث عشرة مادة و( الاقتصاد الإسلامي ) في عشر مواد ( والحقوق والحريات الفردية ) في ست عشرة مادة و( الإمام ) في سبع عشرة مادة و( القضاء ) في اثنتين وعشرين مادة و( الشورى والرقابة وسن القوانين ) في مادتين و( الحكومة ) في مادتين، و( أحكام عامة وانتقالية ) في سبع مواد .

– وقد جاء أسلوب الكاتب في كتابه القيم مشرق العبارة واضح الفكرة مركز الدلالة كما هو الشأن في أسلوب الدعاة المربين، ويختتم هذا الكتاب بدعوة يُوجهها إلى عقول وقلوب أبناء الأمة لتدارك الخطر، والسير على الجادة للخروج من المأزق والاضطلاع بدور خير أمة أخرجت للناس في هداية البشرية والشهادة على الناس فيقول، «إننا نناشد الأمة في عقلها وقلبها، في شبابها وشيوخها، في رجالها ونسائها، في حكامها ومحكميها، في علمائها وفقهائها وحمكائها أن يجتمعوا حول كلمة سواء، تعرف لله قدسيته، وللوطن حرمة وللناس كرامتهم، وللحياة أمنها وللأمة حضارتها، وللعالم كله السلام والتعاون .

« والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » .

« والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

– وبعد : فجزى الله داعيتنا المبارك مؤلف الكتاب خير الجزاء وبارك في جهاده وجهوده ونفع الأمة بعلمه وأعزه بالإسلام .

\* \* \*

## الفصل الثاني عبادة الشيطان وآفاقها في المجتمع الإنساني

• عرض القرآن الكريم لمعنى عبادة الشيطان في قول الله سبحانه وتعالى في خطابه لبنى آدم عندما نسوا عهده الأول: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \* وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٠ - ٦٢]

- والعبادة في المفهوم العام كما يوضح الشيخ الدكتور محمد المسير تعنى الطاعة والخضوع والولاء لإرادة المعبود والحرص على إرضائه لتنسجم حركة حياة المخلوق في مختلف اتجاهاتها مع أوامر الخالق المعبود سبحانه ونواهيه رغبة ورهبة، رجاءً وخوفاً مع السعى لمحبهته وإيثارها على كل محبة زائلة، وبهذا تصير حياة المخلوق العابد المحب طاعة كلها خيراً كلها. وكيف لا وقد صدر العبد في كل حركته الحيوية عن نية الطاعة وإرضاء الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر سبحانه؟! قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام - ١٦٢]

- وقد أكد القرآن الكريم المعنى الشامل للعبادة في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ \* اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَإِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣١]، وكان خضوع اليهود والنصارى وطاعتهم لأحبارهم ورهبانهم فيما يأمر به وينهون عنه وما يحلون ويحرمون هو العبادة كما أوضح المصطفى صلى الله عليه وآله

وصحبه وسلم فى إجابته سؤال عدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه عندما استفسر عن ذلك .

● ويفسر الداعية الدكتور محمد سيد أحمد المسير عبادة الشيطان فى كتابه : ( عبادة الشيطان فى البيان القرآنى والتاريخ الإنسانى ) على معنيين : أولهما : هو المعنى العام « وهو الوصف الجامع لكل صور الشرك والكفر والفساد » وثانيهما : هو المعنى الخاص الذى يعنى : « اتخاذ الشيطان إلهاً يعبد من دون الله ، يطاع ويقدم له طقوس وأشكال يتخيلها العابد مرضاة للشيطان ، وهذا المعنى الخاص يكمن فى السحر والتنجيم والكهانة ، كما قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ \* تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ \* يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [ الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣ ] (١) .

● ولقد حفز داعيتنا المبارك الدكتور المسير لتأليف دراسته القيمة تلك لتصدر فى كتاب فى تسعين ومائة صفحة من القطع الكبير - كما يقول - : « إن فكرة هذا الكتاب بدأت مع اكتشاف تنظيم ( عبادة الشيطان ) بمصر المحروسة خلال شهر رمضان سنة ١٤١٧ هـ .

لقد فزعت قلوب واقشعرت أبدان ، حين قرأ الناس ملف القضية وتعالق أصوات الغيورين تُحلل وتُعلل وتُنصَح ، وكنت واحداً من هؤلاء ، أعيشُ فى حقل الدعوة إلى الله وأتخصص فى دراسة العقيدة والفلسفة والأديان ، وأهتم بقضايا أمتنا الإسلامية ، فعكفت أربعة أشهر ، أبحث عن عبادة الشيطان ، فى نشأتها وأشكالها وتطورها والوقاية منها ، وجاء هذا الكتاب (٢) .

- ولم يكن شيخنا المسير وحده الذى انزعج للأمر - كما قال - وإنما استنفر الأمر كل الغيورين على الدين الحق والملة السمحاء ، وهذا داعيتنا الكبير رأستاذنا الدكتور عبد الودود شلبنى رئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر

( ١ ) عبادة الشيطان فى البيان القرآنى والتاريخ الإنسانى - الطبعة الأولى ص ٦ دار الوفاء

( ٢ ) السابق ص ٥ .

بالمصورة بمصر .

ورئيس مجلة الأزهر الأسبق يقوون في معرض حديثه عن الفراغ الروحي في غرب أمريكا وحاجة الغرب الأوربي للإسلام: « يقول الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق: قبل خمسين عاما زارني أحد الأستاتذة الأمريكيين فأخذته إلى الجامع الأزهر وبينما نحن ننتقل من رواق إلى آخر سألني عن ( لجنة الفتوى ) فحدثت هذا الأمريكي عن لجنة الفتوى ورسالتها فرغب في زيارتها والتعرف على أعضائها ... دخلنا القاعة فكان فيها المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم والمرحوم الشيخ محمد العناني وبعد التعارف والتحية خاطب العالم الأمريكي الشيخ عبد المجيد سليم قائلا؟ إن الغرب الآن في حالة روحية قلقه ومن الممكن أن يتجه إلى الإسلام ولكن من المحتمل أن يتجه إلى صوفية الهند فهل أعد الأزهر عدته لتوجيه الغرب نحو الإسلام؟ وكان السؤال مفاجئا أو مربكا ولكن فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم أجاب وفي أسلوب دبلوماسي لبق: إننا بصدد الدراسة والبحث ... »

- ويُمضى داعيتنا الخبير الدكتور عبد الودود شلبي في تبيان بعض مظاهر الفراغ الروحي في حياة شباب أوربا وأمريكا فيقول: « وفي أمريكا عثر على بقايا عظام وجثث آدمية في مدينة ( سانتا مونكا ) في ظروف غريبة محيرة ... إلا أن المحققين اكتشفوا سرُّ هذه العظام والجثث بعد تحريات دقيقة واسعة ... وقد تبين من هذه التحريات: أن هذه العظام وهذه الجثث كانت بقايا ( قداس ) قام به عبدة الشيطان في مدينة ( سانتا مونكا ) ... !! كما أكدت هذه التحريات أن عمليات القتل تمت بعد القيام بأعمال جنسية فاضحة ومخجلة ... » وتبين أن هذه الطقوس الشيطانية تقام في أجزاء عديدة من الولايات ... » (٢) .

- ويعرض فضيلة الأستاذ لنتائج التحقيقات عن اسم كبير كهنة الشيطان واسمه ( أنطون لافي ) ويلقبه أتباعه باسم بابا أمريكا الأسود، ويعرض أيضا لما

(١) مجلة ( منار الإسلام ) الغراء - ص ٩٠ - ذو القعدة سنة ١٤١٩ هـ الموافق ١٧ من

(٢) السابق: ص ٩١ .

فبراير ١٩٩٩ م )

نشرته مجلة ( نيوزويك ) الأمريكية فى تحقيق خطير منشور فى ( ٣ / ٥ / ١٩٩٣ م ) بعنوان عالم الطوائف الغريب : **The Srearing Sutts World** ، وهو التحقيق الذى عرض لحادثة الانتحار الجماعى لمئات من الرجال والنساء والأطفال بأمر قس شيطانى اسمه ( جونز ) فى مدينة ( جايانا ) ، ويعلق فضيلة الدكتور عبد الودود شلبى على ذلك فيقول « وبالرغم من مضى خمس سنوات على حدوث هذه المأساة أو هذه المذبحة فلا تزال هذه الطقوس تمارس فى كل مكان من مدينة ( بيرث ) فى جنوب استراليا إلى مدينة ( باريس ) فى فرنسا ... ومن ( بوجوننا ) إلى ( بومباى ) فى الشرق الأقصى » .

- ويمضى فى تعليقه على انتشار تلك العبادة الشيطانية فيقول : « إن انتشار هذه الطوائف الشيطانية لا يزال آخذاً فى الانتشار والتوسع ، ومن أهم الطوائف طائفة ( جين مايونج مون ) الذى يزعم أن المسيح اتصل به وباركه منذ حوالى نصف قرن !! (١) .

● ويعرض فضيلة الدكتور محمد سيد أحمد المسير فى كتابه ( عبادة الشيطان ) بشئ من التفصيل للصور المعاصرة لعبادة الشيطان ( بالمعنى الخاص ) فى المجتمعات الأوربية على أربعة جوانب وهى الانحلال الجنسى والانتحار الجماعى وتغيير خلق الله والسياسة العالمية للدول الكبرى فى غطرستها واستكبارها ، الأمر الذى يؤكد عمق المأساة التى يعيشها الإنسان المعاصر فى أحضان الشيطان كما يقول الشيخ المبارك ، ولذا فهو يدق ناقوس الخطر لزحف مظاهر أزمة الإنسان الأوربي والأمريكى المعاصر الناتجة عن الفراغ الروحى إلى الأوطان الإسلامية وانتشارها فى الأوساط المقلدة لأسلوب الحياة فى أوربا وأمريكا المستلبة أخلاقياً ونفسياً المهزومة روحياً وحضارياً فى أوساط المترفين من أهل الانحلال والفساد والطغيان ، فيقول عن تلك الصور وتلك الجوانب الشيطانية فى الحياة المعاصرة : « هذه الصور الشيطانية فى المجتمعات الغربية ، بدأت تسرى

---

( ١ ) السابق ص ٩١ .

فى حياة المسلمين بلا استحياء، فالنوادى الليلية بمنكراتها فى كل مكان من أرض المسلمين، وتقوم وزارات الثقافة بتقنين مواصفات الرذيلة المسموح بها قانوناً !! .

وتبث أجهزة الإعلام ما يتنافى مع الدين ويتنافر مع الشرف، وتحتضن وزارات التعليم فى شأنها التربوى، معاهد للرقص والبالية والمسرح والغناء، ومحور الفساد بأجمعه هو التحاكم إلى قوانين وضعية اخترعها المستفيدون بديلاً عن الوحي المنزل (١) .

● ثم يعرض شيخنا فى مبحث مستقل لأسلوب من أخطر أساليب الشيطان فى فساد حركة الحياة فى مختلف صورها وهو أسلوب الجدل الشيطاني الذى يلتزم جانب الباطل والعناد والحق والاستكبار ويستشهد على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ \* كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الحج: ٣، ٤] .

- وفى شرحه لوسائل الجدل الشيطاني وصوره، وحقيقته يقول: « ولقد بدأ الجدل الشيطاني بإبليس اللعين، الذى استبد بالرأى فى مقابلة النص، واختار الهوى فى معارضة الأمر واستكبر بعنصريته، وانشعب من هذه الشبهة كل ما طرأ على البشرية من مذاهب هدامة، ونحل فاسدة وكانت مقالات الكافرين على مدى عصور التاريخ - وما زالت - قلباً للحقائق واغترارا بالعصبية وتقليداً أعمى » « ويدور الآن جدل شيطاني حول التنوير والحريات، وحقوق الإنسان، وكرامة المرأة، يتولى كبره فلول الفكر الماركسى، وعاهروا الكلمة. يريدون طمس معالم الهوية الإسلامية، ويتخذون من هذه الشعارات ستاراً لمآربهم الدنيئة » (٢) .

● وكما عالج داعيتنا الدكتور محمد المسير فى دراسته القيمة مفهوم عبادة

(١) ( عبادة الشيطان فى البيان القرآنى والتاريخ الإنسانى ) ص ٧

(٢) السابق ص ٧

الشیطان بمعناها العام والخاص فی مبحثه الأول وعرض لمظاهر عبادة الشیطان فی مبحثه الثانی والصور المعاصرة لعبادة الشیطان فی المبحث الثالث والجدل الشیطانی فی المبحث الرابع عرض للأدیان والمذاهب التي تعبد الشیطان منذ القدم عند العرب والفرس وبعض غلاة الفرق الإسلامیة كالحلولیة والمقنعة والبابکیة فی المبحث الخامس، كذلك قدم وسائل الوقایة والعلاج ووصف الدواء بعدما أحسن وأجاد فی تشخیص الداء فی المبحث السادس.

– يقول – أكرمه الله ونفعنا بعلمه: «إن الشباب المعاصر يقع بين سيفي الإفراط والتفريط، وكلاهما بتار، يقضى علي الأخضر واليابس.

فهناك جماعات عنيفة القول والسلوك، عنيدة الفكر، فاقدة الحكمة.

وهناك حكومات تتأبى على الحق، وتماطل في تنفيذ حكم الله.

ويصاحب ذلك غزو فكري يفتد إلينا مع الهواء الساري.

كل ذلك يضاعف الجهد على المصلحين» (١).

– والرجل فيما عرض من أساليب الوقاية والعلاج يؤكد على ضرورة المقاومة الإسلامیة النابعة من الإرادة الذاتیة والتي ترتكز على عقيدة التوحيد والاعتصام بحبل الله المتين وحب الخیرات والتسابق فی الصالحات الباقیات، ويقدم روافد المقاومة الإسلامیة للشیطان وحزبه بداية بالاستعاذة بالله من الشیطان الرجيم والمداومة على الطهارة وذكر الله وإقام الصلاة وتلاوة القرآن الكريم والزواج المبكر والحرص على بناء الإنسان والاهتمام بالتعليم ومناهج التریبنة الإسلامیة والعناية بالدعوة الإسلامیة وحسن القيام على إعداد الدعوة وإصلاح الإعلام ومعرفة الأعداء ويختتم بدعوة لرجم الشیطان الرجيم الذي يتحقق بصورة فعلیة» فی موقف متكرر كل عام يحمل عبق التاريخ وصفاء الروح ونقاء الفطرة، وصدق الولاء لله، وإخلاص التضرع له سبحانه، وخشوع المناجاة.

إنه موقف رمى الجمرات من الحجاج المسلمین فی أيام الله المباركات،

---

(١) السابق ص ٨.

يوم الأضحى . وزياد التشريق، ويردد أولا وأخيرا قور الله تعالى نرسونه  
المصطفى :

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ \* وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ

يَحْضُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]

● وبعد فقد أبدع الشيخ الداعية فى عرضه لقضية كتابه مستعينا بالله  
الذى فتح عليه وأمده بمدد من عنده فكان التوفيق والسداد فى كل ما عرض له  
الأستاذ المبارك من جوانب الموضوع من المقدمات المنطقية والنتائج العقلية وتأييد  
عرضه وشرحه بالأدلة العقلية والنقلية والتاريخية فى بيان ناصع وثوب قشيب،  
بأسلوب الداعية الذى يخاطب العقل والقلب معا وينفذ - فى يسر وسهولة -  
إلى إقناع القارئ والمتلقى بما يشرح الصدر وينير العقل ويسعد القلب، دون  
تطويل ممل أو اختصار مخل مع التركيز على القيم التربوية والدروس المستفادة  
وإخلاص النصيحة والغيرة المليحة .

\* \* \*

## الفصل الثالث في رحاب الدعوة الإسلامية

● لعل الحديث في أمر الدعوة والدعاة من الأمور الملحة، إن لم يكن أكثرها إلحاحاً في وقتنا الراهن، حيث تحدق الأخطار بامتنا من كل صوب وحدث، ويستعجل الأعداء موتها وتشيعها إلى مثاها الأخير ليخلو لهم الجو في السيطرة والهيمنة على مقدراتها وضمأن عجزها الدائم، ليلقى العرب والمسلمون نفس مصير الهنود الحمر في أمريكا وتقوم على أنقاض أوطانهم وثقافتهم الإمبراطورية الصهيوأمريكانية على غرار الإمبراطورية الأمريكية في أمريكا الشمالية، وأعدائها ينطلقون إلى غايتهم من مبدأ (البقاء للأصلح والأقوى) وهم يرون في أنفسهم وثقافتهم الأصلح والأقوى!!.

● ولا ريب في أن صلاح الأمة مرهون بصلاح روادها من العلماء العاملين والدعاة المصلحين والولاة الصالحين وحين تنهض الدعوة الربانية على النهج الإصلاحى المقتدي بمنطق النبى والذى يرتكز على التوحيد الإسلامى يحمل لواءها دعاة ربانيون يرجون الله والدار الآخرة شعارهم قول الله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] فتلتف جماهير الأمة حولهم وتلوذ بحياضهم ويستجيب الولاة الصالحون لدعاة الله ونداء الوحدة والتوحيد والاعتصام بحبل الله تعالى ويصير المسلمون كالبنيان المرصوص، وتصبح أمتهم خير أمة أخرجت للناس، أمة رسالية تفاخر البشرية بدعوتها الربانية وكتابها السماوي الذى يطب جراح الإنسانية النفسية والجسدية لترتقى البشرية والإنسانية فى ظلاله حياه الكمال وكمال الحياة، وقتئذ تصير الأمة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وستنتهى كل مشاكل الأمة من تخلف وضعف واحتلال وانتهاك الأعراض والحرمان وستجوز كل التحديات بسفينة النجاة ولواء الإخلاص.

ونعود للدنيا تطبُّ جراحها وستنتهي لشاطئ المأمون

● ولقد تناول موضوع الدعوة والدعاة بالنقد والتحليل والترشيد والتوجيه روادها الكبار في كتابات قيمة، عكفوا فيها على نقد الذات والكشف عن العلات ومواطن الخلل وتشخيص الأدواء وبعث الأمل، وحفز الهمم للجد والعمل، ومن هؤلاء العلماء الدعاة الأفاضل الداعية المجدد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في مؤلفاته الكثيرة التي تعد منارات هداية في مختلف شئون الحياة وبخاصة كتاب (هموم داعية) وكتابه (مشكلات في طريق الحياة الإسلامية)، ومن تلك الكوكبة الفقيه الداعية الدكتور يوسف القرضاوى في كتاب «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» وكتابات الأستاذ الدكتور عبد الودود شلبي في إيقاظ الغافلين والتنبيه والتحذير من المخاطر المحدقة وغيرهم وغيرهم كثير من أفاضل الدعوة المخلصين والعلماء العاملين الذين أخلصوا وجهتهم لله تعالى وأخلصوا العمل وجاهدوا لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وهم في صفاتهم العالية من أهل الفطنة والصدق والأمانة والمهارة والمقدرة في الاتصال والبراعة في التبليغ، وهي نفس الصفات الواجبة في حق الرسل والأنبياء.

– ولا يدخل ضمن هؤلاء الدعاة المخلصين (بفتح اللام وكسرهما) من يشتري بآيات الله ثمنا قليلا أو يبتغى بدعوته (دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها) ولا من يعين بدعوته الطغاة الظالمين، ولا من يرتزق بالدعوة ويعدها وظيفة لمجرد الارتزاق وكسب الأجر دون أن يقصد بعمله وجه الله تعالى، ولا من يفصل الفتاوى تفصيلاً حسب الظروف المناخية!!.

– يقول الشيخ الداعية الدكتور محمد سيد أحمد المسير «هناك تصور شائع يحسب أن كل أئمة المساجد دعاة ونحن نرفض هذا التصور؟ لأن أئمة المساجد – في الأصل – موظفون لرعاية المساجد والإعلان بالصلاة وإمامة المسلمين في الأوقات الخمسة، وهذه مهمة يُكتفى فيها – لدى كثير من الدول

الإسلامية - بقدر ضئيل من الثقافة الإسلامية، أشبه ما يكون بمحو الأمة الدينية، وكثير من هؤلاء إذا اعتلى المنبر لخطبة الجمعة يكون قد نسخها من بعض الكتب، وقد لا يُحسن قراءتها، وتتحول خطبة الجمعة إلى حصة قراءة فاشلة، وما هؤلاء بالدعاة ... ! ولا بهؤلاء تنهض الدعوة ... !! (١).

● إذن ما صفات الداعية الحق في رأى فضيلة شيخنا الدكتور محمد المسير؟ يقول «إن الداعية رجل يحمل مؤهلات نظرية ومكتسبة، لديه مواهب فكرية وله بصيرة الحكيم وفراسة المؤمن ويعيش قضايا أمته وفكر عصره، وقد يكون هؤلاء الدعاة أئمة فى المساجد، أو أساتذة فى جامعات أو مسؤولين فى الإعلام المسموع أو المرئى أو أطباء فى مستشفى أو مهندسين فى مصنع أو سفراء لبلادهم فى دول العالم، ولا تنس أن الذين نشروا الإسلام فى أقصى بلاد الدنيا كانوا تجارا يعيشون بأخلاق الإسلام» (٢).

● وفضيلة الدكتور محمد سيد أحمد المسير من شباب علماء الأزهر النابغين ومن طلائع الدعاة المستنيرين بنور القرآن والذكر الحكيم وهدى المصطفى أمير الأنبياء وإمام المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو يمتلك من مقومات الداعية العبقري ما يؤهله للصدارة فى قافلة الدعاة الراشدين إلى الله ودين التوحيد والخير والسلام، على نهج المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو يجاهد بكل ما آتاه الله من طاقات لمواجهة الأخطار المحدقة بشعوبنا العربية والإسلامية وتستهدف أمتنا فى سويداء قلبها، يقول فى تعليقه على مشروع وزير التعليم فى أحد الأقطار الإسلامية الكبيرة: «ومن المفارقات أن يخرج علينا وزير التعليم بمفاهيم جديدة للتعليم لا تغنى من الحق شيئاً ولا تلبى طموحات أمتنا وتنحصر فى أمور سطحية وأحياناً وهمية لا وجود لها إلا مخيلة المفتونين بالحدائث والمعاصرة.

---

(١) عبادة الشيطان فى البيان القرآنى والتاريخ الإنسانى - دار الوفاء بالمنصورة - بمصر -

(٢) السابق ص ١٧٢ .

لقد حدد وزير التعليم المفاهيم الجديدة بأنها :-

- ١ - الأُمس القومى .
- ٢ - محاربة الإرهاب والتطرف .
- ٣ - الوحدة الوطنية .
- ٤ - التربية الديمقراطية .
- ٥ - مبادئ حقوق الإنسان .
- ٦ - حقوق الطفل .
- ٧ - مفاهيم سكانية .
- ٨ - المساواة بين الجنسين .
- ٩ - البيئة والحفاظ عليها .
- ١٠ - الموارد الطبيعية والحفاظ عليها .
- ١١ - السياحة .
- ١٢ - قواعد المرور .
- ١٣ - المفاهيم الصحيحة الأساسية .
- ١٤ - التغذية السليمة .
- ١٥ - محاربة الإدمان (١)

- ويقول فى تعليق على تلك المبادئ أو المفاهيم التى اقترحها ذلك الوزير :  
« وأقول - فى غير مبالغة - : إن المفاهيم الجديدة للتعليم فى مصر - كما شرحها وزير التعليم - هى حرث فى البحر، وتضييع للوقت والجهد بإهدار للثروة. وتزويد لقوالب فكرية غامضة وجوفاء، ولن ينهض بها التعليم، ولن تحقق هدفاً قومياً وستزيد من الضياع والتشرد الذى يعانى منه شباب الأمة » (٢).

وفى إجابته سؤالي عن دور الداعية فى ترشيد صحوة الشباب الإسلامية وإبعادها عن الانحراف والتطرف والغلو قال : « الدعوة إلى الله تعالى إخلاص وعلم وحكمة، فبالإخلاص تبتعد عن النفاق وبالعلم تنأى عن الجهل، وبالحكمة تنتزه عن العنف والتطرف، والشباب فى حاجة إلى الداعية المستنير الذى يفهم الواقع ويعيش الحاضر ويتفاعل مع البيئة فى إطار منهج القرآن الكريم وسنة خير المرسلين، وحينما يوجه الداعية المستنير فإن الشباب يلتفت حوله ويستجيب له ويستمع إليه » .

- ويمضى فى إجابته موضحاً الحاجة الماسة إلى تربية الشباب وترشيده

فيقول « ونحن في حاجة ماسة إلى ربط الشباب بالمساجد واستعادة الدور النشط للمسجد في إعلاء كلمة الحق ونشر الفضيلة، لأن المساجد بيوت الله ليس للشيطان سبيل عليها، ثم إن الجو الروحي للمسجد يهين العقل والقلب للتأمل الواعي والفكر الراقى البعيد عن الفتن والفحشاء والمنكر... وإن محاولة الداعية حسن الاستماع إلى الشباب، ومشاركته لهم في هموم مرحلة المراهقة، وتقديم الجواب الصحيح لتساؤلاتهم من العوامل المصححة في البعد بالشباب عن الانحراف والتطرف، لأن الانحراف ينشأ حين لا توجد الفضيلة، فالنفس إما أن تشغلها بالحق أو تشغلك بالباطل، والتطرف ينشأ حيث يوجد الفسق والطغيان ويصبح ذو السلوك المهذب غرباء في مجتمعهم.

فإذا حاول الدعاة محاربة الجريمة وتطهير البيئة من الفساد الخلقى بالتعاون مع أولى الأمر، وكان للقيم سلطان على الناس لم يعد في المجتمع تطرف ولا انحراف، علينا أن نحقق قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقول رسول الله ﷺ: « من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ».

● ويشي أسلوب داعيتنا الدكتور محمد سيد أحمد المسير عن ثقافته وتخصصه الدقيق، فهو ابن جامعة الأزهر وقد نشأ في بيت علم ودين وأدب فهو ابن فضيلة الشيخ الدكتور سيد أحمد المسير أستاذ الحديث والتفسير بجامعة الأزهر رحمه الله وهو المتخصص في العقيدة الفلسفة وأستاذها في جامعة الأزهر والجامعات الإسلامية الأخرى، ولذا يعكس أسلوبه الدقة والضبط والتحديد في تناول أفكاره وقضاياها ويجنح لتركيز الفكرة ووجيزة العبارة للوصول إلى غايته في الإقناع والإفهام من أقصر الطرق، مع العرض الشيق للأفكار، ومعالجة منطقية لمسائله، تبدأ بالمقدمات الصحيحة لتنتهي إلى النتائج المنطقية في ناصع البيان

ووجيز العبارة وعذب اللفظ مع النأي عن تكلف البديع ورخرف القول وعدي  
التأثر بالأسلوب القرآني والبلاغة النبوية .

وهو كذلك في كل ما ينتج من فنون القول في الخطابة والأحاديث الإذاعية  
المسموعة والمرئية أو في المحاضرة، وهو كذلك حين يكتب الدراسة أو المؤلف أو  
المقالة أو الخاطرة التي تنشر في الصحف في شكل العمود الصحافي، كذلك  
الخطرة الأسبوعية التي تنشرها صحيفة ( اللواء الإسلامي ) القاهرية الغراء تحت  
عنوان ( الدين النصيحة ) أو تلك التي تنشرها صحيفة ( عقيدتي ) الإسلامية  
القاهرية أحيانا .

\* \* \*

## الفصل الرابع

### إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية !!

● والداعية الإسلامى النابه الدكتور محمد سيد أحمد المسير مثل سائر الدعاة المخلصين يعيش هموم أمته من المحيط إلى المحيط وهو مسكون بشجون الدعوة وأحوال المسلمين فى معاشهم ومعادهم لا يفتأ يستشرف الأخطار المحدقة محذراً من مغبتها وآثارها على الأوطان الإسلاميه ورسالة التوحيد، وفى مقدمة تلكم الأخطار التى تنذر بأوخم العواقب على حاضر الأمة ومستقبلها والمسئولة بشكل مباشر عن معاناة المسلمين الحاضرة ومآسئهم الحالیه حالة التشرذم والتفرق القائمة الآن والتى يسرت على الذئب أن ( يأكل من الغنم القاصية ) برغم تحذير القرآن الكريم والسنة النبوية من الفرقة والاختلاف، الأمر الذى يترتب عليه ضعف المسلمين وعجزهم وتخلفهم وطمع الأعداء فى خيراتهم واستعبادهم وتمزيق بلادهم وانتهاك أعراضهم ونهب خيراتهم وحصارهم وإذلالهم كما هو حاصل بالفعل الآن ليس فى شرق بلاد المسلمين وغربها وأطرافها فحسب بل وفى القلب أو ما يعرف فى الجغرافية السياسية بدول القلب كما هو حاصل فى فلسطين بالاحتلال الاستيطانى الصليبي فى ثياب صهيونية والأخطار الواقعة بالفعل فى العراق وليبيا والجزائر والصومال وتلك التى تتهدد مصر وسوريا والسودان ولا نقول البوسنة والبلقان وكوسوفا وكشمير ومسلمى الهند وباكستان، وأفغانستان ومسلمى بورما والفلبين وتركيا والشيشان ودول آسيا الوسطى بل وإفريقيا الوسطى والغربية.

- وما كان ذلك ليحدث لو أمعن المسلمون فى آية واحدة من كتاب الله تعالى وحفظوها وتعلموها وعملوا بها وهى قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣]

● وما أشبه الليلة بالبارحة، أجل فالمسلمون الآن على شفا حفرة من نار الأعداء المتربصين بالآمة الدوائر إلا أن يتغمدنا الله برحمته ويهيئ لهذه الآمة أمر رشد يجمع شملها ويوحد صفوفها ويفسد مخططات الأعداء فيها ويقيم التضامن فيها ويجمع بها أسباب القوة الكامنة فيها بشراً وأرضاً وسماءً ومياهاً وطاقات هائلة وإرادات جبارة وروحاً فدائية تفتدى أرض الآمة ومقدساتها وخيراتها وأعراضها بالغالى والنفيس تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]

● وفى هذا الإطار يأتى كتاب شيخنا الدكتور محمد سيد أحمد المسير (الحوار بين الجماعات الإسلامية) داعياً إلى تجاوز الخلافات بين جماعات المسلمين فى فروع الدين والاعتصام بأصول الدين وجوهره والتماس الأعذار للآخرين فى التباين والاختلاف فى الفروع حرصاً على وحدة الآمة وخلصها، ومن ثم يطلق دعوته للحوار وتجاوز الخلافات التاريخية سياسية كانت أو عقيدية أو فلسفية للاجتماع على الحد الأدنى من الأصول ونقاط الوفاق والالتقاء التى نكون بها مسلمين ويعذر بعضنا الآخر فيما دون ذلك، كما سبق ودعا إخوة له من الدعاة المبرزين من قبل.

– يقول فضيلته – لافض فوه – «إن الفرق والجماعات الإسلامية، سواء كانت فرقا كلامية تجادل فى العقيدة، أو اتجاهات فلسفية تحاول التوفيق بين الوحي الإلهي والحكمة البشرية، ومذاهب فقهية تسعى إلى معرفة كلمة الله فى العبادات والمعاملات أو طرقاً صوفية تهتم بالأخلاق والسلوك والمجاهدة أو أحزاباً

سياسية تسعى إلى السلطة وإقامة العدل ... إن هذه الطرق كلها مدعوة إلى الحوار كوسيلة للتقارب وأسلوب للتفاهم وأداة للتلاقى» (١).

— ويمضى ملحاً على دعوته للحوار فيقول: «ولا شئ يمتنع فيه الحوار، ولا أحد يتأبى عليه. فالرجوع إلى الحق خير من التماذى فى الباطل، والحكمة ضالة المؤمن والدين النصيحة، ونحن نعتقد أن الاجتهاد فريضة إسلامية ماضية إلى يوم القيامة وأن من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر.

وقد جاء هذا البحث ليحدد القضايا التى يدور حولها الاجتهاد، ومن ثم يدلى الفريقان برأيهم، ويسوقون أدلتهم، ينظرون فى فكر الآخرين بصفاء النية وحسن الوعي وإخلاص القلب لله» (٢).

— وقد بحث داعيتنا المبارك ذلك فى ثلاثة أبواب، تناول الأول منها الدعوة إلى ضرورة (\*) الحوار وأنواعه فى البيان القرآنى ومخاطر الأهواء، وفى الباب الثانى يعرض لضوابط الحوار ويتناوله فى فصلين الأول منهما عن الاجتهاد بين العقيدة والفقهاء والثانى فى أصول الإسلام، وفى الباب الثالث يعرض لقضايا الحوار فى التوحيد والصفات الإلهية والقضاء والقدر والتكليف الإنسانى والأمانة والخلافة ونظام الحكم ووعد الله ووعدته وحكم مرتكب الكبيرة وفقه العبادات والمعاملات الفكر الوافد والتجديد الدينى ويعرض لذلك كله بواضح البيان وناصر الحجة ولين القول (وصادق الحب يملئ صادق الكلم).

### التحدى الصهيونى الإسرائيلى إلى زوال:

● ولا يفوتنا تقديم أتمودج لخواطره المنشورة فى صحيفة (اللواء الإسلامى) القاهرية فى شكل العمود الصحفى بما يعكس مهارة فائقة وقدرة مقتدرة على

(١) الحوار بين الجماعات الإسلامية ص ٣ - ٤ - دار الطباعة المحمدية - القاهرة ١٩٩٧.

(٢) السابق ص ٤.

(\*) وإلى هذا دعا الأديب الإسلامى والإعلامى الدكتور عبد القادر طاش فى مقالته (أشواك فى طريق الحوار) المنشورة فى صحيفة الأهرام القاهرية فى الأشهر الأولى لسنة ١٩٩٩م فى صفحة (قضايا وآراء).

تركيز المعنى وتحديد الفكرة مع وجازة العبارة وعضوبة البيان، وصولاً للغاية من أقرب السبل وأقل الكلام، فيقولون تحت عنوان (انتحار الإسرائيليين): «نشرت بعض الصحف أن القيادة العسكرية الإسرائيلية تسودها حالة من القلق نتيجة الزيادة المخيفة في حوادث الانتحار ويرجعون ذلك إلى التمييز العنصرى بين الجنود وتفشى ظاهرة المخدرات.

وأقول إن الحقيقة الغائبة هنا هي أن الجنود الإسرائيليين شذاذ آفاق ليس لديهم عقيدة قتالية صحيحة فالذين قدموا من مشارق الأرض ومغاربها إلى فلسطين خدعوا بوعود توراتية فاسدة وضحوا باستقرارهم فى أوطانهم من أجل سراب خادع.

- ويمضى فى خاطرته عن (انتحار الإسرائيليين) قائلاً: «إن إسرائيل الكبرى أو الصغرى لن يكتب لها الدوام ولن تستمر على أرض المسلمين ولن تقاوم سنة الله التى تتعقب اليهود أينما كانوا ذلة وهواناً وصغاراً، وإن خمسين عاماً فى عمر التاريخ لا تساوى شيئاً وقد أفسد - من قبل - الصليبيون فى بيت المقدس وأرض الشام وأقاموا دولاً عاشت أكثر مما عاشت إسرائيل الصغرى ثم أتاه أمر الله الذى لا يُرد عن القوم المجرمين فإذا هى أثر بعد عين وإن بقاء إسرائيل مرهون بحبل الناس وحماية الصليبية العالمية لها وهو حبل مقطوع لا يُغنى من قدر الله شيئاً» (١).

- إذن كيف يرى داعيتنا الموهوب سبيل الخلاص وبشائر الأمل؟ دعنا نواصل قراءة خاطرته؟ يقول: «كل ما نحرض عليه ونؤكدده هو أن نربي أجيالنا على وضوح الهدف ونبل الغاية وشرف الوسيلة فى إطار قيم الإسلام ومبادئه مع التخلّى عن انهزامية الثقافة التى تسعى الدوائر الصهيونية لغرسها فى نفوسنا بما يسمّى ثقافة السلام وهم أبعد الناس عن السلام وأقسى الناس قلباً وأغلظهم أكباداً. إنهم ينادون بالرفق بالحيوان وبيقرون بطون نساء المسلمين ويمثلون بحث الأطفال والشيوخ ويهلكون الحرث والنسل ألا لعنة الله على الظالمين.

(١) جريدة اللواء الإسلامى - العدد (٨٩٠) - القاهرة فى (٢٥/١٠/١٤١٩ هـ

(١١/٢/١٩٩٩ م).

## الفصل الخامس من ثمرة التربية الصالحة

● لا جرمَ أن المتأمل في عطاء تلك النخبة المباركة من الدعاة والمفكرين الراشدين المخلصين لرسالة التوحيد والشريعة السمحة لا يمكنه تفسير عطائهم المبارك في حقل الدعوة والتبليغ والذود عن حياض الإسلام ورد مفتريات خصوم الحق وجنود الشيطان والطغيان إلا بالصدق والإخلاص والبركة، إنهم مباركون محفوفون برعاية الله مشمولون بعطفه ولطفه وتوفيقه وتأييده.

– بهذا وبهذا فقط يمكن تفسير ذلك العطاء المبارك وذياك التوفيق وتلكم النجاحات في حقول الإنجاز وبلوغ الغايات والتأثير في عقول شعوب الأمة ووجدانها برغم تنائي الديار وتباعد الأسفار وتباين الأقطار. ومن ثم يرفع الله ذكر تلكم الكوكبة من الرجال النابهين المجددين لحياة الدين الباعثين روح اليقظة والقوة في كيان الأمة على مختلف الأصعدة وعبر رحلة الزمان والسنين.

● وليس من شك أن للتربية الإيمانية الأولى في سني الطفولة والصبا والفتوة أعظم الأثر وأجل الخطر في توجيه طاقات الإنسان لخدمة وتوجيه السلوك نحو الرشاد واكتشاف المواهب ورعايتها وتنميتها والارتقاء بها حتى تؤتي أعظم ثمارها وأقصى إمكاناتها؛ ولقد وضع الإسلام منهجاً سديداً يكفل تحقق غايات التربية المثالية والواقعية في آن واحد؛ حيث ضمن لأبنائه وأتباعه أن يكونوا بتلك التربية الإيمانية خير أمة أخرجت للناس، وجعلهم شهداء على البشرية هداة للأمم ومنازل للسلام والتقدم وتحقيق الإنسانية الحقة للإنسان الحائر وسط الفلسفات المادية التي تركز ضياعه وعبثيته ولا تساعده على فهم معنى الحياة وغاية الوجود، الأمر الذي يترتب عليه نشوب الحروب حروب الهيمنة وإعلاء عقيدة القوة المتغطرة واستلاب الأمم الضعيفة وعبادة القوة وفرض الأمر الواقع دون وجه

حق، كما هو حاصل الآن فى ظل الهيمنة الصهيونية الأمريكية وعريضة القوة وتهديد وجود الأمة الإسلامية والوطن العربى !!

● وتُعنى التربية الإسلامية كما يقول فضيلة الدكتور محمد سيد أحمد المسير بالطفل: قبل ميلاده حيث يحث الإسلام على اختيار كل من الأب والأم على أساس الدين والخلق كى يتوفر للطفل بيئة صالحة وقدوة طيبة، قال عليه الصلاة والسلام: تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها ولنسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك « (رواه البخارى) وقال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير» (رواه الترمذى).

– ويلفتنا داعيتنا المبارك إلى ما شرعه الإسلام من حقوق الطفل فى تحسين اختيار اسمه والاحتفال بمقدمه بعمل وليمة فى اليوم السابع من مولده يدعى لها الأصدقاء والأقارب ويأكل منها الفقراء، ويؤكد على الهدى الإسلامى فى حسن رعاية الطفل بالرضاعة الطبيعية لأهميتها فى التنشئة الصحية والعاطفية لبنيان الطفل الجسمانى والروحانى، وينبه إلى رحمة الإسلام بالطفل وتدليله وتقيله ثم القيام على تأديب الطفل فى السبعة الثانية من عمره بعد السبعة الأولى التى تقوم على الملاحظة والرعاية حيث يؤمر الأطفال بالصلاة لسبع سنين وضربهم عليها، لتركها لعشر سنين ويلفت إلى فضائل توجيه الصبى إلى الوضوء والصلاة، لما ترسخه من قيمة وتؤصله من عادات ومبادئ الطهارة والنظافة واحترام الوقت والنظام وتنشئته على الفضائل ومكارم الأخلاق وتساعد على تكوين شخصيته الاجتماعية بمشاركته فى الجمع والجماعات والأعياد والتعرف على المؤمنين الصالحين.

● وينبه الرجل (بارك الله عليه) على اشتغال التربية الإسلامية والتوجيه الإيمانى على التربية الرياضية وأدب تناول الطعام والحديث مؤيداً ذلك ما اشتمل عليه الهدى النبوى الشريف ومن ذلك ما رواه البخارى رضى الله عنه «أن الرسول ﷺ مرَّ على نفر من (أسلم) ينتصلون (يرمون) على سبيل المسابقة فقال: ارموا

بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا وأنا مع بنى فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال ﷺ ما لكم لا ترمون؟ فقالوا: يا رسول الله نرمى وأنت معهم!!؟ فقال ارموا وأنا معكم كلكم.

- وفي أدب الطعام وأدب المائدة يروى شيخنا هذا الحديث عن عمر بن مسلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ فكانت يدي تطيش في الصفحة فقال لى الرسول ﷺ: يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك « كذلك ينبه الشيخ إلى أدب الإسلام في تربية الأطفال على الاستئذان داخل الأسرة في الأوقات الثلاثة التي حددتها الآية الكريمة في قوله جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النور: ٥٨]

- وفي السبع الثالثة من عمر الفتى نبه ﷺ إلى صحبة الفتى المراهق ومصادقته من قبل الأب وكذلك الحال مع الأم والفتاة حيث يمر الفتى أو الفتاة بمرحلة المراهقة وهي مرحلة التحولات الجسدية والنفسانية الكبيرة التي ترهق الإنسان وتحتاج إلى المعالجة الحكيمة من الآباء والأمهات وهي التي أوصى بها الإسلام ليكون الفتى أو الفتاة أقرب ما يكون إلى الأبوين لتمر هذه الفترة من حياة الإنسان بسلام، وذلك بالصحبة والصدقة التي تكسب الفتى أو الفتاة الثقة بالنفس والصدق في تناول تجاربهم وصدقاتهم وتفتح الباب لتساؤلاتهم واكتسابهم القيم الاجتماعية واكتشاف المجتمع والتعرف على قيمه بالتزاور والرحلة والصحبة إلى دروس العلم وبيوت الله واللهم البرئ والمراقبة عن بعد ومساعدتهم على الاستقلال بشئونهم. واعتمادهم على أنفسهم.

● وبارك الله في عطاء شيخنا الداعية الدكتور المسير فيصدر المؤلفات الكثيرة في مجال الدرس التخصصي لطلابه ولجمهور الدارسين والأدباء والمتأدبين لتشتمل على ترشيد العقائد وتصويب الأفكار وهداية الخلق والتوعية بقضايا

الأمة فضلا عن أحاديثه المذاعة مسموعة ومرئية ومحاضراته وخطبه وكتاباتاته في الصحف وإجابته استفسارات السائلين المتفهمين في أمور الدين عبر المذياع أو من خلال الهاتف فضلا عن مشاركته في المؤتمرات العلمية والفقهيّة والدعوية والسياسية في مناصرة قضايا أمته العربية والإسلامية في مختلف العواصم العربية والإسلامية، ثم قيامه على تحقيق مؤلفات والده الشيخ الدكتور سيد أحمد المسير. رحمه الله تعالى - الذي كان أستاذاً للتفسير والحديث ورئيساً لقسم الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، ومن تلك المؤلفات التي حققها الداعية الابن لوالده الشيخ :

١ - السنة مع القرآن . ٢ - السنة المطهرة .

٣ - إلزام القرآن للماديين والمليين . ٤ - دراسات قرآنية .

- أما مؤلفات الشيخ الدكتور محمد سيد أحمد المسير فهي :

١ - في نور العقيدة الإسلامية ٢ - أدب الحديث عن الله .

٣ - علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية . هذا (في مجال العقيدة) وفي مجال الفلسفة له :

١ - الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة .

٢ - المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه .

وفي مقارنة الأديان :

١ - المدخل لدراسة الأديان ٢ - أصول النصرانية في الميزان

٣ - أوروبا والنصرانية . ٤ - المسيح ورسالته في القرآن .

٥ - عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني .

وله في الفرق الإسلامية :

١ - قضية التكفير في الفكر الإسلامي

٢ - الحوار بين الجماعات الإسلامية .

٣ - مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية .

وله في السيرة النبوية :

- ١ - الرسول في رمضان .
- ٢ - الرسول حول الكعبة .
- ٣ - الرسول والوحي .
- ٤ - الرسول وقضايا المجتمع .
- ٥ - الرسول والموافقات .

وله في الشريعة الإسلامية :

- ١ - محاوره تطبيق الشريعة .
- ٢ - نحو دستور إسلامي .
- ٣ - أخلاق الأسرة المسلمة .

● وقد سألته عن أبرز الدعاة الذين أخذ عنهم وتأثر بهم فأجابني يقول :  
والدي - رحمه الله تعالى - فقد كان أستاذاً للتفسير والحديث ورئيساً لقسم  
الدعوة في كلية أصول الدين - جامعة الأزهر بالقاهرة . قضى حياته كلها في  
خدمة القرآن والسنة والدعوة إلى الله تعالى ، وبناء الشباب على قيم الإسلام ،  
وكان - رحمه الله تعالى - على سيرة السلف الصالح ، فلم يهتم بمظهر ولم يعبأ  
بجاه ، ولم يتملق كبيراً ، واعتز بإسلامه وأزهريته اعتزازاً لا يُضارع ، حتى قال : لو  
كان لي من الأبناء عشرة ما علمتهم إلا في صحن الأزهر القديم . . . ، وكان يردد  
كثيراً قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ  
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وكان رحمه الله تعالى - يتلوها ( هكذا ) وقال - أي مفتخراً  
- إنني من المسلمين ، ودعاؤه الضارع إنما هو دعاء عباد الرحمن : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا  
مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤]

- ويمضى الشيخ في حديثه الندى عن والده فيقول : « وفي بيته كان  
يتولى شئون نفسه رغم ما أصيب به من فقد بصره بعدما جاوز الخمسين من  
عمره ، وقال يومئذ : الحمد لله الذي جعلني لا أرى منكر النساء العاريات  
الكاسيات .

وعندما عاد من رحلة الحج إلى البيت سألتناه بماذا دعا لنا؟

فقال ( وكان شديد الشوق لهذه الرحلة ) : ( من كان له حبيبٌ فليدع له

بالحج ) .

● وبعد : فليس بمستغرب أن يقصُّ علينا داعيتنا المبارك الدكتور المسير بُرهان تأثره بوالده - رحمه الله تعالى - بهذا الحماس له وذلك الإعجاب به وتلك العاطفة المشبوبة بالوفاء والإقبال عليه، إذ لا يكون الأمر كذلك إلا إذا حَسُنَتْ تربية الوالد فكان الابن ثمرة تربية صالحة وصار قرة عين لوالده تحقيقاً لدعوة عباد الرحمن ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ فكان الداعية الابن الأستاذ بجامعة الأزهر دعوة مستجابة لوالده الداعية الشيخ الأستاذ بجامعة الأزهر أيضاً ( رحمه الله رحمة واسعة )، كما كان شاعر الإسلام الفيلسوف الدكتور محمد إقبال تحقيقاً لرؤيا صالحة رآها أبوه الصالح الشيخ محمد نور محمد وقصَّها فقال إنه « رأى فيما رأى النائم حمامة بيضاء ناصعة تقع في حجره وتسكن إليه » وفسرت الرؤيا لأبيه أنه سيرزق ابناً عظيم الجد والإقبال فكان الطفل المبارك هدية السماء ورحمة الله محمد إقبال الذى يحكى عن أثر تربية والده عليه فيقول : « يرجع الفضل فى كل ما أنشأته من شعر أو نشر إلى توجيهات أبى رحمه الله فقد كنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح وكان يرانى والدى فيسألنى : ماذا أصنع؛ فأجيبه بأننى أقرأ القرآن، وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألنى سؤاله فأجيبه : بأنى أقرأ القرآن، وفى ذات صباح قلت له بعد إجابتى . ولكن لماذا يا أبى تسألنى عن شئ أنت بجوابه عليم؟ فقال « إنما أردت أن أقول الله يا بنى : أقرأ القرآن كأنه نزل عليك، ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبلُ عليه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن بحره ما نظمت » .

( ١ ) الأعلام الخمسة للشعر الإسلامى - محمد حشن الأعظمى والصاوى على شعلان

تحقيق مصطفى غالب - مؤسسة عز الدين - بيروت / لبنان .

● وما يبرهن على الأثر الكبير في تربية الآباء لأبنائهم التربية الصالحة فيجتنون أطيب الثمار في نجاح الأبناء وصلاحهم ونبوغهم في المستقبل ما يحكيه إقبال أيضاً في ديوانه «أسرار خودي» أن (أسرار الذات) والمترجم نثراً فيقول: «وقع على أيدينا سائل آلمنى صياحه وإلحاحه، فخرجت إليه فهويت على رأسه بضربة بعثرت ما بيده مما جمعه طوال يومه، فلما رأى والدى تلك الحادثة اصفرَّ وجهه الأحمر، وانحدرت الدموع نهراً على خديه وقال: -

تذكر يا بنى جلال المحشر!

يوم تجتمع أمة خير البشر

وارجع البصر كرةً إلى لحيتى البيضاء؛ ونحول جسمى المرتعش بين الخوف والرجاء.

كن يا بنى من البراعم فى غصن محمد (١).

وكن زهرة يحييها نسيم ربيع (المصطفى).

● ألا ما أجمل التربية الإيمانية وما أطيب ثمارها وما أعذب الحياة بها وما أحرانا بالأخذ بها والإقبال عليها والتسليم لها، إذن لكان لنا شأن آخر ولأمتنا مستقبل باهر.

\* \* \*

---

(١) مع إقبال - شاعر الوحدة الإسلامية - للمؤلف - مكتبة النور بالقاهرة ١٩٨٦م.

(٤) - للحق والنهضة والجمال

## الفصل السادس الإسلام يتحدّى فلسفات العصر (\*)

لعل الأمر اللافت لنظر المتأمل في أمر دين الإسلام هو ذلك العطاء المتجدد لعقيدة الإسلام عبر القرون المتتالية إلى عصرنا الحاضر في أواخر القرن العشرين الميلادي. وبرغم فترات الانكسار العسكري والتراجع الحضارى لأمة الإسلام في أوقات متفرقة من التاريخ في مواجهة هجمات شرسة على أرض الإسلام وحياض المسلمين من الشرق والغرب كما في هجوم التتار من الشرق وإسقاط الخلافة العباسية وهجوم الصليبيين وتأسيسهم الممالك في الشام ومصر والقدس لعشرات السنين، حتى إن بعض الممالك الصليبية عمرت نحو مائتى سنة. برغم ذلك سرعان ما ينهض المسلمون من جديد وما يلبث المارد الإسلامى حتى ينفض عن كاهله غبار سنوات الضعف والانكسار لينطلق من جديد. رافعاً راية التوحيد، وهكذا الدنيا دُول، والصراع الحضارى جولات، ولا شئ يبقى ويدوم، وإنما الأمر في جولات الصراع لمن أخذ بأسباب النصر واستمسك بالحق وأعد العدة لمواجهة الباطل ونُصرة الحق والعدل والحرية، ودولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة.

وفي عصرنا الحاضر بخاصة وفيما مضى من العصور بعامة، ومنذ أظهر الله دينه ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأطل وجه الإسلام يغمر الدنيا بضياءه ويبشر بحضارة الإنسان الحقّة، حضارة التوحيد والحق والحرية والمساواة، ما أنفك أنصار الباطل وجنود الشيطان، وعَبْدَةُ أوثان البشر والحجر والدرهم

---

(\*) نُشرت هذه الدراسة على حلقتين في صحيفة «أخبار الخليج البحرينية» في شهر رمضان ١٤١٤ هـ يومى الجمعة والسبت (١٨/٢/١٩٩٤م) و(١٩/٢/١٩٩٤م) وكانت أولى دراسات (في ظلال الكتب).

والدينار والمال والهوى والشهوات، يدبرون ويكيدون نحو هذا الدين وإبادة المسلمين ولكن: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ \* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣]

وبرغم سوء أحوال المسلمين وضعفهم وتخلفهم حضاريا وتقنيا، وبرغم تخلف المسلمين عن تمثل قيم الإسلام من احترام للوقت وإتقان في العمل، واستعمار الأرض والأخذ بأسباب القوة والعدل وحقوق الإنسان من منظور الإسلام، وسوء تمثيلهم لخير أمة أخرجت للناس، الأمة الوسط التي جعلها الله شهيدة على الناس، أمة الرسالة والريادة والحضارة الإيمانية، حضارة الإنسان الكامل وبرغم الجهود الجبارة التي يبذلها أهل الباطل من مختلف الملل والنحل، وبرغم امتلاك خصوم الإسلام لكثير من أسباب القوة والجاه والنفوذ وأساليب السيطرة على الأرض وتجاوزها إلى الفضاء، برغم ذلك يبقى للإسلام بريقه الخاص وسحره الأخاذ، وتبقى المثل العليا عند المسلمين في عصور الضعف والانحطاط موصولة بالمثل الإسلامي والأنموذج الإسلامي الوضئ في عالم الحق والخير والجمال وتبقى عقيدة الإسلام دافعة ومحركة لمكانم القوة لدى المسلمين، وستظل دعوة الإسلام مهوى قلوب وعقول المسلمين وأولى الألباب من جميع البشر، وستظل دعوة الإسلام العصا السحرية التي ينطلق منها المسلمون نحو القوة والمجد والانتصار وتجاوز مرحلة الإنكسار، والمطالع للأحداث المحيطة لن يحتاج إلى مجهود كبير ليتأكد من ذلك، سواء بالنظر إلى أحوال المسلمين أنفسهم أم من خلال استقرار حركة انتشار الإسلام في العالم الأوروبي والأمريكي وفي شمال شرق آسيا.

ولا شك أن دعوة الإسلام لم يتحقق لها ذياك النجاح وذلك الخلود من فراغ ولكن لأنها دعوة الحق، ولأنها كلمة الله الباقية لبنى آدم، وبما وهبها الله من قوة النفاذ والانتشار، ولعن دأب الخصوم والمتحاملون على اتهام المسلمين بنشر

الإسلام بقوة السيف، فماذا يقولون الآن في انتشار الإسلام وبقاء جدوته متوهجة وأهل الإسلام لا يحملون السيف وإن حملوه فلطعن أنفسهم لا لظعن أعدائهم وصاروا كما قال الشاعر:

وأحياناً على بكر (أخانا) إذا لم نجد إلا أخانا!!

- ولكن يبقى الأمل فى هذه الأمة أن يرفق الله بها وأن يهين الله لها من أمرها رشداً، وأن يقبض الله تعالى - لها من يجدد لها دينها ويقودها نحو حياة العزة وعزة الحياة لتأخذ مكانها الطبيعي فى قيادة البشر على نهج الإسلام وهدى المصطفى الكريم - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم -، وفى هذا يقول شاعر الإسلام محمد إقبال: «إن المسلم، وإن كان قد تجرد من أبهة الملك والسلطان، ولكن ضميره وتفكيره لا يزالان ضمير الملوك وتفكيرهم، وأنه إن قدر له أن يعود إلى مركزه. كان جماله جلالاً، وكانت له سطوة لا تطاق» (١).

وبعد ... فما أكثر ما أرهق الإنسان المتمرد ذهنه ليشرع القوانين ويضع الأسس والفلسفات، ويحسن أنظمة من وضعه لم يستضى حين وضعها بمصباح الوحي ولم يهتد بهدى السماء فضل وأضل وفى هذا الإنسان المتمرد وضربائه قال الحق - تبارك وتعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]

- لقد كرم الإسلام الإنسان أعظم تكريم، واحتفى بعقله أيما احتفاء ومن أجل كرامة الإنسان والحفاظ على نفسه وعقله ودينه وماله وعرضه كان شرع الله، ولهذا بعث الله أنبياءه ورسله لبنى آدم ليتعهدوا الإنسان بالتربية والتوجيه والتهديب لتتحقق إنسانية الإنسان الحقة وليتحقق التوازن النفسى والجسدى لهذا المخلوق العظيم الذى جعله الله خليفته فى الأرض حيث استخلفه فى الأرض لعبادته والقيام بأعباء التكليف فى التعمير والسعى ونشر الخير والحق وتحرير

(١) انظر (مع إقبال - شاعر الوحدة الإسلامية) ص ١١٤ للمؤلف.

المستضعفين والدفاع عن الحق والخير في مواجهة أنصار الشيطان وجنود الشر والفساد وعبد الطاغوت .

وفى هذا الإطار وعلى هذا الدرب الإيماني يمضى الأستاذ يوسف الملا فى مؤلفه القيم ( الإسلام يتحدى فلسفات العصر) مساهمة فكرية من كاتبنا الكريم - فى أسلوب أدبى - لبيان عظمة دين الإسلام وثناء شريعته وجدارتها بالسبق والاتباع والخلود، وفى هذا يقول الكاتب الأستاذ يوسف الملا: «لقد بذلت ما وسعنى الجهد وما أسعفنى به الوقت لإبراز دور العقيدة الإسلامية وما تحمله للإنسان من تشريع، ومفاهيم فى شئون حياته، وما تحويه من قيم لتحديد غايته واتجاهه الفكرى وسلوكه الاجتماعى، وما تهىء له من أسباب لتجميع طاقاته الروحية والمادية فتجعله مرتبطا ارتباطا وثيقا بقوى الكون الظاهرة والخفية» (١).

- وحيوية الموضوع وصعوبة السباحة فى بحاره وخلجانه رأينا الكاتب حين إبحاره متزودا بكل ما يحتاج إليه الإبحار فى المحيطات الواسعة حتى يصل إلى بر الأمان وشاطئ السلام، فكان - بخق - ربان سفينة ماهراً، وبرغم تناوله لمواضيع وقضايا كثيراً ما تبقّى حكراً على المتخصصين إلا أننا نراه يتعرض لها تعرض الفقيه الدارس الواعى لما يعرض له، نجد ذلك فيما يتعرض له من قضايا التشريع وأصول الفقه، والفلسفات الغربية، ونرى كاتبنا الأديب حين يعرض لذلك يعترف بأنه تناولها «من باب الاجتهاد الشخصى» ويعترف أيضاً بأنه ليس «مشرعاً أو فقيهاً أو مصلحاً دينياً» ولكن الذى دفعه «لتناول هذه البحوث فى إطار الفكر الإسلامى هو» انتماءه لأمة الإسلام واعتقاده العميق «بمبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة» (٢).

وقد عالج الكاتب مادة كتابه (الإسلام يتحدى فلسفات العصر) فى أربعة فصول فضلاً عن المقدمة والإهداء، والكتاب فى متنه وبنيته جملة من المقالات

---

(١، ٢) الإسلام يتحدى فلسفات العصر ص ٨، ٩ .

والبحوث المنشورة لكاتبنا الباحث فى عدد من الصحف والمجلات والدوريات كصحف « أخبار الخليج » البحرينية و« الخليج » الطيبانية ومجلات « الهداية » البحرينية ومجلة « التعاون الخليجى » ومجلة البحرين الخيرية وجريدة « أخبار بابكو » وغيرها من الصحف والمجلات .

- وبرغم أن مادة الكاتب نشرت بحوثا ومقالات متفقة إلا أنها تتراص فى فصول الكتاب فى تتابع وتكامل يؤازر بعضها بعضا، وينتظمها بناء فكرى منسجم متناسم، ينطبق ذلك تمام الإنطباق على الوحدة الأساسية التى تكون مادة الكتاب التى هى المقالة كما ينطبق تماما على الوحدات الأكبر المتمثلة فى الفصول التى يتكون منها بناء الكتاب .

ويقوم أسلوب الكاتب فى معالجة مادة كتابه على المجادلة بالتى هى أحسن والاستعانة بالمنطق والبرهان والدليل والإحصاء وأقوال المثقفين مع معسكر المسلمين ومعسكر خصومهم على السواء، ويعرض قضيته بأسلوب التحليل وإبراز البقضية ودعمها بالأدلة المنطقية والنقلية وسوق البرهان تلو البرهان فبدا محاميا بارعا ومنظرا ماهرا، وكما برع كاتبنا فى اختيار عناوين موضوعاته برع فى معالجة محتواها، ومن مثل عناوينه فى الفصل الأول « تشويه الحقيقة الإيمانية » و« عندما تهب الرياح الصفراء »، « الإسلام ليس بظاهرة علمية أو اجتماعية »، « دعوة تؤذى الضمائر »، و« خصائص الشريعة الإسلامية »، الأحكام الشرعية بين الضرورة والسماحة » .

- وفى الفصل الثانى الذى عنوانه « الشريعة والنزعة النفسية » نطالع من عناوينه « كيف يربى الإسلام الشباب »، « ملامح من التربية الإسلامية »، « توجيه الإسلام إلى تهذيب الغرائز » و« السلوك الإنسانى وارتباطه بالعقيدة »، « شئ من الإعجاز النفسى فى القرآن »، و« المفاهيم وصلتها بالتشريع الإسلامى » وكذلك الأمر فى الفصل الثالث الذى عنوانه « بين كيان المؤمن وإرادته » والفصل الرابع ( الأخير ) الذى عنوانه « ويبقى الحق صامدا » ويعالج فيه من الموضوعات مثار

الجدل « ظاهرة الاغتراب »، و« الإسلام والانفتاح الفكري » و« الإسلام وتصديه للفقر » و« الإسلام والدعوة إلى العمل ».

وقد توافر للكاتب حين بنائه لمقالاته وبحوثه كل ما يلزم الكاتب حين بناء مقاله أو بحثه من التمهيد للموضوع وعرضه لأفكاره وحسن الختام، كما توافر له ما ينبغي أن يتوافر للمقالة من سمات مشتركة مثل تحديد الموضوع والعرض الشائق للأفكار ودعم الموضوع بالأدلة والبراهين للإقناع بالفكرة، وقد استعان كاتبنا حين عرض لقضايا التشريع أو التربية وعلم النفس أو مناهج الفلسفة والثقافة بما يحتج به من المراجع المعاصرة والتراثية على السواء. فضلا عن جهد الكاتب وصبره الطويل في معالجة قضايا كتابه حتى اكتمل كتابه، فجاء من روائع ما كتب في مجاله، في بيان رائع وصَوَّغ جميل وأسلوب بليغ.

- ومن مقالات الكتاب مقالة بعنوان « الأحكام الشرعية بين الضرورة والسماحة » وهي من مقالات الفصل الأول، يعرض الكاتب في التمهيد لظاهرة التصور الخاطئ لضرورة الدين وحاجة البشر إليه وأهمية الشريعة الربانية في رعاية مصالح أفراد المجتمع الإسلامي وحماية الفرد والجماعة وإرساء الفضائل في المجتمع، ويرجع الكاتب ذلك إلى « وطأة العصبية والشهوة الذاتية والانحراف في تصور الوقائع والأهواء المتسلطة » يقول كاتبنا الأديب يوسف الملا: « ومن هذه الصور الجافة التي يعتنقها البعض هي: أن الدين مزيج من القسوة والانطواء والحرمان من ملذات الحياة ومتعتها، ودعوة إلى الاستسلام وقهر النفوس على ما تكره ... ويزعمون أن تعاليم الدين ومفاهيمه لا توأكب انطلاقات العصر ولا توجهاته، لذا يجب عزل الشرائع عن محيط الإنسانية<sup>(١)</sup> .

- هكذا عرض الكاتب لقضية المقالة في التمهيد لها وحددها ثم يشرع في مناقشتها بأسلوب لطيف لا إسفاف فيه ولا تجريح وإنما يعرض للأمر بأسلوب العلماء الكبار وموضوعيتهم فيقول: « إن هذا التصور الخاطئ من المتجاسرين

(١) المصدر السابق ص ٤٩ .

والمتخلفين، واتجاههم النازع إلى كراهية العقيدة والافتراء عليها هو إجحاف بالدين وإهدار لجميع الحقوق والواجبات التي يأمر بها الله - عز وجل - في ظل شرعه السامى (١).

- ثم يسوق - فى عرضه وتحليله لقضية المقالة - الحجج والبراهين ليبين أسس الشريعة وغاياتها التى جاءت « لرفع الحرج والمشقة ودفع الضرر عن الناس ورعاية مصالح البشر وصيانة الحقوق لأصحابها وتحقيق العدل والتزامه بأحكام الدين ورفع الظلم عن النفس والعرض والمال والعقيدة ثم يسوق فى التذليل على قوله ذلك قول الإمام ابن قيم الجوزية الدمشقى فى عبارته البليغة التى تبرز أسس الشريعة وغايتها فيقول ابن قيم الجوزية فى مؤلفه أعلام الموقعين: «إن الشريعة الإسلامية مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد، وهى كلها عدل ورحمة ومصالح وحكمة، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة» (٢).

- ثم نرى كاتبنا الكريم يعرض فى مقالته لكل مبدأ وغاية من مبادئ وغايات الشريعة الربانية بالإسهاب والإطناب مستعينا بالنص القرآنى والحديث الشريف وأقوال العلماء والمراجع العلمية قديمها وحديثها، ويعرض لبعض القواعد الفقهية الشرعية التى ترعى مصالح الناس ويبسطها بالشرح والتحليل والتعليق.

- ويبقى جهد الكاتب وصبره فى إنجاز كتابه هذا مثار تقدير وإعجاب من كل المخلصين، فله منا التحية والدعاء بالتوفيق والسداد، ليثرى المكتبة العربية والإسلامية بمثل هذه الكتابات الجادة الهادفة على طريق النهضة الإسلامية المنظورة والدعوة إلى الإسلام وفق المنهج الوسطى سمة أهل هذا الدين وسر عظمته وبقائه وخلوده بإذن الله وحفظه.

\* \* \*

(٢) السابق ص ٥٠.

(١) السابق ص ٤٩.

## في رحاب النهضة العلمية والتعليمية المعاصرة

- في أجواء مكة المكرمة والقاهرة في الأربعينيات
- رحلة الذكريات والشجون التربوية.
- في موكب الزمن مع الشيخ الجليل والسيد النبيل الأستاذ محسن أحمد باروم.



## الفصل الأول

### فى رحاب العلم والعلماء

• تنهض الأمم وتزدهر الحياة وينتشر العمران وتقوم الحضارات مرتكزة على منظومة القيم الإنسانية التى تُعلى قيم العلم والعمل ومكارم الأخلاق مشتملة على الإيمان الذى يفجر فى الإنسان طاقاته الخلاقة وقواه المبدعة التى تستعذب الكفاح والجهاد فى نصرة العقائد والمثل العليا ورفعة الأوطان وعزة الأمم، فى عالم تتدافع فيه الشعوب والأمم للفوز بالغبلة والسيادة، وما لم تتسلح الأمة بأسباب العزة والمنعة تناهشتها الذئاب من كل جانب، وبات أبنائها كالأيتام على مآدب اللئام، أو كالشياه فى الليلة المطيرة كثيفة الغمام. يقول تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]

– من أجل هذا جاء الإسلام العظيم بمنظومة قيمية تكفل لشعبه وأمة النهضة والعزة والسيادة، لامتلاكها كل مقومات الريادة لبني البشر من عقيدة صافية وشريعة إلهية وسطية تستجيب لفطرة الإنسان بلا إفراط ولا تفريط، وتحقق له السعادة الروحية والاستقرار النفسى، فليس ثمة صراع بين العقل والقلب ولا بين الدين والعلم ولا بين الرجل والمرأة، وإنما وفاق وانسجام تام بين حاجات الجسد وأشواق الروح وبين وهج العقل وحرارة العاطفة، فضلاً عن البناء الأخلاقى الذى يصنع الإنسان الكامل فى رحمته وقوته وحزمه وسماحته وسعة أفقه وصدقه مع النفس ومع الغير وتعاطفه مع جميع الكائنات فى وئام تام مع المنظومة الكونية من بشر وحجر ونبات وحيوان فى توازن بيئى عبقرى تحارمه العقول المنصفة؛ ولذا ينتشر الإسلام صباح مساءً، ويكسب كل يوم أرضاً جديدة فى عمق بلاد أعدائه برغم ضعف المسلمين وتخلفهم !!

● نعم لقد جاء الإسلام لأمته بأسباب العزة والكمال الإنساني وضم  
 للمؤمنين المخلصين المحبين لله ورسوله الملتزمين بشريعته السمحاء والمتخلقين  
 بأخلاق الرسل والأنبياء، ضمن لهم التمكين في الأرض والشهادة على البشر  
 أجمعين، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي  
 ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ... ﴾  
 [النور: ٥٥] وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى  
 النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾ [البقرة: ١٤٣]

– وفي صدارة الأسس التي هي ضرورة للإيمان الصحيح والعقيدة الصافية  
 والحياة الكريمة يأتي العلم؛ ولذا كان أول هدى الإسلام في تربية المؤمنين الأمر  
 بالقراءة وطلب العلم النافع؛ لتحقيق التوحيد الخالص ونشر العمران في الأرض؛  
 ليحقق الاستخلاف الإنساني الصالح على هذه الأرض، فكان قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ  
 بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ  
 بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥] ويمجد الله تعالى القلم ويقسم  
 به وبما يكتبه فيقول تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١]، ويفرض  
 الإسلام العلم فرضاً على أبنائه في مختلف شئون الحياة، وبما يصلح دين  
 المؤمنين ودنياهم، كما في قوله ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم »،  
 وقوله عليه الصلاة والسلام: « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً  
 إلى الجنة ».

● أمَّا المعلم فله الثواب العظيم والدرجات العُلا مع الشهداء، وما جاء في  
 القرآن الكريم والسنة النبوية في تمجيد المعلمين والعاملين يجعل من رسالة العلم  
 والعلماء مثلاً أعلى في دُنيا الناس ومثالاً عبقرياً لمن ينشد الكمال والحظوة عند  
 الله وعند الناس، وكيف لا وقد بعث الله تعالى رسله وأنبياءه هُداةً معلمين؟! .

- وما أجمل وما أعذب وما أبلغ وما أندى ما جاء في حديث رسول الله ﷺ بهذا الشأن حيث يقول عليه الصلاة والسلام: « إن الله وملائكته وأهل الأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير »؛ ولذا لم يكن غريباً أن يُعبّر عن ذلك أمير الشعراء أحمد شوقي بقوله:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

● وقد رفع الله شأن العلماء العاملين وبوأهم منزلة عالية فقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾ [المجادلة: ١١] ﴿وَقَرَنَ اللَّهُ أَهْلَ الْعِلْمِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ...﴾ [آل عمران: ١٨]

- وقد رغب المولى عز وجل في طلب العلم ورفّع درجة العلماء كما في قوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وأيضاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾ [الزمر: ٩]، وأمرنا - عز وجل - بالاستزادة من طلب العلم والمداومة على مذاكرته فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] كما أمرنا المصطفى بذلك أيضاً وطلب العلم من المهد إلى اللحد، قبل أن تكتشف التربية الحديث نظرية (التعليم المستمر).

- وقد حث الإسلام على ضرورة طلب العلم النافع لبنى البشر وإسعاد الإنسان وتحقيق التكامل والإنسجام بين مختلف الموجودات أو ما يسمى الآن (التوازن البيئي)؛ ولذا جعل الإسلام طلب العلم باسم الله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، فلا يكون العلم ومنتجاته في القتل والإبادة وإفساد الحياة وتدمير العمران واغتيال الكائنات وتلويث البيئة وإيذاء الحيوان والطير والشجر، وقد نبّه شاعر النيل حافظ إبراهيم على هذا المعنى في مناشدة أبناء الوطن على ضرورة اقتران العلم بالأخلاق الصالحة حين قال على لسان مصر:

وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق فالعلم وحده ليس يجدي

● ولقد خص الله تعالى عباده المؤمنين وجنده الموحدين على الأخذ بأسباب القوة وإعداد العدة لدرء خطر الأعداء الطامعين في خيرات الأمة التواقين لإذلالها وإعلاء قيم الشيطان والطغيان، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

[الأنفال: ٦٠]

– ومن أهم أسباب القوة العلم، وبخاصة في عصرنا الحالى – وقد تشرذم المسلمون في عصرنا الحاضر وذهبت ريحهم، وتخلفوا عن ركب الحضارة وصارت الأعداء تتداعى عليهم كما تتداعى إلى قصعتها كما وصفهم الحديث النبوى الشريف فى بلاغة بليغة وبيان عبقرى ناطق بحال أمة الإسلام فى هذا العصر، ومن ثمَّ كان لزاماً على أبناء الأمة النابهين فى مختلف أقطارها وبخاصة فى مهد الإسلام وبلاد الحرمين الشريفين أن يشمروا عن ساعد الجد، استجابة لنداء الإسلام بالأخذ بأسباب القوة لنهضة الأوطان الإسلامية بالعلم والعمل والبحث عن مكامن القوة فى الأمم التى سبقتنا فى مضمار المدنية والعمران، والسعى الحثيث فى طلب الحكمة فى مشارق الأرض ومغاربها؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها كما علمنا الهدى النبوى الشريف .

\* \* \*

## الفصل الثاني

### ٢ - الشيخ محسن أحمد باروم التربوي الرائد والأديب المثقف

● وقد تنافست الأمم والشعوب في عصرنا الحديث على الأخذ بأسباب القوة وبخاصة الشعوب الإسلامية التي ما لبثت تنفض عن نفسها غبار الضعف والتخلف، وطالعتنا أسماء لأعلام هذه النهضة في تاريخنا الحديث والمعاصر في سائر الأوطان الإسلامية من أقطاب الفكر والسياسة والدعوة والإعلام والتعليم ممن مجّدوا العلم والعمل وجعلوا نبراسهم قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]

- وقد أدرك هؤلاء الرواد المؤمنون المؤسسون على مختلف الأصعدة قيمة الوقت والعلم والعمل وأدركوا (أن الحياة عقيدة وجهاد) فلمعت أسماءهم في السياسة وتأسيس الدول والممالك كموحد الجزيرة العربية الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وباني مصر الحديثة محمد علي باشا ومؤسس دولة باكستان الإسلامية محمد علي جناح وفيلسوفها وصاحب فكرتها وفلسفتها الدكتور محمد إقبال شاعر الإسلام في العصر الحديث، ومحمد الخامس في المغرب، وغيرهم في مجال الفكر والتربية أعلام أفاض كذلك أمثال رفاعة رافع الطهطاوي والشيخ علي مبارك والإمام محمد عبده والعلامة محمد فريد وجدى والدكتور عبد الوهاب عزام وغيرهم في مصر، والإمام محمد بن عبد الوهاب وغيره من أعلام الإصلاح في المملكة العربية السعودية.

- وفي ظل موحد الجزيرة العربية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله - كانت النهضة التعليمية تسير بخطى حثيثة، وكان التوسع في

إرسال البعثات التعليمية إلى الخارج، وبخاصة إلى مصر أواسط القرن الرابع عشر الهجرى وبدايات الثلث الثانى من القرن العشرين الميلادى .

– ومن أعلام الأفواج الأولى التى ابتعثت لطلب العلم فى مصر مهبط أفئدة طالبى العلم والدارسين الواعدين وبخاصة فى تلك الحقبة من الزمن الجميل، وفى عاصمتها الزاخرة، وفى قلب القاهرة، حطَّ الطالب الحجازى السيد محسن أحمد باروم، الذى درس اللغة العربية وآدابها فى كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر والذى أمّ مراكز العلم والثقافة فى الجامعات المصرية والمنتديات الفكرية فى القاهرة فى ستينيات القرن الرابع عشر الهجرى وأربعينيات القرن العشرين الميلادية أواسطها حيث كانت القاهرة تموج بقمم الفكر والثقافة والسياسة والأدب والاقتصاد .

● وعاد الأستاذ محسن أحمد باروم إلى بلاده ليضطلع مع رفاقه فى مسؤولية النهضة الواعدة للملكة الفتية وليكون أحد جنودها ونجماً من مؤسسي نهضتها فى حقل التعليم والإعلام فى مواقع الإشراف والتخطيط والتنفيذ وشاهداً على مراحل اليقظة والإحياء ونشر نور العلم والتقدم والإزدهار فى ربوع المملكة العربية السعودية فى رحلة كفاح مجيدة فى خدمة أعز الأوطان الإسلامية موقعاً وأطهرها أرضاً وأحبها إلى الله بلداً وبُقعةً .

– وقد اضطلع الرجل بدوره فى مواقع الإشراف والتخطيط والتنفيذ فى الحقل التربوى فى مختلف مراحل مستوياته قرابة خمسة وعشرين عاماً، فى رحلة مع الزمن فياضة بالعطاء والكفاح والثراء والنجاح قبل أن يستقيل ليفرغ للعمل الحر فى حقل الدعوة والإعلام والعمل العام منذ نحو سبعة وثلاثين عاماً هجرياً .

– وقد آثر الشيخ محسن أحمد باروم أن يعرض لمواقف من حياته وصوراً من أيامه وذكرياته فى كتاب (\*) ، وقد نُشرت فصول منها فى ملحق الأربعا

---

(\*) الكتاب اسمه . « فى موكب الزمن – ذكريات وشجون تربوية » الطبعة الأولى (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) عن دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع بجدة – المملكة العربية السعودية .

بجريدة ( المدينة ) الغراء وفي مجلة ( المعرفة التي تصدرها وزارة المعارف السعودية، وتلك الفصول ليست سيرة ذاتية سجّل فيها قصته مع الحياة كما فعل كثير من الأعلام والساسة والأدباء، ولكنها - كما يقول - : « فصول انتقيتها من واقع الحياة التي عشناها لتصور ضرورياً من الذكريات التي طافت بذهني عن أحداث مرّت عبر طفولتي وصباي فحفرّت في أعماق نفسي ضرورياً من الندبات والشروخ والناشط والمكارة رأيت أن أسجلها لتضئ معالم الطريق للسائرين من أبناء الأجيال الصاعدة فيه » (١).

● وبرغم تأكيد أديبنا السيد محسن باروم على كون ذكرياته وشجونته التربوية ( في موكب الزمن ) - ليست تعبيراً عن سيرته الذاتية إلا أننا لا يمكن أن ننفي عنها ذلك، وإن جاءت الذات مرتبطة بالموضوع والزمان والمكان وجاءت فصول هذا الكتاب التسعة عشر شهادة حيّة لرائد من رواد النهضة العلمية والتعليمية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية تُصوّر في أمانة ودقة خطوات النهضة والتطور في مجال العلم والتعلم والتربية والاجتماع وال عمران من خلال الخبرة المباشرة لأحد صنّاعها وبُناتها من جيل الآباء الذين يضطلعون بالمسؤولية في المملكة الآن، حرصاً منه على دفع الأبناء والأحفاد: «إلى العمل من أجل بناء مستقبل عربي أفضل، يحقق للأمة العربية الكريمة ضرورياً من العزة والكرامة والعمل والإنتاج في ظل الظروف الدولية الحاضرة التي تتطلب من هذه الأمة كثيراً من اليقظة والحذر والاهتمام بتطبيق العلم والتكنولوجيا لمصلحة شعوب الأمة العربية المعاصرة» (٢).

- وتأتي هذه الذكريات في أسلوبها أدباً عالياً متسمّة بما يتّسم به الأدب الخالد من جمال الأسلوب وعذوبة العبارة وسمو المعنى وجلال الغاية وقوة التشويق وتوفر الصدق الفني وترباط الأحداث، الأمر الذي يحقق المتعة للعقل والوجدان معاً، ويسعد النفس والفؤاد، ويحفز للعباء والجد والاجتهاد لمواجهة التحديات.

(٢) السابق ص ٦.

(١) المصدر السابق ص ٥.

## الفصل الثالث

### ٣ - ذكريات وشجون تربوية

● لقد طوّف بنا أستاذنا الراحل الشيخ محسن أحمد باروم في موكب الزمن مع ذكرياته وشجونه التربوية بمقدرة فنية فائقة تعبيراً وتصويراً، وبمهارة نادرة في وصف تجاربه الحياتية مع العلم والتعليم والتفاعل الحضاري مع الثقافات الأخرى وأخذ الحكمة التي هي ضالة المؤمن يسعى إليها (أنى وجدها فهو أولى بها) كما علمنا الهدى النبوي الشريف.

- وفي صحبة الشيخ الأديب وبيانه الرائع كدنا نرى رأى العين صوراً من الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة أم القرى التي ولد فيها وشب وترعرع في ربوعها، وقد تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة الفلاح في جوار البيت الحرام في ظروف اقتصادية صعبة مع بوادر الحرب العالمية الثانية وإبانها، مما انعكس على حركة الملاحة والسفر ووصول الحجيج وبخاصة من جنوب شرق آسيا.

- وقد اتسم بيانه في تسجيل ذكرياته وشجونه التربوية بالأمانة الشديدة والدقة الفائقة والتواضع الكبير وإعطاء كل ذي حق حقه، مع جملة من القيم المرعبة كالوفاء والأمانة العلمية والصدق والإخلاص والتسامح وإنصاف الآخر بأسلوب قصصي جذاب.

- وعشنا معه مسافراً في طلب العلم الجامعي في القاهرة أواسط الأربعينيات الميلادية، ورأيناه يختلف إلى دروس العلم في كلية اللغة العربية في رحاب الجامع الأزهر، يتابع الحركة العلمية في مختلف الجامعات المصرية، ولا يكاد يفوته شيء من النشاط العلمي أو الأدبي في محافل القاهرة ومنتدياتها الثقافية حينذاك.

- وبعد تخرجه في كلية اللغة العربية صحبناه في عمله الإذاعي في مديرية

الإذاعة السعودية عام ١٣٦٩ هـ مديعاً فمديعاً أول ثم مفتشاً للغة العربية ومفتشاً أول في مديرية المعارف السعودية قبل إنشاء وزارة المعارف ١٣٧٣ هـ ثم رئيساً للتفتيش الفني الذى صار (التوجيه التربوى) فيما بعد ثم مديراً للتعليم الابتدائى والثقافة الشعبية ثم مديراً للتعليم الثانوى فمشرفاً على التعليم الفنى بأنواعه الثلاثة ثم مديراً للتعليم العالى واضطاعه بالإشراف على طلاب البعثات العلمية فى أوروبا مستشاراً ثقافياً مقيماً فى جنيف لثلاث سنوات، تواصل خلالها مع الجامعات الأوربية والهيئات العلمية والتربوية التابعة للأمم المتحدة التى يضطلع بها مكتب التربية الدولى فى جنيف وقد حضر أديبنا مؤتمراته فى أصيف (١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٣) الميلاديه كما شارك مع بقية أعضاء الوفد السعودى الممثلين لوزارات الدولة وهيئاتها ذات الصلة بالموضوع فى المؤتمر العالمى (العلم والتكنولوجيا وتطبيقاتهما) لصالح الدول النامية، الذى انعقد فى جنيف فى الرابع من نوفمبر لعام (١٩٦٣م) والذى كان فرصة عظيمة لبحث أفضل وسائل التعاون الدولى لتقوية التفاهم وروابط الإخاء بين الشعوب بواسطة: « تبادل الزيارات بين العلماء وقادة المؤسسات العلمية والمهنية، وإتاحة فرص التدريب للناشئين من العلماء وأبناء الدول النامية فى الخارج والإسهام فى تدعيم المؤسسات التى تضطلع بألوان من البحث العلمى لتمكينها من القيام برسالتها العلمية أكمل قيام» (١).

– ثم عاد الأستاذ ليتولى إدارة التعليم العالى، وسرعان ما يُستدعى بتكليف من وزير المعارف آنذاك الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ للمشاركة فى وضع مشروع جامعة الملك عبد العزيز الأهلية بجدة، وليكون أول أمين عام لهيئتها التأسيسية (١٣٨٥ هـ)، وهو خلال ذلك يقدم المشورة ويضع الخطط، ويكتب التقارير العلمية ويؤلف الكتب الدراسية التى زادت عن العشرين كتاباً دراسياً فى قواعد اللغة العربية وآدابها لمختلف مراحل التعليم مع نخبة من زملائه

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٢.

المربين، والتي ظلت تُدرّس في مدارس المملكة العربية السعودية ومعاهد المعلمين والمعلمات ما يربو على العشرين عاماً، تبني العقول وتهذب الوجدان وترتقى بالأخلاق، مما جعل أستاذنا حُرّاً بوصف أمير الشعراء في وصف رسالة المعلم الصالح حين قال :

أرأيت أشرفَ أو أجَلَّ من الذي      يبني وينشئُ أنفساً وعُقولاً

– كما شارك الغير في تحرير الكتب والدراسات، ومنها دراسته في العدد ( ١٤٤ ) من سلسلة ( دعوة الحق ) مع الكاتب الإسلامي الأستاذ أحمد محمد جمال وعدد من الكتاب، كما تفضل بالدعوة لتأليف كتاب عن العلامة الدكتور زكي على كعلّم من أعلام الدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام والعرب وقضاياهم في جنيف بقلب أوربا لما يزيد عن سبعين عاماً، وقد جاءت دعوته تلك في مقالته جليلة الأثر التي نشرت في صحيفة ( المدينة ) السعودية الغراء في يوم الخميس [ ٢١ / ٥ / ١٤١٧ هـ الموافق ٣ / ١٠ / ١٩٩٦ م ] واستجاب لها كاتب هذه السطور وتوفر لتحرير كتابه ( من أعلام الدعوة في أوربا – العلامة الدكتور ( زكي على ) بعون ومشاركة الشيخ محسن أحمد باروم الذي تكفل بطبعه ونشره بدار النشر ( عالم المعرفة ) بجدة، وهي داره الزاخرة بالحياة والعطاء العلمي البناء؛ لتحقيق النهضة العلمية والحضارية المأمولة لأمتنا التي تتوق إليها البشرية بعد غلبة الحضارة المادية وسيادة شريعة القرصان والعريضة والاستكبار.

● وأستاذنا الشيخ محسن باروم وإن كان قد اكتفى في كتابه هذا ( في موكب الزمن – ذكريات وشجون تربوية ) بتقديم شهادته على النهضة التربوية والعلمية والاجتماعية من خلال مشاركته الوظيفية الفاعلة في العمل الوظيفي بقرابة ربع القرن إلا أن نشاطه في خدمة الوطن والأمة والدعوة الإسلامية والعمل الخيري بعد تركه الخدمة الحكومية لا يقل أثراً و ثراءً في نهضة الوطن والأمة بالمشاركة في نشر الكتاب الإسلامي بإنشاء ( دار الشروق ) للنشر والتوزيع

بجدة (١٣٩٣ هـ) للعناية بالتراث والأدب الإسلاميين، ثم أردف ذلك بإنشاء دار نشر أخرى للعناية بالعلوم وتطبيقاتها التكنولوجية أسماها (عالم المعرفة) ، وكذلك حضوره الفاعل في الندوات العلمية للكتاب والصحافة الإسلامية ونشاطه في خدمة الدعوة الإسلامية ومؤسساتها الخيرية والتعليمية والاجتماعية في آسيا وأفريقيا، وهى أمور وأعمال جليلة الأثر والخطر لم يعرض لها أديبنا فى كتابه الذى نحن بصددده؛ لأنه يقصره على فترة الخدمة بالعمل الوظيفى وصور ومواقف وذكريات مما عايشه خلالها، يقدمه للدرس والعظة والعبرة .

● ولا غرو أن يكون للكتاب والمكتبة فى حياة أستاذنا أجل مكان وأسمى منزلة، حتى إنه يعايش الكتب فى مكتبته الخاصة معايشة الأصدقاء الأوفياء، وكيف لا وهى تحوى عصارة الأدمغة وذوب القلوب، وحيوات البشر والأمم وأسرار الجمال فى الكون والحياة، وأسباب السعادة والقوة والمجد، وتنطق بالحق والخير والجمال، ولهذا وجدنا لشيخنا منذ كان فتى حجازياً مكياً، وجامعياً قاهرياً وموجهاً تربوياً ومستشاراً ثقافياً فى أوروبا وجدنا له كلفاً بالكتاب كلف الحب (بغزال ذى هَيْفٍ) وبخاصة إذا كان الكتاب مثيراً للجدل والمعارك الفكرية ومن هذا ما يقصه علينا فى هذه الواقعة القاهرية .

### لقاء مع المستشرق هاملتون جب :

- يحكي صاحبنا الجامعيّ القاهريّ تلك الواقعة وقصة ذياك اللقاء فيقول :  
« لقد كان نظام الحياة فى دار البعثات السعودية بالقاهرة أن يصرف لكل طالب فيها سنوياً بدل كتب لشراء المصادر والمراجع العلمية التى يحتاجها فى فهم موادّه الدراسية، فكنت أستغلُّ هذا المال فى شراء أمهات كتب الأدب والتراث العربى وأزيدُ عليه مما يرسله أهلى، فأخذت فى السنوات الأربع التى قضيتها فى دار البعثات أقتنى كثيراً من مصادر التراث الفكرى العربى القديم والحديث أن ذهبت مرة إلى مكتبة (العرب) لصاحبها البستاني فى الفجالة، أسأل عن كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق إن كان موجوداً أم لا؟ فتصدى لى

رجل جالس بجوار صاحب المكتبة يسألنى عن السبب فى شراء هذا الكتاب الذى حُورب مؤلفه وقت صدوره وصدر الحكم عليه بمصادرة كتابه وتجريده من ألقابه العلمية، وشرعت أتجادل مع ذلك الرجل إلى أن رجاني الدخول إلى المكتبة لمواصلة الحديث معه وفعلاً جرى الحديث سجلاً معه، مما دفعنى فى نهاية المطاف إلى أن أسأله عن اسمه وهويته الشخصية، فأجابنى إلى أنه السيد هاملتون جب المستشرق البريطانى الشهير، وأنه قد حضر إلى القاهرة لحضور الدورة الجديدة لمجمع اللغة العربية، فأبدت سرورى بلقائه ثم ودعته دون أن أحصل على ذلك الكتاب لنفاده من أسواق الكتاب العربى بالقاهرة» (١).

— أما حب شيخنا الأديب لمكتبته واعتزازه بها فيتجلى فى هذه الفقرة المؤثرة: «... وهكذا تكونت لى مكتبة طيبة حاولت جهد الطاقة تنتميتها أثناء اشتغالى بالخدمة الحكومية فى مكة والرياض وجدة، مما دفعنى إلى كتابة وصية لأبنائى أوصيت فيها الاحتفاظ بمحتويات المكتبة وعدم التصرف فيها بالبيع والرهن وإنما هى تراث يتداوله الأحفاد جيلاً بعد جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فإذا سئم جيل منها فإن عليه إهداءها لمكتبة مدرسة الفلاح بمكة، لتنضم إلى نظائرها. هناك وعلى الله قصد السبيل ومنه أستمدُّ العون والتوفيق» (٢).

\* \* \*

(٢) السابق ص ٤٨ .

(١) المصدر السابق ص ٤٨ .

## الفصل الرابع في أجواء مكة المكرمة والقاهرة في الأربعينيات

● ولعل من الجميل ومن اللازم اللازم أن نقف مع بعض الصور التي رسمها - بريشة مصور موهوب - أديبنا المربي والتي نعايش من خلالها ظروف المكان والزمان، كأننا نراها، ومن ذلك ما قصه شيخنا محسن أحمد باروم عن حياته ونشأته في شعب عامر على مشارف مكة المكرمة من جهة المروة لنعيش معه أحلى ذكريات الحج والعمرة - عسى الله أن يجعل لنا إليها عودةً مرات ومرات - حيث يحكى عن حياته الأولى في بدايات خمسينيات القرن الرابع عشر الهجرى وبدايات القرن العشرين الميلادى ( ثلاثينياته )، وفي معرض الحديث عن والده يقول: « وكان والدى السيد أحمد رجلاً طويل القامة، مسنون الوجه، تبدو عليه ملامح الذكاء وكرم الأخلاق ونبل الشيم، وهيبة المطلع، وكان بيته آنذاك موثلاً للفصل فى الخصومات بين أسر الحارة فى شعب عامر، يحضره عمدة المحلة وكبار شخصياتها لشهود وقائع جلسات الفصل بين المتخاصمين والمشاركة فى مادب المصلحة احتفاءً برأب الصدع والقضاء على أسباب الشقاق والخلاف بين تلك الأسر» .

● ولكن سرعان ما يفقد فتانا المكى والده سنة ( ١٣٥٥ هـ ) وهو ابن سبع سنين تقريباً فيعانى مع إخوته شظف العيش؛ لما كان على والده من الدّين، ولظهور طلائع الحرب العالمية مما أدى إلى كساد اقتصادى فى الحجاز، فقد أدت حالة الحرب إلى تخلف الكثير من الحجيج؛ لانقطاع وسائل الانتقال، مما انعكس على الحالة الاقتصادية، وتأثرت به عائلة فتانا الحجازى، الذى يصف ذلك فيقول: « ... وأخذ الوالد يسير على منهجه فى الكرم واستضافة الناس آملاً فى انفراج الأزمة فى القريب العاجل، ولم يدر فى خلدّه أن الحرب ستمتد لعدة أعوام

تأكل فيها الأخضر واليابس فبيعت ممتلكاته بعد وفاته فى منى ومكة والزائد الثمين من أثاث البيت فى مزايدات علنية وغير علنية لإرجاع هذه الديون لأصحابها» (١).

– ويحكى معاناة أخيه السيد عبد الله أحمد باروم الذى طفق يجاهد من أجل أسرة كبيرة تزيد على العشرة الأفراد وسرعان ما ينتقل إلى رحاب الله ليلحق بوالده سنة ( ١٣٦٠ هـ )، وتنتقل إدارة مسعولية الأسرة إلى شقيقه السيد محمد يعاونه الشقيق الأوسط اللذين انقطعا عن الدراسة الثانوية ليقوما على رعاية الأسرة وعملا معا فى وظيفة فى إدارة اللاسلكى، وبدأ وعى فتانا يتفتح للنهوض بالمسؤولية والجد فى طلب العلم، وكان قد شب عن الطوق والتحق بالتعليم الثانوى بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة، وخلال ذلك اضطلع بدوره فى تحمل الأعباء الأسرية، ويحدثنا عن دوره الفاعل ذلك فيقول عن نفسه: « فأخذ بنصيب وافر فى إدارة شئون عائلته كمساعد أول لأخيه الكبير، فقد أخذ على عاتقه القيام بمسؤوليات البيت الداخلية من إمساك لمفاتيح المستودع الذى كان يضم من خيرات البيت من حنطة وأرز وغاز سائل» (٢).

– وعن جو التحصيل العلمى واستيعاب الدروس يقول الفتى: « ولا ينسى الفتى أنه إذا حل موسم الاختبارات وبدأت المذاكرة لمقررات الدروس المختلفة أنه كان يذهب مع كثير من زملائه إلى الحرم المكى الشريف ليذاكر هناك على ضوء المصابيح الكهربائية التى كانت توجد فقط فى المسجد الحرام، أما فى بيوتنا فكنا نذاكر فى ضوء فانوس (نمرة ٤) أو القمرية أو الأتريك» (٣).

– وليس من شك أن الشدائد وخشونة الحياة هى التى تصنع الرجال العظام وبناء نهضة الأوطان وصناع الحضارات وعوامل ازدهارها واستمرارها، ولكن يأتى الركون إلى الترف الاستهلاكى والبغى فى الأرض بغير الحق فيكون الانحدار والسقوط، ولهذا حذرنا الحبيب المصطفى ﷺ من إقبال الدنيا والاعتزاز بمتاعها

(١) المصدر السابق ص ١٨ . (٢) السابق ص ٢٠ ، ٢١ . (٣) السابق ص ٢١ .

وترفها الجالب للفساد والظلم والطغيان، وفي تفسيره - ﷺ - لضعف أمة التوحيد وتخاذلها أمام الأعداء والطامعين من أحفاد الصليبين ورعاة البقر، وهو ما تنطق به حال أمتنا في أيامنا هذه من الضعف والوهن والعجز وتخلف الإرادة الفاعلة، فيقول الصادق المصدوق: «الوهن: حب الدنيا وكرهة الموت»، ولهذا حثنا - عليه الصلاة والسلام - على حياة الخشونة وخشونة الحياة؛ لأن النعمة لا تدوم.

- وفي هذا السياق وجدنا أديبنا السيد محسن أحمد باروم يقدم لنا صوراً من تجاربه وحياته طوّف بنا خلالها في مختلف أنحاء الجزيرة بخاصة وأفريقيا وأوروبا بعامة؛ ليقدّم لنا تجاربه الثرية ومواقفه السنية ودروسه المربية النديّة، يقدمها لأبناء أمته وأجيالها المتعاقبة، نبراساً يبدد ظلمات الطريق، ونوراً هادياً إلى سواء السبيل.

● وهذه صورة أخرى سجلتها مصورة أديبنا من القاهرة أواسط الأربعينيات الميلادية من القرن العشرين حيث كانت القاهرة تموج بقمم الفكر والثقافة والمعارك الأدبية بين أقطاب الفكر والأدب والفلسفة والسياسة والاقتصاد، نرى من خلالها كلف صاحبنا الحجازي الجامعي بأجواء القاهرة المتألقة الفياضة بالحوية والنشاط والإبداع، ونلاحظ إقباله النبيل على محافلها العلمية والثقافية ومنتدياتها الفكرية والأدبية، إقبال المحب المقيم بالعلم والأدب والثقافة، إقبال من يريد أن يستفيد من كل لحظة يقضيها في رياض القاهرة ومغانيها الفياضة بالجمال والجلال، ليعود إلى وطنه مزوداً بالعلم والمعرفة والتجربة والأحلام الكبيرة؛ وليكون عند حسن ظن حكومته به، حكومة وطنه التي لم تضن عليه بشئ من الإنفاق والرعاية والتشجيع، وللجد والاجتهاد والاستزادة من بحور العلم والمعرفة؛ كى يعود ليتبوأ مكانه في طلائع جنود النهضة وصنّاع رخاء الوطن وقوته وعزته. يقول الأستاذ عن تلك الفترة التي قضاها في طلب العلم في القاهرة: «وليس لي ما أقوله إلا أنني كنت سعيداً إلى أقصى حدود السعادة، بوجودي في مصر، أتابع

الحياة الأدبية والثقافية والفكرية فيها، فقد كانت تغصُّ في فترة الستينات الهجرية بأقطاب الرأي والأدب والفكر والسياسة من أمثال لطفى السيد وطه حسين وعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى وعبد الوهاب عزام وأمين الخولى وزكى مبارك وأحمد حسن الزيات ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وعلى الجارم ومصطفى عبد الرازق، ومحمد عوض محمد ومحمود شلتوت ومحمد البهى ومحمد يوسف موسى، ومحمد محمد المدنى وأبو زهرة وإسماعيل القبانى ومحمد فريد أبو حديد وعبد العزيز القوصى وسيد قطب ومحمد مندور وغيرهم من أعلام الأدباء والمفكرين الذين أحدثوا تيارات فكرية وتربوية لا فى مصر وحدها، وإنما فى عالمنا العربى الحديث، والثقافة العربية الحديثة، وكانوا نوافذ مشرقة لنقل الثقافة الغربية إلى ذلك العالم المتعطش إليها فى مختلف مجالات المعرفة» (١).

— وبرغم الإطالة فى النقل عن الشيخ لا يسعنى أن أترك السطور الآتية لأستاذنا والتي ترسم طريق النجاح المبدع والأداء العبقري لأى دارس واعد فى التميز الوظيفى والتفرد الشخصى فى مجاله؛ لأن هذا النهج فى البحث والاستماع والحضور الواعى لمختلف النشاطات الفكرية والأدبية فى القاهرة، دون الانغلاق على الذات أو الاكتفاء بالمقرر الدراسى يُعد رافداً مهماً فى تفسير ثراء شخصية رائدنا الشيخ محسن باروم وسعة أفقه وإبداعه فى الحقل الوظيفى وارتقائه السلم الوظيفى إلى أعلاه فى وقت وجيز من عمر الزمن، وها هو ذا يصور لنا ببيانه الفصيح أجواء القاهرة الأربعينيات الميلادية الأدبية والثقافية فيقول: «لقد كنت حريصاً إلى أقصى حدود الحرص ألا أكتفى بثقافة الكلية المحدودة، بل كنت أتطلع إلى أن أستفيد من روافد الثقافة الحديثة والتي أشاعها بيننا هؤلاء الأعلام فى كتاباتهم ومؤلفاتهم الكثيرة التى حملت إلينا بذور المناهج الحديثه فى دراسة الأدب والنقد والفكر والثقافة والاجتماع، فقد كنت سعيداً

---

(١) السابق ص ٤٤، ٤٥.

بأن أسعى إلى سماع محاضرتهم وندواتهم ومناقشاتهم للرسائل الجامعية في مختلف الجامعات المصرية وفي قاعة يورت التذكارية بالجامعة الأمريكية في القاهرة ومدرجات الكليات الأزهرية ودار الحكمة والجمعية الجغرافية الملكية ودار الشبان المسلمين، كما كنت حريصاً على متابعة صحيفة (الأهرام) اليومية للتعرف على أماكن ومواعيد المحاضرات والندوات ومناقشة الرسائل الجامعية، لأشهد وقائعها المثيرة، مما كان له أعظم الأثر في اتساع دائرة الرؤية الثقافية وتعميق النظرة العقلية وردم الفجوة الثقافية بين معلومات الدروس والمناهج العلمية التي نأخذها في كلية اللغة العربية وبين الدروس والعبر التي نستخلصها من الروافد الفكرية الحديثة ثراءً في الفكر واتساعاً في المدارك وعمقاً في المعارف وزيادة في التجارب العلمية والفكرية الخصبة (١).

\* \* \*

---

(١) السابق ص ٤٥، ٤٦.

## الفصل الخامس

### ٥ - طرائف من أدب الرحلة والسفر

• وكما جاءت فصول كتاب أديبنا الحجازى الشيخ محسن باروم ناطقة بالصدق والأمانة فى الشهادة على الظروف المجتمعية التى عاشها الفتى اليافع طالباً للعلم فى مدرسة الفلاح بمكة المكرمة وطالباً جامعياً متيماً بالعلم والمعرفة وضروب الآداب والحكمة إبان إقامته فى القاهرة، اشتملت تلك الفصول أيضاً على صورة بديعة من أدب الرحلة والسفر، خلال الإقامة لطلب العلم فى القاهرة أو الجولات التفتيشية والمتابعة الإدارية من خلال العمل فى التفتيش أو التوجيه التربوى أو العمل الإدارى والانتقال إلى مختلف أنحاء المملكة العربية السعودية، مروراً بحواضر المملكة الفتية غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً.

- ولعل رحلة أديبنا فى طلب العلم فى القاهرة كانت أخصب الفترات تأثيراً فى وجدانه وعقله ونظرته إلى الكون والحياة، ومن بعدُ جاءت الرحلة إلى أوروبا للإشراف على البعثات العلمية فى المدن الأوربية والإقامة فى جنيف التى وفرت له اللقاء المباشر مع الحضارة الأوربية والتعاطى مع مؤسساتها العلمية والدولية وبخاصة مكتب التربية الدولى فى جنيف.

• وإنى لمختار ثلاثة مواقف طريفة وقعت لشيخنا ووصفها ببراعة المثقب فى بيان قشيب، الأولى: حدثت فى عرض البحر الأحمر فى أول سفر له خارج البلاد الحجازية، والثانية: وقعت فى القاهرة فى شارع عبد العزيز، وثالث المواقف أثناء سفره من الرياض إلى الأفلاج بلاد ليلى العامرية وقيس بن الملوح.

- والمختارات الثلاثة تعكس المقدرة الأدبية لأستاذنا فى فن النشر الأدبى وأدب الوصف، وتنقلك من حيث لا تدري إلى عمق الحدث ببُعديه الزمانى والمكانى معاً، وهى لوضوح عنصر الحكاية تصلح عملاً فنياً تمثيلاً مُذاعاً ومرئياً أيضاً.

● لقد كانت الموافقة على ابتعاث فتانا الحجازى مع رفاقه المتخرجين فى مدارس الفلاح بمكة المكرمة أسوةً بالطلاب المتخرجين فى مدرسة تحضير البعثات والمعهد العلمى السعودى بمكة المكرمة حُلماً أخضر يُراوده، حتى جاءت الموافقة من موحد الجزيرة العربية ومؤسس المملكة الفتية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فى نهاية عام ( ١٣٦٤ هـ )، وفرح لذلك فتانا الواعد أشد الفرح وحزم مع رفاقه أمتعتهم وهم - كما يقول - : «إبراهيم زاهد، وعبد الله المنيعى، ومحمد على جستنية ... وودعوا أهاليهم فرحين لا تكاد الدنيا تسعهم من الفرح، حيث استقلوا سيارة البريد ذات الصندوق الخشبى إلى جدة، ومنها امتطوا ظهر الباخرة ( جهانكير ) إحدى بواخر شركة الملاحة الهندية وقد أفرغت حملتها من حجاج شبه القارة الهندية فى ميناء جدة وأخذت طريقها إلى ميناء السويس ومنه إلى أوروبا، وما إن حللنا على ظهر تلك الباخرة العملاقة ومخرت بنا عُبَاب البحر، وقضينا الليل على ظهرها وطلع الفجر فجر اليوم التالى، إلا وانطلقت صفارات تدوى فى أنحاء السفينة وعرض البحر، فشهدنا بحارتها وقد لبسوا سترات الإنقاذ، ودلّوا قوارب النجاة التى كانت معلقة على جانبى السفينة، وأخذنا نتفرج عليهم مبهورى الأنفاس، على وجوهنا علامات الاستفهام والتعجب، فإذا بعض كبار البحارة قد أقبلوا علينا وألبسونا السترة نفسها، ولم يَدْم الحال أكثر من ساعة، وهناك قيل لنا إن بعض طائرات الأعداء، قد تتسلسل فى الأجواء، وتلقى بحمولتها من القذائف والقنابل، ولهذا فإن علينا أخذ الاحتياطات اللازمة لوقوع مثل هذه الحوادث التى تحدث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية» (١).

● وبعدهما عشنا مع شيخنا توابع الحرب الثانية فى عرض البحر وأخطارها فى الموقف الأول، يصحبنا فى الموقف الثانى إلى نزهة فى شوارع القاهرة التى كان تواقاً لزيارة معالمها والتعرف على مغانيها وآثارها، وقد استغل صاحباها، طبيته وحادثة عهده بقاهرة المعز، وغفلته عن مدلولات معانى بعض العبارات المصرية

(١) السابق ص ٣٦.

السُّوقِيَّة التي تزرع بعض العامة فيها وأوقعاه في فخ طريف كاد يُنزل به الضُّر والأذى . يقول أديبنا في وصف الموقف وما حدث له فيه : « ... وكنت أتوق الزيارة القاهرة التاريخية والأثرية، وتصادف أن صحبني الزميل أسعد جمجوم وصنوه حسن نصيف، لقضاء تلك الليلة معهما فكانت فرصة لهما للتندر على كعادتهما في تدبير (مقلب) لزملائهما الطلاب الجدد وخصوصاً أننا لا نعرف شيئاً عن عادات أهل القاهرة وتقاليدهم الإجتماعية، إذ طلب أثناء سيرنا في أحد شوارع القاهرة الكبرى (شارع عبد العزيز) أن أستدعي سائق (حنطور) باسم (أبو لبن) وفعلت ذلك دون معرفة بما تعنيه هذه العبارة ولاحظت على الفور أن سائق (الحنطور) قد تمعر وجهه وجحظت عيناه ثم سحب سوطه ورفع في الهواء وكاد يهوى به على، فما كان من الأخوين إلا أن جَذباني بعيداً خشية أن يقع السوط على، وهما يقهقهان ويضحكان وحينئذ أدركت أنني كنت ضحية (مقلب) الأخوين، أمد الله في عمرهما» (١).

● أما الموقف الثالث من أدب الرحلة والسفر فقد وقع لأديبنا في إحدى زيارته التوجيهية لمدارس نجد في الطريق إلى الأفلاج مع بداية العام الدراسي الثالث والسبعين بعد المائة الثالثة عشرة من الهجرة النبوية الشريفة (١٣٧٣ هـ) أوائل الخمسينيات الميلادية، وفي هذا الموقف يصف المعاناة التي يكابدها المسافر آنذاك في التنقل في أرجاء المملكة الواعدة والأخطار التي تتهدد المسافرين لوعورة الطرق وعدم وجود لوحات إرشادية توضح اتجاهات الطرق، وما يقع على جوانبه من القرى والمدن فضلاً عن تخلف وسائل النقل ذاتها مما كان يجعل رحلة السفر والتنقل محفوفة بالأخطار والأهوال الجسام، على خلاف الوضع الحالي من التقدم والازدهار في المملكة المزدهرة والتي تمتلك الآن أفضل شبكة للطرق البرية في العالم وقد عاينت ذلك رأي العيان .

— ولندع أديبنا يصف لنا رحلته إلى الأفلاج من نجد بعدما أعد العدة من

(١) السابق ص ٣٧ .

وسيلة الانتقال بالسيارة (العراقى) كما كانوا يسمونها آنذاك - المواد الغذائية المعلبة وقرب الماء الجلدية المملوءة بالماء العذب والعباءة الثقيلة (بيدى) وهى كما يصفها: «عباءة منسوج باطنها من خيوط الصوف الخشن الخالص ومكسوة بجلود الماعز أو الخرفان المحتفظة بأشعارها وأوبارها مما يجعل العباءة ثقيلة يكاد الإنسان ينوء بحملها لثقل وزنها» (١).

- يقول الشيخ فى وصف رحلته التوجيهية من الرياض إلى الأفلاج: «... ثم اتجه ركبنا إلى الأفلاج التى تبعد مئات الكيلو مترات من حوطة بنى تميم، وحين قارب الوقت راد الضحى توقف السائق وتبادل الحديث مع مرافقنا النجدى الذى أحضره معه الزميل العزيز الأستاذ ناصر المنقور ليكون دليلاً لنا فى التعرف على معالم الطريق، وعندئذ أوقف السائق سيارته وترجلنا منها وأخذنا نجيل الطرف يمينا ويسرة وإلى الأمام والخلف فلا نجد إلا صحراء تمتد أطرافها إلى خطوط اللانهاية، واتجهنا بأبصارنا إلى السماء فلا نجد إلا قرص الشمس يتوهج فى كبدها ويرسل أشعته حارة إلى أجسامنا فنحس بلسعها رغم ما تكدرس عليها من ثوب ومعطف صوفيين، وبعد حوار قصير بيننا وجدنا أن من الأفضل أن ينطلق كل واحد من أربعتنا إلى جهة من الجهات الأربع على أن يبقى السائق مع السيارة للمحافظة عليها من ناحية ولادخار ما تبقى من وقودها حتى لا ينفد فتقطع بنا السبل وقد نهلك لا سمح الله.

- وقد اتفقنا على أن من يلقى بدوياً فى خبائه فى أكناف هذه الصحراء الشاسعة أن يطلب منه العون بإرشادنا إلى الطريق الصحيح الذى اختلط وتداخل مع عشرات من الطرق والمسالك، وإننى لأتذكر فى هذه اللحظات بعد إحدى وأربعين سنة على هذه الحادثة هول الموقف الذى مرّ بى فى حياتى حين أوغلت فى الصحراء وحيداً لا رفيق معى ولا زاد ولا ماء أمشى على مهل ثم أقف أجيل الطرف فيما حولى من فضاء غير متناهٍ فلا أرى إنساناً ولا طيراً ولا شجراً فأحس

---

(١) السابق ص ١٠٩.

بشعور الرعب والخوف من أن يخرج لى على حين فجأة - حيوان مفترس يأكلنى وينهى حياتى فى أحشاء بطنه، فيرتجف جسمى كله، وأظل أردد على مسامعى مقولة سيدنا يونس عليه السلام: « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » .

وبعد ساعة إلابعاً من افتراقى عن زملاء وابتعادى عن موقع السيارة وامتلاء نفسى بمشاعر الرهبة والتوجه إلى الله العلى الكبير أطلب منه المد والعون، إذا بى أسمع أصداء صوت خافت يتردد فى الأفق: محسن ... يا محسن، وأدركت لحظتها أن فرج الله قد حلّ بساحتنا، فعدت أركض لا ألوي على شئ، وقد عادت إلى جسمى الخائر قواه المبعثرة فأخذت أركض فى الطريق نفسها التى سلكتها وعليها آثار أقدامى» (١) .

\* \* \*

---

(١) السابق ص ١١١، ١١٢ .

## الفصل السادس

### ٦ - التسامح وإنصاف الآخرين

• إن العظمة النفسية للشخصية الإنسانية لا تظهر في فراغ، ولا يمكن للأفراد أو الأمم أن تزدهر أقدارها وترتقى درجاتها ويعلو شأنها دون عقيدة صافية وإيمان قوى وبناء أخلاقي متين، وقد أعلى الإسلام شأن الأخلاق فجاء نبيه - عليه الصلاة والسلام - يتمم مكارم الأخلاق، ويمدحه ربُّه ويثنى عليه؛ لأنه (ﷺ) على خلق عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

- وتتبوأ الدعوة إلى مكارم الأخلاق والتخلق بأخلاق الله - تبارك وتعالى - وأدب نبيه الكريم ﷺ - غاية الدعوة والتربية والتوحيد والعبادة والشريعة، ويجنى صاحب الخلق الكرين ثمار مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة، وتجدُّ الأمم والأفراد بمكارم الأخلاق، والمنظومة القيمية والسلوكية الدافعة للسلام الاجتماعي والتراحم والتلاحم بين أفراد الأمة؛ لتحقيق التقدم والازدهار والحياة الطيبة والعيش الرغيد .

- وليس غريباً أو لافتاً كثرة القيم والمبادئ الإسلامية الداعية إلى ترسيخ القيم الخلقية فضلاً عن آداب الأمة وشعوبها الإسلامية ونتاج أدبائها وحكمائها في ميدان المنظومة القيمية البانية والهادية إلى عزِّ الدنيا وسعادة الآخرة، ولهذا جاء التعبير بأسلوب القصر في الحديث لتأكيد تلكم الحقيقة، في قوله ﷺ: «الدين الخلق»، وقوله ﷺ: «الدين المعاملة»، وما أجمل قول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت      فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
وقوله أمير الشعراء:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه      فقوم النفس بالأخلاق تستقم  
والنفس من خيرها في خير عافية      والنفس من شرها في مرتع وخم

(٧ - للحق والنهضة والجمال)

● وشيخنا السيد محسن أحمد باروم قد توفر له من مكارم الأخلاق وعراقة الأصل وشرف النسب وطيب المنبت ما يفسر لنا ثراء عطائه لوطنه وأمته ودينه، وكيف لا وقد نشأ وترعرع في جوار البيت الحرام في البلد الأمين أحب بلاد الله إلى الله تعالى وإلى رسول الله - ﷺ - فشملته بركة المكان، وأدبته عقيدة التوحيد الخالص وشريعة الإسلام السمحة وعبادته الميسرة المزكية للروح والجسد ومنظومته الأخلاقية الربانية المباركة .

- وكان ميلاده عام (١٣٤٧ هـ) مواكباً لنهضة المملكة الفتية على يد مؤسسها وفارسها المقدم الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - ونشأ فتاناً وترعرع مع الجيل الذي حمل الراية في مرحلة البناء والانطلاق لتحقيق التقدم والرخاء والازدهار، فهو من الجيل الذي نحت في الصخر وكدح وعرف وتجشم الصعاب وتحدى العقبات وزرع لتحصد أجيال الأبناء والأحفاد، وليفيض الخير يعمّ البوادي والحواضر ويشمل البلدان الإسلامية وغير الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وليحمل وطنه الغالي مشعل الهداية والدعوة الإسلامية ويحظى بشرف خدمة الإسلام والبيت الحرام ومسجد الرسول النبي العدنان سيد الأنام صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الكرام .

- ولقد تخلق الرجل بخلق الإسلام العظيم من الصدق والأمانة والإخلاص والوفاء والتواضع والتسامح ومعرفة أقدار الناس وإنصافهم، ولقد استوعب قلبه الكبير البشر جميعاً، فلم يبخس أحد حقاً، ولم يمنعه اختلاف المعتقد وتباين الدين من إنصاف الآخرين من سائر الملل والنحل .

- ولقد عرضنا صوراً من تواضعه وصدقته وأمانته وإخلاصه، وبقي أن نقف أمام خلق التسامح والعدل مع المخالفين وإنزال الناس منازلهم ومعرفة أقدار الرجال والتسامح مع الآخرين، والرجل كما رأيناه استقر به الحال في القاهرة، يطلب العلم في الجامع الأزهر وكلية اللغة العربية، لم يمنعه ذلك من متابعة زخم الحركة الأدبية والعلمية المزدهر في القاهرة أربعينيات القرن العشرين في مختلف جامعاتها

ومنتدياتها الثقافية، يختلف إليها يقطف أزهار المعرفة ويجمع رحيق العلوم والفنون في إقبال العاشق المتيم بالعلم والأدب الحريص على الانتفاع بوقت مقامه في القاهرة أيما انتفاع، كما عرضنا لذلك بقلمه في مقالة سابقة.

– وحين قيامه بزيارته التفتيشية للظهران بداية سبعينيات القرن الرابع عشر الهجري أوائل الخمسينيات الميلادية من القرن العشرين، يقوم أديبنا بزيارة حى كبار الموظفين فى شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو) وتبهره أضواء الحياة فيه كما بهرته أساليب التفكير والبحث وطرائق التدريس فى قسم البحث العربى الذى كان الدكتور جورج رنتز أحد المستشرقين الأمريكين رئيسا له والذى كان متزوجا من سيدة مسيحية مصرية وهى السيدة صفية التى كانت المسئولة عن وحدة الصحف والمجلات العربية فى قسم الشرق الأدنى بمكتبة الكونغرس الأمريكى فى واشنطن.

– ويعبر أديبنا عن إعجابه بطرائق البحث التى كان الدكتور رانتز يسلكها فى إطار دراسة المنطقة التى أنشئ من أجلها هذا القسم تاريخياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وحضارياً، ويعرض شيخنا لكتاب الدكتور رنتز (أرامكو المرجعى) (Aramco Hand Book) الذى ألفه الدكتور رنتز مع مجموعة من الباحثين الأمريكين لإعطاء قارئه فكرة عن تاريخ الإسلام فى مختلف العصور حتى قيام الدولة السعودية فى شبه الجزيرة العربية.

– عرض أديبنا لفصول الكتاب بأسلوب موضوعي دون التطرق إلى الهدف من هذا الاهتمام الأمريكى الشديد بالمنطقة وثقافتها وتاريخها باعتبارها منطقة مصالحي حيوية للطموح الأمريكى والأوربى فى خيراتها، كما أشار كاتبنا الأديب بعد ذلك لما رآه من اختراق الثقافة الأمريكية للطبقة الشعبية من أبناء الشعب السعودى العاملين فى شركة (أرامكو) وافتتانهم الشديد بالثقافة الأمريكية وتحديثهم بلغة عربية ركيكة، هى خليط من العربية والانكليزية، وغضب لذلك غيرةً على دينه وحضارته وثقافته.

- لكن شيخنا أنصف الدكتور رنتز، وتردد على جلساته العلمية في قسم البحث العربي بشركة (أرامكو) الذي لفته في أساليبه البحثية غلبة الحوار والتعمق في معرفة أسرار الحياة البدوية والحضرية، وأعجب بما كانت عليه الحياة في حي كبار الموظفين وقسم البحث العربي أيما إعجاب، وقد لاحظ ذلك القائمون على الأمر في (أرامكو) لطول تزدده على جلسات البحث، فعرض عليه الدكتور رنتز ورفاقه عروضاً مغرية كأن يعمل في الشركة عضواً باحثاً في طبقة كبار الموظفين بما تحمله تلك الوظيفة من مزايا مادية ومعنوية، وعروضاً أخرى بالسفر إلى أمريكا للدرس والحصول على درجة الدكتوراه، وكاد أديبنا الشاب يوافق وقدم استقالته بالفعل عندما عاد إلى مكة المكرمة لولا أنه (أراد عمراً وأراد الله خارجة) أراد الله تعالى له أن يجنده في خدمة لغة القرآن وآدابها والنهضة العلمية والتعليمية وبناء العقول والنفوس في أرجاء المملكة المتراامية الأطراف بخاصة، والمساهمة الفاعلة في النهضة العربية والصحة الإسلامية المعاصرة بعامة.

● وكما أنصف أديبنا المستشرق الدكتور جورج رنتز ومناهجه في البحث وأعجب بذلك متأثراً - كما ذكر - بدعاة الجديد والأخذ غير المتحفظ عن أوروبا ونهضتها وثقافتها في الجامعة المصرية آنذاك من أمثال لطفى السيد وطه حسين وغيرهما - وإن كان قد راجع نفسه في ذلك وأعاد تقييم بضاعة أنصار التغريب فيما بعد - رأيناه في أوروبا مستشاراً ثقافياً مقيماً في جنيف العاصمة الأوربية لهيئة الأمم، يدير المكتب الثقافى من شقة فى حى شامبل أمام شقة الدكتور عزمى نوار الذى كان رئيس قسم الرياضيات فى المدرسة الدولية بجنيف والذى يعترف له كاتبنا بالفصل لما قدم إلى المكتب الثقافى السعودى من خدمات جليلة وهو المسيحى المصرى !!.

\* \* \*

## الفصل السابع

### ٧ - الوفاء والخلق الإسلامى العظيم

● ويبقى للأستاذ الراحل الشيخ محسن أحمد باروم وفاؤه النادر لأساتذته ومعرفته لأقدار الرجال، وليس بمستغرب ذياك الأدب العالى على أديبنا، إذ لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوهه، ولقد وقفت ملياً أمام هذا الوفاء العبقري لمعلميه لا سيما معلمو المراحل الدراسية المبكرة فى مكة المكرمة ثم معلمو كلية اللغة بالجامع الأزهر فى القاهرة ثم رؤساؤه فى التوجيه التربوى وزملاؤه الموجهون خلال رحلته الوظيفية فى التوجيه التربوي ثم فى جنيف مع الداعية الإسلامى الحكيم الدكتور زكى على .

● لقد كان أديبنا وفيّاً لرجال الفكر والأدب والدعوة والمربين الذين التقاهم عبّرَ رحلته الوظيفية، كما تعكسه فصول ( رحلته مع الزمن وذكرياته وشجونه التربوية )، وكان أوفى ما يكون مع معلميه فى مراحل التعليم الأولى فى مدرسة الفلاح بمكة المكرمة حتى إنه يستحضر ذكرهم بكل الإجلال والامتنان والحب والاعتزاز، جاعلاً عنوان الفصل الثالث من كتابه ( المجلد ) : « أولئك ... أساتذتى ... فجئنى بمثلهم » مفتخراً على طريقة الفرزدق فى قوله :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعنا يا جرير الجماع

– وعند حديثه عن أعجب بهم وتأثر بأسلوبهم فى التدريس يخص معلماً شاباً من إندونيسيا تعلم وتخرج فى مدرسة الفلاح بمكة وعمل بها واسمه الأستاذ أنور مسدد قاروت، الذى صار له شأن كبير فى العمل السياسى والدعوى الإصلاحى فى أندونيسيا فيما بعد، ولقد لفتنى فى إعجاب الفتى بمعلمه الشاب أسلوب المعلم فى تدريسه وحسن معاملته لتلاميذه وإخلاصه فى أداء رسالته، وهى أمور عندما تتوفر فى المعلم تجذب إليه عقول وقلوب طلابه، فيصيرون

كالفراشات المحلقة في أرجاء الروض الندى، تنجذب لأزهاره ونواره وثماره، ولقد عايشت تلکم الحال وأسعدتني أیما سعادة خلال عملي في الحقل التربوي.

– يقول فتانا المکی عن أستاذہ الأندونیسى: «وكان ذلك المدرس موهوباً في أساليب تدريسه محبوباً لدى تلاميذه، وكانت عبقريته الفنية وموهبته في فن التدريس تتجلى في هذه المواد الثلاث (الرسم والهندسة واللغة الإنكليزية) التي كان يتقنها حق الإتقان، وكنا نعد الأيام التي يفيض فيها من علمه وخبرته الفنية في تدريس هذه المواد ما يملأ نفوسنا حباً وحماساً وشوقاً لتلك الدروس الثلاثة» (١).

● أما عن أستاذه الجليلين: السيد إبراهيم سليمان نوري وزميله السيد إسحاق عزوز فيخصهما بكثير من حديث النداءة والوفاء، وإن كان قد ذكر غيرهما بالتجلة والاحترام بيد أن ذكره لهذين الشيخين الجليلين قد لفتني واستوقفني. يقول الشيخ عن أستاذه: «كان كلاهما من العلماء الربانيين الموهوبين اللذين يُطلق عليهما صفة العلماء الموسوعيين» (٢).

– وفي موضع آخر يقول عنهما إنهما «من نوابغ الرجال الذين أسدوا لوطنهم ومواطنيهم خدمات جليلة في مختلف مجالات التربية والتعليم وسيُسطر لهم التاريخ الحديث والمعاصر عبقرية التفاني في خدمة أبناء وطنهم بمداد من ذهب» (٣).

– وكذلك كان حال أدينا مع شيوخه في الجامعة الأزهرية بالقاهرة، وفي رحاب كلية اللغة العربية يثنى على أستاذه محمد على النجار الذي يصفه بأنه (بحر لا ساحل له في علوم العربية).

وصنوه عبد الحميد عنتر، كما يشيد بأستاذه في الأدب العربي وتاريخه الدكتور عبد الجواد رمضان الذي بهرته طريقة إلقائه للشعر وحسن تمثله ويصفه

---

(١) في موكب الزمن – ذكريات وشجون تربوية ص ٢٦.

(٢) السابق ص ٢٨.

(٣) السابق ص ١٧.

بأنه كان « يعتد بنفسه إلى أقصى حدود الاعتداد، وكان يحلو له أن يوجه أسئلته إلى قائلًا: يا حجازي أجب عليها » (١).

- أجل أيها السيد الحجازي كم كنت وفيًا لمعلميك وكم كنت مُنصفًا لأقدار الرجال وكيف لا وأنت الذي ترعرت على مادبة الإسلام وأخلاقه مشمولاً برعاية الله وبركة البيت الحرام !!؟ ... كيف لا تُنزل الناس منازلهم وتعرف للرجال أقدارهم وأنت نبتة إسلامية تمثل فيها خلق الإسلام العظيم وأدب النبوة الشريف .

● ولقد أورد في سيرته ورحلته مع الدرس والعمل الوظيفي عشرات الأسماء لإخوانه وزملائه في حقل الدراسة في رحاب مدرسة الفلاح بمكة المكرمة وخلال إقامته في القاهرة لطلب العلم بالجامعة وأثناء العمل في التوجيه التربوي والإعلامي، وخلال العمل في الحقل الإداري في وزارة المعارف والجامعة، وهم جميعاً من جيل البناة المؤسسين للنهضة العلمية والتعليمية والاجتماعية المعاصرة، كما رأيناه يرسم بريشة رسام صورة بديعة وبلغية للصفات النفسية والجسمية لرفاق الدرس والسفر وزملاء التوجيه مستفيداً بمنهاج علم النفس وخبرة المربي وسعة العلم والخبرة بالطبيعة البشرية (ومن عَرَف كثيراً غفر كثيراً) !! .

- ولكننا نقف - في إعجاب وإجلال - أمام تقديره ووفائه لعلمين عظيمين اللذين ورد ذكرهما في ذكريات أديبنا السيد وهما العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام والداعية الحكيم الدكتور زكي علي ولقد أكبرت حُبّه وتقديره لها واعتزازه بهما وبأثرهما في خدمة الدعوة والحضارة الإسلامية، وأولهما الدكتور عبد الوهاب عزام الذي سبق تعرف شيخنا عليه وتلمذه على يديه في محافل العلم والأدب بالجامعة المصرية إبان درسه في الجامعة والدكتور عبد الوهاب عزام أول سفير لمصر في باكستان بعد استقلالها وانفصالها عن الهند، وهو من رواد الأدب

---

(١) السابق ص ٤٦ .

العربي الإسلامي بكلية الآداب بجامعة القاهرة وأول من عرف بالفيلسوف الشاعر الدكتور محمد إقبال الملقب بشاعر الإسلام، وقدم لأدباء العربية فلسفة إقبال ونماذج من شعره بالعربية نظماً ونثراً، فلا جرم أن يحزن أديبنا الشيخ محسن باروم عند وفاته أشد الحزن، وقد وافاه الأجل عام (١٣٧٨ هـ) وكان مديراً لجامعة سعود بالرياض، وتشاء إرادة الله أن يكلف شيخنا بمصاحبة الجثمان الذي أمر له الملك سعود بطائرة خاصة نقله إلى مصر، ويصحبه في الرحلة شقيق الفقيه الأستاذ عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية والمجاهد الإسلامي الكبير وحرم فقيه العرب والمسلمين الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله - والذي يقول عنه أديبه الوفى إنه: «أحد رواد الأدب العربي الإسلامي الحديث في مصر، فقد كان الفقيه مع أنداده طه حسين وأمين الخولي ومصطفى عبد الرازق ومحمد عوض محمد وعبد الوهاب حموده وأحمد أحمد بدوى طليعة والمفكرين العرب في كلية الآداب بجامعة القاهرة» (١).

- ويمضى في إنصاف الرجل والثناء عليه فيقول: «ولن أنسى ما حييت المتعة الفكرية ومشاعر الغبطة والسرور التي كنت أحس بها وأنا أتابع محاضرات هذا الأديب الكبير في مدرجات كلية الآداب وغيرها من منتديات الثقافة والفكر في القاهرة» (٢).

● وثاني الرجلين العبقرين هو العلامة الطبيب الدكتور زكى على - عافاه الله وشفاهه\* - ويأتى وفاؤه للدكتور زكى على الداعية الإسلامي المقيم في جنيف بسويسرا منذ أواسط ثلاثينيات القرن العشرين الميلادى والمدافع عن حقوق الأوطان الإسلامية وأمتة العربية الغيور على دينه ولغة القرآن، وقد التقاه الشيخ فى جنيف أوائل الستينات الميلادية من القرن العشرين وشكر له خدماته الجليلة للمكتب الثقافى السعودى بجنيف حيث توطدت أواصر الأخوة الإيمانية

(١، ٢) المصدر السابق ص ٩١.

(\*) انتقل الدكتور زكى على إلى جوار ربّه الكريم فى جنيف فى يوم السبت

[١١/١١/١٤١٩ هـ] الموافق [٢٧/٢/١٩٩٩ م].

بين الرجلين حتى كانت دعوة شيخنا محسن أحمد باروم لإصدار كتاب للتعريف  
بجهاد هذا الرجل في سبيل الإسلام وأمته وقضاياها ولغة القرآن وآدابها على مدى  
قراءة سبعين عاماً وقد استجاب صاحب هذه السطور للدعوة الكريمة فعكف على  
إخراج كتابه عن الدكتور زكي علي (من أعلام الدعاة في أوروبا)، وفيه عرض  
لجوانب نشاط الرجل وعطائه: عالماً طبيياً وداعياً نجيباً وكاتباً أديباً، وقد شارك  
الشيخ في تحرير الكتاب بتواضع العالم الكبير، وقام على طبعه ونشره في داره  
الإعلامية بجدة.

- وأدعو الله تعالى أن يجزى شيخنا خير الجزاء، وأن يتقبل جهاده في  
سبيل العلم والتعليم والإعلام في ميزان حسناته، وأن يبارك للأمة العربية  
والإسلامية في عطائه المتواصل في خدمة الإسلام ورسالة العلم، ولا شك أن  
تكريمه من قبل وزارة المعارف السعودية كأحد رواد التعليم ورموز النهضة وبناتها  
مع سبعة آخرين من رجال التربية تكريمٌ أصاب أهله ولفتة كريمة من أولى الأمر  
لدفع الأجيال اللاحقة لمضاعفة الجهد ومواجهة التحديات لتحقيق المزيد من  
الطموحات على طريق نهضة الوطن وعزته ومنعته؛ لتقوى به الأمة على طريق  
التوحيد الخالص والشريعة السمحاء، والتضامن الإسلامي الفعال على طريق  
الوحدة الإسلامية والله لا يضيع أجر المحسنين، والحمد لله رب العالمين.

\* \* \*



## فى فلسفة الابتلاء والتطهير

- حديث النفس المطمئنة .
- رسائل إلى أهل البلاء .
- مع الكاتب الباحثة الأديب
- الأستاذ عبد الرحمن على فلاح .



## الفصل الأول في فلسفة الابتلاء والتطهير

حين يؤمن العقل تطمئن النفس، ويسعد الفؤاد وينشرح الصدر ويحيا المؤمن رحلة وجوده في هذه الدنيا في سعادة روحية لوعرفها أهل الجاه والسلطان وعبيد الثروة والمال لجالدوه عليها، وفي هذا قال الشاعر في خطابه لمولاه تبارك وتعالى:

فليستك تحلّو والحياة مريرة  
وليستك ترضى والأنام غضاب  
وليت الذي بينى وبينك عامر  
وبينى وبين العالمين خراب  
إذا صح منك الود فالكل هين  
وكل الذي فوق التراب تراب

● ولا يعجم عود المرء ويشف عن معدنه ويهذب نفسه ويسمو بمشاعره مثل البلاء والفهم عن الله في حكمته والرضا بقضائه والصبر على بلائه والفوز بقربه والأنس بمناجاته والتضرع إليه.

● وقد خلق الله سبحانه وتعالى - الخلق ليعبدوه ويشكروه وليسبحوه بكرة وأصيلا، وجعل - تبارك وتعالى - الابتلاء أساس فلسفة الحياة وحكمتها فمن نجح في اختبار الحياة ضمن السعادة في دنياه وأخراه وظفر بحبة مولاه، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا \* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ١، ٢]

● من أجل هذا جعل الله - تعالى - الدنيا محفوفة بالمكاره، ليس لها قرار، وأحوالها متغيرة، فلا حزن يدوم فيها ولا سرور، ولا صحة تدوم ولا مرض، ولا

فقر يدوم ولا غنى، فهي في حقيقتها (دنيا)، لقصرها وسرعة زوالها وقلة متاعها وهي حتى إن أقبلت قلت، وإن حلت أو حلت، وإن كست أو كست، وكم من ملك وضعت له الشارات والعلامات فلما علامات، وهي مع إقبالها على الإنسان إما أن تزول بنعيمها عنه أو يزول هو عنها وعن نعيمها بفراق الحياة الدنيا ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ يصف تلك الحال فيقول:

ومن تضحك له الدنيا فيغترر

يمت كقتيل الغيد بالسلمات

● إن الله تعالى في اختباره لخلقه في هذه الدنيا يختبرهم بالغنى والفقر والصحة والمرض والعطاء والمنع، ويبلو بعضهم ببعض، فيبتلى القوي بالضعيف والغنى بالفقير، وإذا الجاه بمن لا جاه له، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ \* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦] كلا فليس الابتلاء بالعطاء والرخاء - بالضرورة - أمانة على رضا الله تعالى، وإنما قد يكون فتنة وغضباً من الله، كما كان الحال مع قارون بماله وفرعون بجاهه وسلطانه وليس الابتلاء بالمنع أو بإنزال البلاء أمانة غضب من الله، بل قد يكون معبراً لرضوان الله تعالى والدرجات العلاء من الجنة مع رضا العبد المؤمن وصبره وفهمه عن الله تعالى.

- فقد يصدق المولى عز وجل على عبده بمختلف صنوف النعم من العافية والمال والجاه والسلطان فيستأثر العبد بما أنعم عليه مولاه، فلا ينصر مظلوماً ولا يعطى محروماً ولا يغيث ملهوفاً ولا يكرم مسكيناً أو يتيماً بل يتكالب على جمع المال، لا يبالي أمن حلال هو أم من حرام؟! فتراه يأكل مال اليتيم ولا يكرم المسكين ولا يعدل مع الأجير ويمطل الناس حقوقهم، ومثل هذا الصنف راسب في اختبار الحياة ويصير ماله وجاهه وسلطانه نقمة ونارا يكوى بها في جهنم يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ

بِعَذَابِ أَلِيمٍ \* يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ  
 وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ ﴿ [التوبة: ٣٤، ٣٥]  
 ويقول سبحانه: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي  
 أَكْرَمَنِ \* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ \* كَلَّا بَلْ لَأُكْرِمُونَ  
 الْيَتِيمَ \* وَلَا تَحَاضُنْ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ \* وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا \* وَتَحِبُّونَ  
 الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿ [الفجر: ١٥ - ٢٠]

● وتتنوع وسائل البلاء التي يبلي بها المولى - عز وجل - عباده في المال  
 والدين والولد، وهو سبحانه - يصطفى أهل البلاء الناجحين في الابتلاءات  
 الربانية من عباده، ليرفع درجاتهم، وليكونوا في منزلة يغبطهم عليها النبيون  
 والشهداء والصالحون يوم القيامة، ولم لا وقد بشرهم الله تعالى بذلك في كتابه  
 الكريم إذ يقول: ﴿ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ  
 وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا  
 إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿  
 [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧] وكذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ  
 لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ  
 بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [الزمر: ١٠]

● وقد ابتلى المولى عز وجل - الأنبياء وأولى العزم من الرسل بالمرض وفقد  
 الولد والخوف ونقص الأموال والثمرات، فهذا نبي الله آدم أبو البشر عليه السلام  
 يبتليه ربه فيأكل من الشجرة المحرمة بتأثير إغراء الشيطان ووسوسته فيخرج من  
 الجنة مع زوجته ويهبط إلى الأرض ليشقى ويكدح في عمارة الأرض وتستمر  
 معركته وذريته مع ابليس وذريته إلى أن تقوم الساعة، وهذا نوح يبتلى في زوجته  
 وعقوق قومه وإعراضهم عنه وسخرتهم منه، وهذا نبي الله إبراهيم يواجه وثنية  
 قومه وطغيان كبيرهم ومليكتهم فيلقى به في النار ويحرم من الولد حتى يرزق الله

إياه من زوجه المصرية هاجر وقد صار شيخا كبيرا، وابتلى الله إيمانه في ابنه الصبي اسماعيل (الغلام الحليم) الذى ما أن بلغ سن السعى والفتوة وتفتتح زهرة صباه حتى يبتلى أبوه أبو الأنبياء إبراهيم بالأمر بذبحه وابتلى الغلام الحليم بهذا الأمر وكان البلاء عظيما كما وصفه القرآن الكريم ولكن لا يملك النبى المصطفى إلا الطاعة ويستجيب الصبى لأمر ربه ويعين والده على طاعة أمر ربه حتى يفديه الله بذبح عظيم ينزل به جبريل - عليه السلام - من السماء.

وهذا نبى الله يعقوب عليه السلام - يبتلى بفقد ابنه الحبيب يوسف وبالجوع ونقص فى المال والثمرات وهذا ابنه يوسف الصديق يبتلى بإغراء الشيطان وابتلى بالسجن ومن قبل يبتلى بمكر إخوته وظلمات الجب وهذا نبى الله أيوب يبتلى بفقد المال والولد وذهاب العافية. قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٣] وهذا نبى الله يونس يبتلى بإعراض قومه ويرمى فى البحر فيلتقفه الحوت ويحيا فى ظلمات بطن الحوت ولولا تسبيحه وتضرعه للبت فى بطنه إلى يوم يبعثون وقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]

وهذا نبى الله موسى يبتلى بالخوف وطغيان فرعون وابتلى بقومه الذين عبدوا العجل مجرد أن تركهم للقاء ربه، وهذا نبى الله عيسى عليه السلام يبتلى بعداء بنى إسرائيل وتهرب به أمه العذراء عليها السلام خوفا من بطش بنى إسرائيل، وابتلى عيسى عليه السلام - بتأمر بنى إسرائيل على حياته بالقتل والصلب، لولا أن نجاه الله تعالى ويلقى يهوذا الخائن جزاءه وابتلى محمد - ﷺ - وخاتم الأنبياء والمرسلين فى سبيل دعوته صنوفا من العذاب، فيتعرض للأذى والجوع والخوف والحصار الاقتصادى، وابتلى بفقد الزوج والولد ثمرة القلب وفلذة الكبد فيودع ابنا بعد آخر ويقول: إن العين لتدمع وإن القلب يحزن وإنا

لفراقك يا إبراهيم محزونون، ولكن لا نقول إلا ما يرضى ربنا فإننا لله وإنا إليه راجعون .

● وعلى نهج الأنبياء والصالحين والناجحين فى الابتلاءات الربانية مع التسليم الفائز بمرضاة الله والنفس المطمئنة بقضائه جاءت رسائله إلى أهل البلاء فى ( حديث النفس المطمئنة ) باليراع المثقب والجملة البليغة لأخى الأديب الإسلامى النابه عبد الرحمن على فلاح صاحب العقل المؤمن والقلب الزاكى والفكر الثاقب والنظر السديد .

– ولا غرو فى ذلك فهو رجل يصدر عن مصباح القرآن الكريم ومشكاة النبوة وآفاق فسيحة فى الفكر الإسلامى والنظر العقلى والتجارب الإنسانية، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها ولذا جاءت رسائله فى ( حديث النفس المطمئنة ) فياضة بعميق الرؤية وسداد التحليل وصائب النتائج .

– أجل لقد جاءت تلك الرسائل القيمة دروسا بليغة من مدرسة اليقين والحكمة البليغة، وأثبت – بحق – نجاحه الممتاز فى اختبارات الجامعة الإيمانية كما عبر عن تجربته الإيمانية – الأمر الذى سنوضحه – بتوفيق الله – فى المقالة التالية .

\* \* \*

## الفصل الثاني مع حديث النفس المطمئنة

إن من سمات الأدب الإنساني الخالد صدق التجربة الشعورية وسمو الموضوع وجمال التصوير والتعبير وامتزاج الفكر بالوجدان، حتى كأن الأديب يشعر بعقله ويفكر بقلبه، سواء أكان النص الأدبي شعراً أم نثراً.

— فإذا نظرنا في (حديث النفس المطمئنة) رأينا تحقق مواصفات الأدب الإنساني الخالد تمام التحقيق، من حيث التجربة الشعورية التي عاشها أديبنا عبد الرحمن على فلاح، من حيث سمو الموضوع وإنسانيته، ومن حيث امتزاج الفكر بالوجدان ومن حيث جمال التصوير والتعبير.

— فكاتبنا أحب الكتاب والكتابة منذ نعومة أظفاره، وأكب على القراءة النافعة ودورس العلم ومجالس العلماء، ينهل من معينها، وطفق يقطف من ثمارها الشهية، فهذب نفسه، وصقل موهبته الأدبية على نهج عميد الفكر العربي عباس محمود العقاد ومن قبله أستاذه العلامة محمد فريد وجدى صاحب (دائرة معارف القرن العشرين) و(المصحف المفسر) وصاحب جريدة (الدستور) ومجلة (الحياة) ولذا أنس صاحبنا إلى القلم وأنس إليه القلم، فكان بين يديه سيلاً مطواعاً، وانحاز إلى فكر الأمة وحضارتها وحصن ثقافتها الأصيلة، يذود البوم والغربان عن دوحة الإسلام وثغوره وبستان النبوة وزهوره، فيما يحرره منذ (إسلاميات) جريدة (أخبار الخليج) الغراء ثم في قيامه على تحرير (في رحاب الإسلام) الأسبوعية الغراء وصفحة (مع الصائمين) اليومية الرمضانية الغراء فضلاً عن تواصل مع كثير من المجالات والصحف الإسلامية العربية والدولية.

● بيّد أن تجربة كاتبنا في (حديث النفس المطمئنة) ورسائله إلى أهل البلاء الصابرين المحبين تمثل قفزة نوعية غير مسبوقه في كتابات أديبنا المرابط، وقد سبقت دراساته ونظراته السابقة مثل:

١ - الإسلام والوصاية على الأديان (١٣٩٨ هـ) .

٢ - وماذا بعد الانتفاضة (١٤٠٩ هـ) .

٣ - الذين يحرثون في البحر (١٤١١ هـ) .

٤ - قوة الإسلام (١٤١٣ هـ) وغيرها من كتاباته .

لقد جاءت تجربته في هذا الكتاب عميقة كل العمق صادقة غاية الصدق، إنسانية عامة، فقد عانى خلالها أشد المعاناة، حيث يتابع مرض وحيدته ومعاناة ثمرة حياته وزهرتها، ويعايش تجربة العلاج بمختلف وسائله، ويرى عجز الطب والأطباء، وكأنى به يردد معنى قول الشاعر:

قل للطبيب تخطفتـه يد الردى

يا شافي الأمراض من أرداكـا؟!!

وها هي ذى زهرة أديبنا تذبل أمام عينيه ويغادر الحبيب وقرة العين هذه الحياة الدنيا ليلقى الخالق الرحيم الحنان المنان، ويستودع العبد مولاه ثمرة فؤاده، ليرتفع في رياض الجنة مع الغلمان المخلدون الذين إذا رأيتهم حسبتهم لأولاً منشوراً .

- والتجربة برغم أنها ذاتية إلا أن كاتبنا يعرضها عرض الداعية المفكر والأديب الشفاف فجاءت تجربة عامة تجاوز حدود المحلية إلى المشاعر الإنسانية العالمية، وتتابع نظراته في سير الرحلة العلاجية حتى نهاية العهد بحبيبنا فلذة كبد الكاتب وولده (عليّ) بدنيا الناس هذه، ليغادر ويسبق إلى دار الخلود في الفردوس الأعلى ... طيراً أبيض وزهرة جميلة بين أزهار الجنة وطيورها التي تجوب الآفاق جذلانه بين اللدات والخلان، ولذا جاءت رسائله ومقالاته دروساً مربية في الأدب الشفاف، تأخذ بيد المتلقى إلى رحاب اليقين وبرد الإيمان، وقد تجلت مهارة كاتبنا في اختيار عناوين مقالاته كما نبغ في النظر والتحليل ودعم تأملاته بالحجج القوية والبيان الجميل الذي يعكس سعة اطلاع الكاتب وتأثره ببلاغة القرآن الكريم وفصاحة النبي العدنان الأمين، ومن ثم جاء إبداعه فيها مؤثراً

ومقنعاً فى آن واحد حيث لامست مضامينه تجارب جميع قرائه تقريباً وطاردت حجب الغفلة والنسيان والانشغال بالدنيا والاعتزاز بالمال والجاه والسلطان والتعلق بالاسباب عن مسببها وعن يد الله التى هى فوق كل يد والتى هى بإرادة الله تعالى وراء كل حركة أو قضاء يقع فى ملكوت الله، ومَن من قراء الكاتب لم يُبتلَ فى عزيز لديه من نفس أو مال أو دين أو ولد ورحم الله أمير الشعراء حين قال :

ولا يُنبِيكَ عن خلق اللِيَالِي

كمن فقد الأحبة والصحابا

وهذه بعض عناوين الكاتب فى رسائل الحزن الجميل : « كل نفس ذائقة الموت » - « استبداد المشاعر - الحزن المدمر » - « فى الرخاء نعيش مع النعمة - وفى البلاء نعيش مع المنعم » - « نعمة الرضا » - « وأما بنعمة ربك فحدث » - « حين تتوحد المشاعر » - « وداعا عليّ » - « بيت الحمد » « عطاء المحنة » وهى عناوين معبرة، جاءت مصوغة فى بلاغة، تعكس - فى وضوح جلى - تأثر أديبنا، بالقرآن الكريم والحديث الشريف مع حسن الاقتباس والأخذ عن العلماء الصالحين .

● وقد جاء بيان الكاتب عذبا بليغاً لا تكلف فيه ولا صنعة فى خياله وتصويره وإنما جاء ذلك فى تلقائية أملاها الصدق الشعورى والإبداع الفنى (صادق الحب يُملئ صادق الكلم) كما قال شوقى أمير الشعراء .

- يقول كاتبنا تحت عنوان ( حين يستأثر الحق ببعض خلقه !! ) : « عند المرض تنهاوى الحصون التى يحتمى بها الإنسان ساعة الصحة » ( ص ٣٦ ) ، ومن تعبيراته الجميلة : « هذه القضية العظيمة المباركة التى تزرع الأمل ( حدائق ذات بهجة ) فى نفس المؤمن نجد تحقيقاً لها فى سورة الكهف » ( ص ٥٢ ) ويقول فى نفس المقالة ( العطاء المبارك ) : « . . ولا غرو فى ذلك فابن عبد العزيز غصن ندى ومتميز فى دوحة الحاكم العادل الباهر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه » ( ص ٥٥ ) .

- ومن أبدع ما فى هذه الرسائل مقالته فى وداع حبيبنا معاً وثمره فؤاده (عليّ) حيث يقول فى بيان مؤثر وخطاب معاً: خُلِقَ عليّ لدور محدد، لم نكن ندرك أبعاده أو حقيقته». أنه شفيعنا يوم القيامة، وهو الذى سوف يأخذ بأيدينا لندخل معه الجنة، وهو الذى يثقل ميزاننا يوم القيامة... إنه طير من طيور الجنة، يتنقل على أشجارها مع إخوانه الذين سبقوه إليها، وحين يأتى موعد اللقاء مع أبويه سوف يكون فى استقبالهما وسوف يفرح بلقائهما، ويفرحان بلقائه» (ص ٦٥).

- واقرأ معنى هذا التعبير الجميل وانظر ماذا يصنع الصدق الشعورى فى تصوير الأديب وتعبيره!؟

يقول الأديب المكلم: «كان الوالدان يدخران (عليّاً) ليوم شيخوختهما عندما يحتاجان إلى من يتوكأ عليه» (ص ٩٦).

- ولكن سرعان ما يعتصم كاتبنا بإيمانه متسربلاً بلباس اليقين، ليقوى منطق العقل المؤمن ويقين النفس مطمئنة فيقول: «حديث النفس هو حديث الإيمان واليقين، وكنت دائماً أتغلب على شوقى ولهفتى إلى عليّ باليقين الذى لا يدنو منه الشك فى أن علياً يعيش الآن أزهى مراحل عمره وأجمل أيام حياته» (٩٧).

● لقد بَلَغَ اللهُ أذنانك، فلقى آذناً صاغية، ولامستُ رسائلِك شغاف قلوب واعية فنورتها وأضاء سراجها الأبصار وارتقيت بها - أيها الكاتب المؤمن - مرتقى عالياً فى دوحة الأدب الإسلامى الشفاف بأفاقه الإنسانية الرحبة.

\* \* \*



## أزمة التربية المعاصرة فى أوطان العالم الإسلامى

- التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام.
  - فى تاريخ الغزو التربوى والتعليمى والثقافى ووسائله وغاياته.
  - فى واقع التربية الوافدة فى العالم الإسلامى
  - التربية والتعليم والثقافة فى المنظور الإسلامى
- مع المؤرخ والأديب الموسوعى الأستاذ أنور الجندى



## الفصل الأول في أزمة التربية

### « التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام » (\*)

• شغلني كثيرا واقع التربية والتعليم في البلاد العربية والإسلامية ، ولأنني مسلم عربي لا أفتأ أهتم بواقع الأمة العربية والإسلامية وأجتهد دائما للبحث في الداء والدواء ... في واقع الأمة العربية المؤسف ! « والذي استحالت فيه الأمة الواحدة ذات القبلة الواحدة والتشريع الواحد أمما شتى » - والنظر في سبيل نهضتها والعودة بها إلى مكانها الطبيعي في السيادة والقيادة، حيث إن الوضع الطبيعي لأمة العروبة والإسلام قد لخصه الشاعر، في قوله :

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر (١)

- من أجل هذا نشط كثير من المفكرين والمصلحين العرب والمسلمين في تشخيص العلة والداء توصلا لوصف الدواء، وخروجا بالأمة الإسلامية من وضعها الممزق حيث تكثر الرايات وتسود الأسوار الحديدية بين الشعوب الإسلامية ويعتبر المسلم أجنبيا في البلد الإسلامي الآخر، وما آل واقع الأمة الإسلامية والعربية إلى ذلك إلا يبعث أعداء الإسلام من المستعمرين والمحتملين للروح الشعبية بين أبناء الأمة الواحدة وربط هذه الكيانات الممزقة بركب الدول الكبرى والتي باتت كأنها وصي على أيتام لم يبلغوا سن الرشد بعد !! .

• والكتاب الذي بين أيدينا « التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام » يأخذ بيدنا على طريق التشخيص الصحيح للداء الذي يعاني منه المسلمون في بلاد

---

(\*) نشرت هذه الدراسة في كتاب مستقل عن مكتبة دار الدعوة بالإسكندرية عام ١٩٨٢ م. كما نشرت مقالة مختصرة في صحيفة (أخبار الخليج) البحرينية في [١٠/٣٠/١٩٩٢م].

(١) من قصيدة أبي فراس الحمداني الرائية التي مطلعها:  
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر.

الإسلام المترامية الأطراف والامتدة على محاور: [طنجة - جاكرتا] وم يزيد على مليار من الموحدين الذين يؤمنون بالله ورسوله ويعتقدون في التوحيد بكلمة « لا إله إلا الله » ... ويصحبنا الكاتب ويضع أيدينا على موطن الداء ويدلنا على الخنجر الذى طعن به المسلمون بعد ما يعرض لآراء المصلحين فى مساوية الواقع الإسلامى وسبيل النهوض به ويرى أن إرجاع الداء إلى إقصاء الشريعة الإسلامية عن مجال التطبيق واستبدالها على يديه وتحت رعايته بالقانون الوضعى أو إرجاع الداء إلى الحرب التى شنها الخصوم على لغة القرآن ومحاولة إبدالها بالعاميات للحيلولة دون ارتباط حياة المسلمين بالقرآن الذى هو دستور المسلمين وكتابهم المقدس، أو إرجاع الداء إلى الطعون التى وجهت إلى الاقتصاد الإسلامى والمفهوم السياسى الإسلامى للعلم بإبدال كل تلك المفاهيم بمفاهيم أخرى تضاد مفهوم الإسلام بل وتتناقض معه وإقامة حياة المسلمين على أساسها بالاقتصاد الربوى والشيوعية والليبرالية فى السياسة وقصر مفهوم العلم على الطبيعة والفلك والتكنولوجيا وقصر الفضل فى تلك العلوم على أوروبا وعلمائها لا يرى شيخنا أن الخنجر الذى طعن به المسلمون فى شئ مما سبق وإنما يرى أن الخنجر الذى طعن به المسلمون حقيقة الأمر فى (التربية والتعليم) التى سيطر عليها النفوذ الاستعمارى واحتواها وعندما انحسر ظله لم يسلمها إلى أهلها مرة أخرى بل مضت تدار بإشراف أوليائه وتحت لواء أتباعه (١).

- هذا ما يناقشه المؤلف فى هذا الكتاب الجامع لهذه القضية من كل أطرافها فى تشخيص دقيق للداء ووصف رائع للدواء فى تقديم الصورة المؤسفة للواقع وإبدالها بالصورة المشرفة لما ينبغى أن تكون عليه التربية وما يكون عليه التعليم، يشخص الواقع المرضى بتقديم البديل الذى يحتوى على عناصر النهضة

---

(١) التربية وبناء الأجيال ص : ٨ .

لهذه الأمة ويضمن لها اتحادها وقوتها وازدهارها كى تحتل مكانها الذى أراده الله تعالى لأمة خير الأنبياء والمرسلين .

﴿ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

● المؤلف غنى عن التعريف فهو مؤرخ كبير وأديب متفرد وباحث موسوعى غطت أبحاثه - تقريباً - جميع مناحى المعرفة والثقافة والأدب والنقد فضلاً عن جهده المشكور والممتاز فى رصد الظواهر والاتجاهات الأدبية وكذلك السياسية والاجتماعية، فهو - بحق - جدير بلقب « شيخ الباحثين »، يذكرنى كلما نظرت فى إنتاجه وتلمذت على يديه بالكتاب الموسوعيين الذين أنتجتهم الحضارة الإسلامية الأولى فى عصور ازدهارها ...

● والقضية التى يطرقتها المؤلف فى هذا الكتاب القيم على درجة كبيرة من الخطورة كما ذكر فى مقدمة كتابه، وحسبنا أن تلقى نظرة على واقع التعليم فى المدارس والجامعات على طول جغرافية العالم الإسلامى وعرضها، وتلقى بنظرة أخرى على المتخرجين فى تلك المدارس وتلك الجامعات؟! يمكنك أن ترى حصاد ذلك فى وجازة ممتعة فيما كتبه الدكتور محمد إقبال شاعر الإسلام وفيلسوف الهند والباكستان حين يقول:

« إن الشباب المثقف فارغ الأكواب، ظمأ الشفتين، مصقول الوجه، مظلم الروح مستنير العقل، كليل البصر، ضعيف اليقين، كثير اليأس، لم يشاهد فى هذا العالم شيئاً، هؤلاء الشبان، أشباه الرجال ولا رجال، ينكرون نفوسهم ويؤمنون بغيرهم، يبنى الأجنب من تزيهيم الإسلامى كنائس وأديارا، شباب ناعم، رخو، رقيق، فى الشباب كالحريير يموت الأمل فى صدورهم ... إن المدرسة قد نزعت منهم العاطفة الدينية وأصبحوا خبير كان، أجهل الناس لنفوسهم وأبعدهم من شخصياتهم شغفتهم الحضارة الغربية فيمدون أكفهم إلى الأجنب ليتصدقوا عليهم بخبز الشعير ويبيعون أرواحهم فى ذلك ... مؤمنون ولكن لا

يعرفون سر الموت ولا يؤمنون بأنه لا غالب إلا الله... مسلمون لكن عقولهم تطوف حول الأصنام، إن الإفرنج قد قتلوه من غير حرب وضرب، عقول وقحة وقلوب قاسية وعيون لا تعف عن المحارم وقلوب لا تذوب بالقوارع، كل ما عندهم من علم وفن ودين وسياسة وعقل وقلب يطوف حول الماديات، قلوبهم لا تتلقى الخواطر المتجددة وأفكارهم لا تساوى شيئاً، حياتهم جامدة، واقفة متعطلة (١).

### منهج المؤلف فى الكتاب :

وقد أنجز المؤلف خطة الكتاب فى قسمين رئيسيين :

**الأول :** يمثل الدراسة التاريخية على المستوى الأفقى، ويشتمل على المدخل والباب الأول الذى يعالج الغزو التربوى والثقافى بفصليه : الأول منهما يحدثنا عن مدارس الإرساليات وقصتها، والفصل الثانى من الباب الأول يحدثنا عن قصة التعليم الوطنى .

**الثانى :** يمثل الدراسة الموضوعية على المستوى الرأسى :

ويشتمل على البابين الثانى والثالث، يتناول المؤلف فى الباب الثانى واقع التربية الوافدة فى العالم الإسلامى فى فصلين : الفصل الأول منهما يتحدث عن أوجه الخلاف بين المناهج والفصل الثانى من الباب الثانى يتعرض لأوجه النقص فى الاقتباس .

**وفى الباب الثالث :** يتناول المؤلف التربية والتعليم والثقافة فى إطار الإسلام فى صورة إجرائية تتخذ شكل البديل العملى للمناهج التربوية والتعليمية والثقافية لمدارس الغزو الفكرى والإرساليات وكذلك المدارس الوطنية التى تنهج نهجاً تعليمياً يقوم على الترقيع والنقل والاقتباس والتكرار الممل . الأمر الذى أدى إلى هذه المحصلة المؤسفة من شباب العالم الإسلامى الذى تخرج من مدارس وجامعات بلاد الإسلام دون أن يعرف له فى الحياة هدفاً أو مثلاً أعلى أو غاية

(١) نحو تربية إسلامية حرة - أبو الحسن الندوى ص ٤٢، ٤٣ .

يضحي من أجلها أو رسالة يبشر بها، وينفذ المؤلف لمعالجة محتوى هذا الباب الذى يدور حول التربية والتعليم والثقافة فى إطار الإسلام فى ثلاثة فصول:

– الفصل الأول: التربية الإسلامية.

– الفصل الثانى: التعليم الإسلامى.

– الفصل الثالث: الثقافة الإسلامية.

وبعد فقد تعرضنا للإطار العام الذى عالج المؤلف من خلاله أزمة التربية الوافدة وسبيل النهوض بواقع التربية والتعليم فى بلاد الإسلام بتقديم البديل التربوى الإسلامى الذى يستمد قيمه من الوثائق التربوية الإسلامية التى قدمها الإسلام للبشر مثلاً علياً جديرة بالتقدير والتطبيق حتى فى العالم الذى لا يؤمن بالإسلام كعقيدة ومنهج، وأبرز تلك الوثائق القرآن الكريم بما يحمله من هدى ربانى وقيم تربوية خالدة حيث أخبر عنه المولى عز وجل بقوله فى سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، ويلى القرآن فى مصادر التربية الإسلامية ووثائقها السنة الشريفة التى تشتمل على مجمل وصايا النبى وهدى وإرشاداته الحكيمة ويلى ذلك السيرة النبوية وسيرة تلامذة النبى ﷺ وصحابته الكرام والتابعين وأعلام المصلحين الذين يستمدون قيمهم ومثلهم العليا من مصادر الإسلام التربوية من العلماء العاملين والمجاهدين المسلمين عبر كل الأزمان والامكنة، وحق لنا من ثم الانتقال إلى المعالجة التفصيلية لمحتوى الكتاب من خلال قسميه الرئيسين وأبوابه الثلاثة بعد المدخل الهام الذى افتتح به المؤلف معالجته لقضية البحث والكتاب.

● يرى المؤلف – كما سبق أن ذكرنا – أن الخنجر المغروس فى الجسد الإسلامى والذى ما زال ينزف دماً هو فى حقيقة الأمر «التربية والتعليم التى سيطر عليها النفوذ الاستعماري واحتواها وعندما انحسر ظله لم يسلمها إلى أهلها مرة أخرى بل مضت تدار بإشراف أوليائه وتحت لواء أتباعه»<sup>(١)</sup>، ويلمح

(١) المؤلف فى «التربية وبناء الأجيال» ص: ٨.

المؤلف فى معالجته للأزمة استمرارية الحروب الصليبية للعالم الإسلامى بيد أنه يرى اختلاف وسيلة هذه الحروب، فلم تعد حروبا مباشرة للمسلمين فى عقر دارهم بجنود وعتاد حربى بل أصبحت الوسيلة لتلك الحروب الصليبية الغزو الفكرى والتربية، يتم ذلك بواسطة الكلمة مكتوبة ومسموعة ومقروءة، يقول المؤلف: «ومن قلب الحروب وهزائم الغرب نبتت جذور تلك المؤامرة على أيدي المهزومين، لقد نتجت عن الهزيمة فكرة خطيرة، قالت هذه الفكرة: إذا لم يكن السيف قادرا على السيطرة على المسلمين فليكن ذلك عن طريق الكلمة...» (١).

– ويمضى المؤلف يبلور هذا المعنى فيقول: «إذن فلا بد أن تبدأ المعركة من هذه النقطة الخطيرة، من نقطة تزييف العقيدة وامتصاص حيوية الدعوة» يقصد الدعوة الإسلامية بفاعليتها القادرة على التغيير فى كل زمان ومكان»، وتفريغها من مضامين القوة والإيمان والجهاد حتى يفقد المسلمون هذا السر الخطير وحتى يصبحوا قطيعا من السائمة التى يمكن أن تطوى وتقهر» (٢).

– كان ذلك الاتجاه بوصية لويس التاسع، ويمضى المؤلف قائلا: «هكذا كانت وصية لويس التاسع بعد هزيمته فى المنصورة تكشف عن هذا التحول فى الحروب الصليبية من السيف إلى الكلمة، وهو ما يمثل الموجة الاستعمارية العصرية لقد كانت نهاية الحروب الصليبية بداية حرب الفكر والكلمة ومنطلق المخطط الجديد للغزو الفكرى والثقافى ومحاولة دحر الإسلام (كفكر) بعد العجز عن القضاء عليه كقوة سياسية وأمة قائمة» (٣).

– ولهذا يرى المؤلف أن وصية لويس التاسع الذى أسر فى مصر فى حملته على شمال الدلتا وأودع دار ابن لقمان بالمنصورة إبان الحروب الصليبية كانت تلك الوصية الوثيقة الأولى التى تبناها الأوروبيون فى حربهم العالم الإسلامى

(٢) المصدر السابق ص : ١٣ .

(١) المصدر السابق ص : ١٢ .

(٣) نفس المصدر ص : ١٣ .

بهدف القضاء على مكامن القوة فى العالم الإسلامى والتى تمتد رقعته بين المحيطين الأطلسى غربا والهادى شرقا على محور طنجه - جاكرتا .

وكانت أيضا العلامة المضيفة والمرشد على طرق التبشير والاستشراق والغزو الثقافى والتقريب وضرب الإسلام فى عقر داره بضرب المسلمين وتغريبهم وتشويههم لصورة الإسلام ومن ثم ينالون منه ومنه دعاته .

- وينتهى المؤلف إلى القول بأن الإشارة إلى لويس التاس باعتباره أول المبشرين وبأنه أول من دعا إلى استخدام الكلمة بدلا من السيف فى مواجهة الإسلام فى بلاد الإسلام، لم يكن ذلك من باب التجنى أو الاتهام وإنما شهد بذلك ( شاهد من أهلها ) وهو الأستاذ نبيه أمين فارس أحد الباحثين المشتغلين بالتبشير فى إحدى مؤسساته الكبرى يسجل ذلك تسجيلا صريحا لا يدع معه مجالاً للشك الذى قد يراود بعض حسنى الظن فى صحة هذا المخطط وصدق الإرادة فى العمل له <sup>(١)</sup> .

- ويصور الأستاذ نبيه فارس خطة لويس التاسع ومداهما فى عبارات واضحة صريحة، يقول: « بينما كان الشرق الأدنى مطمعا لأفكار بناء الامبراطوريات كان أيضا مطمح أنظار جماعة أخرى من الناس تنشد أن تنجز عن طريق الكلمة ما عجز أجدادها الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف . وبعبارة أخرى تنشد احتلال مهد المسيحية، وإخضاع العالم كله للمسيح . إن هذا الحلم المسيحى قديم قدم المسيحية ذاتها، وهو يستمد وحيه الدائم من الوصية التى سجلها أول المبشرين: ( القديس لويس ) ولعل سبب سيطرة هذه الوصية مرة أخرى على عقول المسيحيين يعود إلى اليقظة الدينية التى عمت انكلترا ( إنجلترا ) فى أواخر القرن الثامن عشر واليقظة الدينية المقابلة لها فى الولايات المتحدة التى تمثلت فيما سمي بروح انكلترا الجديدة » <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

---

( ٢ ، ١ ) التربية وبناء الأجيال ص : ١٦ .

## الفصل الثاني في تاريخ الغزو التربوي والتعليمي والثقافي ووسائله وغاياته

ينتقل بنا المؤلف بعد أن صحبنا في مدخله إلى صميم البحث فنجده قد خص الباب بمعالجة قضية « الغزو التربوي والتعليمي » على المستوى التاريخي فيما يزيد عن ثمانين صفحة، قص المؤلف خلالها قصة ذلك الغزو التربوي والتعليمي والثقافي في بلاد الإسلام المترامية الأطراف، وناقش عبْرها أهداف ذلك الغزو ووسائله وغاياته وما انتهى إليه الأمر في الواقع التربوي والتعليمي والثقافي في البلاد العربية والإسلامية وتم ذلك في فصلين:

**الفصل الأول:** قصره المؤلف للحديث عن مدارس الإرساليات الأوروبية والأمريكية.

**الفصل الثاني:** عالج فيه الغزو التربوي والثقافي في التعليم الوطني.

**(مدارس الإرساليات):** كيف بدأ الغزو التربوي والتعليمي والثقافي في العالم الإسلامي؟

وما أهداف ذلك الغزو؟ ما المحصلة والنتائج الواقعية لذلك الغزو؟ كل تلك التساؤلات وغيرها نجد الإجابة عليها في هذا الفصل من الكتاب.

**س - كيف بدأ الغزو التربوي والثقافي للعالم الإسلامي؟**

يجيب المؤلف «بدأ الغزو التربوي والثقافي والتعليمي للعالم الإسلامي في نقطة واحدة هي «مدارس الإرساليات، وامتد منها إلى الجامعة، ثم امتد من الجامعة إلى الصحافة ومجالات الثقافة المختلفة» (١).

(١) التربية وبناء الأجيال ص : ٢١.

س - ما الخطة التي أتبعتها مدارس الإرساليات فى تحقيق أهدافها؟ وما

الغاية؟

«... تقدمت الإرساليات على خطين: خط الإرساليات البروتستانتية الأمريكية وخط الإرساليات الكاثوليكية الفرنسية، ومن ثم وضعت فلسفة تربوية غربية تتراوح بين مذهبين مختلفين هما فى الأصل يستمدان أساسهما من المسيحية الغربية ولكنهما يختلفان فى الطريقة ويصلان فى الغاية إلى هدف واحد هو استيعاب الشباب العربى والمسلم واحتواؤه وتعليمه على نحو يجعله يداً من أيدي القوة الغربية وعينا من عيونها» (١).

ويعرض المؤلف لكتاب الأستاذ جرجس سلامة عن تاريخ «التعليم الأجنبى فى مصر» حيث ينقل عنه حديثاً مطولاً عن قصة التعليم الأجنبى فى مصر وأهدافه. يقول الأستاذ سلامة «إن الباحث فى تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر منذ بدايته فى القرن السابع عشر يجد أن هذا النوع بدأ لأغراض دينية بحثة، حيث كانت البابوية تستهدف نشر نفوذها فى الشرق وفى مصر خاصة وإخضاع الأقلية القبطية الأرثوذكسية فى مصر لرئاستها، وقد قوبلت هذه الإرساليات للقيام بأعمال اجتماعية وصحية لتجذب الناس وتستميلهم إليها فأنشأت المستشفيات والمصححات وقامت بالخدمة هرمل والسبع بنات... وكانت الظروف العامة تساعد على تمكين التعليم الأجنبى فى مصر ورسوخ أقدامه إذ أنه وفد إلى مصر فى وقت كانت فيه الدولة العثمانية ضعيفة بوجه عام، وكانت إنجلترا وفرنسا تتمتعان بالامتيازات الأجنبية وعقدت أمريكا هى الأخرى معاهدة التجارة والملاحة مع الدولة العثمانية فى بداية القرن التاسع عشر، وأنشأت لها قنصلية فى مصر» (٢).

## ٢ - الأضرار الناتجة عن التعليم بالمدارس الأجنبية

- ينتقل بنا المؤلف ليحدثنا بعد ذلك عن الأضرار الناتجة عن التعليم

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة. (٢) المصدر السابق ص ٢٩، ٣٠.

بالمدارس الأجنبية أو مدارس الإرساليات فى الواقع التربوى بين أبناء الشعوب الإسلامية فيقول: «وكانت من أبرز الأخطاء المتصلة بمدارس الإرساليات هى:

**أولاً:** إغفال اللغة العربية وهى لغة البلاد القومية، وكان من الضرورى إتقان لغة أجنبية على حساب اللغة العربية، هذا بالإضافة إلى ما كانت توصم به هذه اللغة من نقص وضعف.

**ثانياً:** أسهمت هذه المدارس فى تلقين أبنائنا تاريخ أوروبا والدول الأجنبية المختلفة وحرمتهم فى نفس الوقت من تاريخهم القومى والعربى والإسلامى.

**ثالثاً:** كانت هذه المدارس تتجاوب مع رغبات وتوجيهات سفارتها ودولها بل إن مجالس ادارة أغلب هذه المدارس كان يرأسها السفراء والقناصل.

**رابعاً:** خلا هذا التعليم من رعاية دين وأخلاق أبناء البلاد، بل كان له الاتجاه العكس المؤدى إلى الشعور بالتحلل، كما أنه خلق نوعاً من الطبقة المستعالية على طبقات المسلمين فى المدارس الوطنية.

**خامساً:** كان له أثره البعيد فى تفكك الأسرة حيث نجد العائلة الواحدة مقسمة بين ثقافات متعددة: أمريكية وفرنسية وإنجليزية ووطنية! (١).

بيد أن الخطر الأكبر الذى أحب أن ألفت الانتباه إليه فيما نحن بصدد معالجة الأخطار المتصلة بمدارس الإرساليات هو ذلك الذى يتصل بالطفولة لا سيما المبكرة، حيث يؤتى بالنشء قبل أن يتكامل نموه وتلقفه أيدي القائمين على مدارس الإرساليات تشكيلة وتغرس فيه ما تشاء حيث إنه فى هذه السن الصغيره عجينة طيبة سهل التشكيل والتوجيه، يقول الأستاذ المؤلف:

«... تتركز سياسة الإرساليات «المدارس الأجنبية» فى توجيه العناية إلى النشء الصغير لتشكله قبل أن يشكله أهله فى إطار الإسلام، وإلى بذل

(١) نفس المصدر ص ٣٢، ٣٣.

أقصى الجهد فى إدخال البنات المسلمات فى الأقسام الداخلية حتى ينغزلن عن محيطهن الإسلامى ويشكلن فى إطار الصلاة المسيحية والأدعية ولا يخرجن من المدرسة إلا بعد أن يكن قد انطبعن بطابع الحياة الغربية وروح العقيدة المسيحية، هذه الفتاة هى التى ستكون زوجة مسلمة من بعد وستربى الجيل الجديد»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - الأهداف البعيدة التى يرمى إليها الغرب من وراء التعليم الأجنبى

ومدارسه :

ويبدو أن الغاية البعيدة التى يرمى إليها الغرب من وراء إنشاء هذه المدارس الحيلولة دون أن يتنبه أبناء الإسلام من النابهين إلى عظمة هذا الدين وفعاليتته وقدرته على العطاء من جهة، ومن جهة أخرى السعى لإعداد طبقة ( خاصة ) لتولى أمور الحكم والوظائف العليا فى ذات الوقت الذى يتوجهون بولائهم نحو أوروبا وأمريكا كل حسب المدرسة التى تخرج فيها المتعلم فرنسية أو ألمانية أو إنجليزية أو غيرها وإلى ذلك المعنى أشار زويمر من قبل فى مؤتمر المبشرين سنة ١٩٢٤ إذ قال للمبشرين أن هدفنا ليس إخراج المسلم من الإسلام لإدخاله المسيحية وإنما الهدف «إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله»<sup>(٢)</sup>. يقول زويمر: «لقد قضينا منذ ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية، ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية»، طبقا لذلك جاء النشء الإسلامى طبقا لما أرادته الاستعمار المسيحى لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف فى دنياه نهمة إلا الشهوات، فإذا تعلم فللشهووات وإذا جمع فللشهووات وإذا تبوأ أسمى المراكز فى سبيل المال وجود بكل شئ»<sup>(٣)</sup>.

- وفى نهاية هذا الفصل عن التعليم الأجنبى يطرح المؤلف سؤالا عن

(١، ٢) نفس المصدر ص ٣٥. (٣) ص: ٤٧، ٤٨ المصدر السابق.

الهدف الحقيقى للإرساليات التعليمية فى العالم الإسلامى وأجاب الأستاذ المؤلف عن ذلك قائلا: « بأن الهدف فى الحقيقة هو السيطرة على الجيل المسلم الجديد منذ مطالعه لإعدادة على النحو الذى يكفل له عندما يصبح فى مقام العمل السياسى والاجتماعى والثقافى فى وطنه أن يكون صاحب ولاء فطرى وثقافى قوامه الحب والإعجاب والتقدير للذين علموه ونشأوه » .

#### ٤ - الآثار والنتائج المترتبة على الغزو التربوى فى حقل التعليم الوطنى :

- ينتقل بنا السيد المؤلف محلقا فى جوانب البحث ليعرض للغزو التربوى والثقافى والتعليمى إلى أثر ذلك الغزو فى مجال التعليم الوطنى ، وهذا ما يخص به الفصل الثانى « التعليم الوطنى » ليصبحنا فى طريق النور والحق مسلطا الضوء على موقف الاستعمار من التعليم الوطنى وقد كشف السيد المؤلف اللثام عن حرص الاستعمار منذ أمد بعيد أن يبسط يده على التعليم الوطنى فى بلاد العروبة والإسلام حتى يضمن أن تكون المحصلة والعطاء النهائى لهذا التعليم وفق النظام التربوى الذى ينفذ من خلاله إلى التلميذ والمتعلم ولكيلا يوجد فى العالم الإسلامى نظاما تعليميا يفرز أجيالا متطلعة للاستقلال الكامل عن حضارة أوروبا لا سيما فيما يتصل بالجوانب الأخلاقية والسلوكية والأيدلوجية، مناوئة لسلطان الحضارة المادية المسيطرة على الدنيا منذ عدة قرون وإلى الآن وقد بدأ هذا الاتجاه منذ بدء ظهور التعليم الأجنبى قبل المد الاستعمارى فى القرنين الماضيين وتضاعف خطر هذا حينما بسط الاستعمار سلطانه فى أرض الإسلام وقسم بلاد العروبة والإسلام مارا ببعث القومية ضاربا آخر مظهر للإسلام السياسى « الخلافة » زارعا للبغضاء والفرقة، باعثا للشعبوية بين أبناء الأمة الواحدة، حرص الاستعمار - إذن - منذ ذلك الحين أن يحكم قبضته على التعليم الوطنى فى البلاد الإسلامية كما ذكر الدكتور زويمر ( صمويل ) رئيس المبشرين فى العالم العربى

فى الثلاثينات حتى قال : «إن السياسة الاستعمارية لما قضت من نصف قرن على برامج التعليم فى المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الإسلام وبذلك أخرجت ناشئه لا هى مسلمة ولا هى مسيحية ولا يهودية، ناشئة مضطربة مادية الأعراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة» (١).

وفى مصر كمثال لذلك نجد أنها فى ظل حكم اللورد كرومر عاشت أقصى درجات التدخل فى شئون تعليمها الوطنى حيث عين دنلوب سكرتيرا عاما لوزارة المعارف عام ١٨٩٧م ثم مستشارا عاما لها عام ١٩٠٦م. يقول الأستاذ المؤلف «ويعد (دنلوب) واضع المخطط الأساسى لتغريب التعليم والتربية وإقصاء الإسلام وتاريخه واللغة العربية عن برامج التعليم فى المدرسة المصرية، وهو أيضا منفذ هذا المخطط والمشرف عليه سنوات طويلة حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وقد عمل دنلوب على محاربة اللغة العربية والإسلام والأزهر واضطهد معلمى القرآن واللغة العربية من الأزهريين ونشر لواء اللغة الانجليزية وأهلها للسيطرة الكاملة على كل شئون التعليم وقضى على نفوذ اللغة العربية» (٢).

ويمضى الأستاذ المؤلف فى تبيان الدور الخطير الذى يلعبه القس المستشار دنلوب مؤسس الاستعمار التربوى والعقلى والتعليمى فى مصر حيث يقول : «ويجمع المؤرخون والباحثون على أن القسيس دنلوب هو مؤسس الاستعمار التربوى والعقلى والتعليمى فى مصر.

ولذلك فقد عمد الحزب الوطنى إلى إنشاء المدارس الأهلية وقامت الجمعية الخيرية الإسلامية بإشراف الشيخ محمد عبده على فتح المدارس لتعليم أبناء المسلمين وتحريرهم من هذه الأنظمة التى تحطم معنوياتهم» .

ومن كتاب «وجهة الإسلام» لـ (هاملتون جب) وخمسة من المستشرقين

---

(١، ٢) ص : ٥٨ «التربية وبناء الأجيال» .

عام ١٩٣٠م صور لنا المستشرقون الستة وأولهم « جب » الأهمية القصوى التي يوليها الغرب فى السيطرة على التعليم، وكشف الأستاذ المؤلف عن رؤية المستشرقين فى التعليم واعتبار السيطرة عليه فى بلاد الإسلام ضرورة حيوية لبطس نفوذهم على بلاد الإسلام للحيلولة دون انبعاث المارد الإسلامى وصحوة المسلمين على الجوهرة الثمينة التى يمتلكونها وتضمن لهم المجد والسيادة والخلود فى الدنيا وبعد الممات ألا وهى الإسلام وكتابه المقدس ( القرآن ) وحتى لا يظهر فى المنطقة « محمد » جديد كما عبر ابن جوريون من قبل، يقول جب: « لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك فى المسلمين ولو من غير وعى منهم أثراً يجعلهم فى مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامى على حضارته من آثار» .

– ولكن ماذا عن تعليم اللغة العربية فى خطة الغزو الثقافى والتربوى

والتعليمى فى حقل التعليم الوطنى؟

٥ – وماذا عن اللغة العربية؟

يقول الأستاذ المؤلف « اللغة العربية هى أكبر أهداف النظام الاستعمارى للتعليم: وذلك فقد وجهت إليها حرب عوان عن طريق مدارس الإرساليات بالانتقاص والمدرسة الوطنية بالتجاهل والثقافة بالانتقاد. وتصور هذا الدكتور نفوسة زكريا سعيد فتقول: « كان همُّ الاستشراق أن يبيح لأوربا الناهضة عن سلاح غير أسلحة القتال ليخوض المعركة مع هذا الكتاب « القرآن الكريم » الذى سيطر على الأمم المختلفة الأجناس والألوان وجعلها أمة واحدة تعد العربية لسانها وتعد تاريخ العرب تاريخها» .

ويرى الأستاذ المؤلف أن الغاية البعيدة لحرب اللغة العربية من قبل

الاستعمار كان إقصاء القرآن من التعليم يقول سيادته: « وقد تبين أن لا وسيلة

إلى إقصاء القرآن من الأرض المفتوحة إلا بالسيطرة على وسائل التعليم شيئاً فشيئاً حتى لا تتمكن الأمة من السيطرة عليه فتقيمه على طريق سوى يُفضي إلى نهضة صحيحة».

يتعرض السيد المؤلف بعد هذا وفي نهاية الفصل الثاني «التعليم الوطني» ونهاية «الباب الأول» للثقافات الغازية وصراعها فيما بينها من إنجليزية وفرنسية وأمريكانية حيث يقول: «وهكذا عاش التعليم الوطني على الصراع بين الثقافتين الفرنسية والإنجليزية ثم جاء بعد الحرب العالمية الثانية صراع بينهما وبين الثقافة الأمريكية وعاشت مصر على استعارة الأذواق والعقليات الغربية المختلفة»<sup>(١)</sup>.

## ٦ - ماذا عن التعليم الوطني بعد الاستقلال؟

ولكن ماذا عن واقع التعليم الوطني الآن وبعد الاستقلال، وهل ثمة تغييرات جوهرية طرأت على التعليم الوطني تجعله يولى وجهته شطر المشروعية العليا والمثل العليا للبلاد والعباد في سائر أرض العالم الإسلامي؟

هذا ما يجيب عليه أستاذنا المؤلف في ختام هذا الباب. يقول: «والإطار كله وافد وتوضع فيه المعلومات على نحو سئ، وهو إطار قديم لم يتغير بعد الاستقلال ولا بعد انتهاء الاحتلال إلا في جزئيات بسيطة وهو في مجموعة لا يلتزم برسالة أو هدف.

وكان من أخطر ما فرض عليه المنهج الأمريكي الذي يطلق عليه نظرية «ديوى» وأبرز مظاهر مذهب ديوى «جون ديوى» في التربية إبعاد الدين من مجال التربية، وكان في الغرب يستطيع إبعاد المسيحية، وقد قصد الاستعمار إلى فرض هذا المذهب في دراسات مدارس المعلمين العليا «كليات التربية حالياً» والتي كانت مجالاً لتخريج رجال التربية في مصر ورأى في هذا عوضاً عن

(١) التربية وبناء الأجيال ص: ١٠٦، ١٠٧.

الإشراف البريطاني على التعليم الذي كان يقوم به دنلوب ( ١٩٠٦ - ١٩١٩ م ) فأصبحت نظرية ديوى هي عماد المنهج التربوي بعد ذلك وكان إسماعيل القباني حامل لواء هذه الدعوة ( فى مصر ) وقد أتاحت له فرصة لإنشاء معهد التربية الذى كان المكان الأول لجعل هذه النظرية فلسفة عامة للتعليم المصرى والغربى فيما بعد <sup>(١)</sup> . واستمر هذا حتى الآن مع الأسف ...

\* \* \*

---

( ١ ) المصدر السابق ص : ١٠٧ .

## الفصل الثالث

### واقع التربية الوافدة في العالم الإسلامي

تناولنا فيما سبق القسم الأول من الكتاب الذي هو مدخلنا لتناول أزمة التربية في العالم الإسلامي ألا وهو «التربية وبناء الأجيال» واشتمل كما سبق المدخل والغزو التربوي والثقافي والتعليمي عبر مدارس الإرساليات والتعليم الوطني وعالج المؤلف ذلك في إطار الدراسة التاريخية على المستوى الأفقي ، ونحن الآن بصدد القسم الثاني من الكتاب ويتناول الدراسة الموضوعية على المستوى الرأسي ، وقد عالج المؤلف هذا القسم في بابين رئيسيين :

الباب الثاني : واقع التربية الوافدة في العالم الإسلامي وآثارها .

الباب الثالث : التربية والتعليم والثقافة في إطار الإسلام .

في الباب الثاني يلقي المؤلف الضوء على واقع التربية الوافدة في العالم الإسلامي في فصلين عالج في الفصل الأول أوجه الخلاف بين المناهج ، وفي الفصل الثاني تعرض لأوجه النقص في الاقتباس وصولاً - كما سنرى في الباب الثالث والأخير - إلى تبيان تقديم البديل العملي في مجال التربية والتعليم والثقافة في إطار عام ، ويرى السيد المؤلف أن ثلاثة مناهج تربوية وتعليمية مطبقة في البلاد الإسلامية وهي : فرنسية وإنجليزية وأمريكية ولو أن السيطرة الأمريكية جاءت متأخرة عن سيطرة الثقافتين الفرنسية والإنجليزية في مجال الفكر التربوي ، يقول السيد المؤلف : « وقد كانت هذه المناهج الثلاثة الفرنسية والإنجليزية والأمريكية قد وضعت في بيئاتها وطبقا لظروف هذه البيئات وأوضاعها ثم تطورت وتغيرت مرة بعد مرة في مواجهة ما كان يواجهها من تجارب ، ثم نقلت هكذا إلى أنظمة التعليم الغربية دون مراعاة فوارق البيئة أو تباين العصر أو اختلاف الثقافة والعقائد » (١) .

---

(١) التربية وبناء الأجيال ص : ١١٣ .

- ويعرض المؤلف لأوجه الاختلاف والتناقض مبينا نظرة التربية ومناهج الغرب بالنسبة (للدين) حيث تجاهلت المناهج الأوروبية (الدين) باعتبارها مناهج علمانية «لا دينية» ولتلك قصة في الصراع بين الكنيسة والعلماء أو بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية في أوروبا وتاريخها، الأمر الذي لا يشبه من قريب أو بعيد الدين «الإسلام» حيث لا صراع بين العلم والدين بل وئام مطلق وليس ثمة صراع أيضا بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية حيث إن الإسلام دين ودولة وعقيدة وشريعة والمسلمون يرون دينهم منهج حياة يستضيء بنور القرآن وهدى النبي العظيم محمد بن عبد الله ﷺ، يقول المؤلف: «وإذا كان الغرب قد أقام نظريته في التربية والتعليم على أساس إبعاد الدين عن التربية وفق تجربته مع المسيحية الغربية فإن الأمر كان مختلفا مع الإسلام الذي هو ليس دينا فحسب، ولكنه فكر وحضارة ومجتمع والذي لم يقف موقف الصدام مع المعطيات العلم أو حركة التقدم، فلظروف خاصة بالغرب انفصلت مناهج التربية والتعليم عن الدين الغربي، ولكن هذه الظروف لم تواجهها المجتمعات العربية الإسلامية، ولم تكن مناهج التربية والتعليم الإسلامية قادرة على أن تنفصل عن الإسلام الذي هو بمثابة الأساس المكين لكل مقومات المجتمع والعلم» (١).

- ويواصل المؤلف عرضه لمفهوم التربية الإسلامية وركائزها يقول «والتربية الإسلامية تقوم أساساً على بناء الشخصية الإنسانية على أساس الإيمان بالله والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي وهذا يعنى أن فصل مقومات الخلق والعقيدة عن التربية الإسلامية من شأنه أن ينشئ شخصية هشّة ضعيفة لا تعرف مسؤولياتها إزاء مجتمع يواجه التحدى الخطير الدائم من قوى الاستعمار الغربية المتسلطة بالغزو العسكرى والسيطرة الاقتصادية» (٢).

### الخلاف فى مفهوم التربية:

بيد أن أبرز نقاط الاختلاف بين التربية الأوروبية والأمريكية بمناهجها جميعا

(١، ٢) التربية وبناء الأجيال ص: ١١٤.

وبين التربية الإسلامية ينصب كما يرى المؤلف فى مفهوم التربية ذاته حيث إن الأوربيين والغربيين بصورة عامة يرون فى التربية الوسيلة لإعداد الأجيال لمواجهة التغيير فى المجتمعات « وفهمنا نحن فى العالم الإسلامى والعربى يتمثل بالشمول والعمق فى مفهوم التربية، يقول المؤلف « إن مفهوم التربية وفلسفتها بصفة عامة فى الغرب يتعارض مع مفهوم التربية الإسلامية، ذلك أنها تحاول أن تقدم للحدث المفاهيم الأولية للحياة مستمدة من نظريات الفكر الغربى، فالإنسان حيوان كما تقول نظرية التطور وتنطبق عليه تشريحات الحيوانات والحشرات، والجنس هو مصدر كل التصرفات كما تقول نظرية فرويد، والتطور حركة مطلقة كما تقول نظرية التطور بدون حدود أو ثوابت والأخلاق نسبية لأنها مرتبطة بالعصور والبيئات متغيرة والإنسان جسد فحسب وليس هناك نفس أو روح، والدين من مخلفات العصور البالية سواء كان أفيونا للشعوب كما تقول الماركسية أو سلاح الإقطاعيين والأمراء كما تقول الديمقراطية والجنس الأبيض تاج الخليقة وصانع الحضارة وهناك جبرية فى التاريخ أو حتمية فى المادة.

هذه هى الخطوط العامة التى تقوم عليها تربية النشء، وهى مضادة تماما لمفهوم الإسلام، فالإنسان فى الإسلام سيد الكائنات وهو مستخلف فى الأرض ولكنه ليس سيذا مطلقا بل مسؤولا، وليس حيوانا مطلقا ولكنه روح ومادة ونفس وجسم، ولا تطبق عليه تشريحات الحيوانات والحشرات لأنه يتميز بالعقل والإرادة والجنس ليس مصدر كل التصرفات وليست المادة مفسدة وحدها للتاريخ ولكن الجنس والمادة عاملان بين عدة عوامل منها الدين والعتصر والمناخ» (١).

وليس الخلاف بين التربية الغربية بمدارسها المختلفة وبين التربية الإسلامية حول مفهوم التربية فقط ولو أن ذلك من أبرز أوجه الخلاف وإنما يتناول المؤلف وجوها أخرى لأوجه الاختلاف مثل إلحاح التربية الأوربية والغربية لاعتبار الدين

---

(١) المصدر السابق ص ١٢١.

مسألة شخصية ولا علاقة لها بالدولة ولا بالمجتمع « وهذا مالا يقره الإسلام ولا يعترف به فالدين أساساً منهج حياة ونظام مجتمع . ولذلك فإن نظرية فصل الدين عن الدولة نبات غربي لا ينمو في بيئة المجتمع الإسلامى كذلك فالإسلام لا يعتبر الدين عائقاً فى سبيل النهضة أو التقدم بل يعتبره معيناً وساعداً» (١) .

وينبه المؤلف أيضاً إلى الخلط بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية والتي دعا بعض أعلام النهضة الحديثة من أمثال الدكتور طه حسين ولطفى السيد وسلامه موسى وغيرهم إلى اقتباس علوم النهضة من الأوربيين ومتابعتهم فيما أحسنوا وفيما أساءوا وهنا يلفت المؤلف انتباهنا إلى هذه المغالطة الكبرى والتي روجتها المدارس والجامعات الأجنبية فيما يتصل بما يسمى بالعلوم الإنسانية التي تتصل بالتاريخ وعلم النفس والأخلاق والعلوم الاجتماعية والفنون .

يقول المؤلف « أما العلوم الإنسانية فإن للعرب والمسلمين مفاهيم فيها تختلف عن مفاهيم الغرب ، مستمدة من ثقافتهم وقيمهم وعقائدهم ولذلك فإن إصرار هذه الجامعات التي هي إرساليات تبشيرية فى الأساس على تدريس هذه المواد من شأنه أن يخرج أجيالاً لا تفهم مجتمعها وقيمها إلا من وجهة نظر الغرب وطبق مقررات الاستشراق ، وهى وجهة نظر مخالفة تماماً لمفهوم الغرب ومعارضة تماماً لأصالتهم ولأهوائهم» (٢) .

وفى الفصل الثانى من الباب الثانى يعرض المؤلف لأوجه النقص فى الاقتباس مشيراً بداءة إلى مشكلة الثنائية فى التعليم أو الازدواجية وهى نتيجة مباشرة للغزو الثقافى فى مجال التعليم بسعى الاستعمار لفرض نظام تعليمى حديث يستغنى به عن المعاهد العلمية العريقة مثل الأزهر فى مصر والقرويين والزيتونة فى بلاد المغرب العربى ، وباختصار شديد أراد الاستعمار الإتيان بنظام تعليمى حديث يتخرج فيه شباب لا صلة لهم بالإسلام وكتابه المقدس القرآن

(١) السابق ص ١٢١ .

(٢) المؤلف ص ١٢٢ .

الكريم ولا قدرة له على المقاومة ومن ثم يوجه فحة متميزة من أبناء الوطن الواحد تدخل في صراع مع الطبقة القديمة التي تخرجت في الجامعات العتيقة متهمة إياها بالجمود والرجعية لا لشيء إلا لكونها تخرجت في معاهد تقوم الدراسة فيها على القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يضمن المستعمر الدخيل أن يوجد فريق تتلمذ على يديه وأعجب به ويحضارته الأوربية ونظرتة للكون والحياة وسرعان ما يساعده المستعمر ليتولى زمام الأمور في بلاده فيما بعد فلا يُبدي - من ثم - تمسكا بالقرآن ولا حرصاً على أن يقيم حياته وفق منهج القرآن والهدي النبوي الشريف ويكون ولاؤه أخيراً لأوروبا والغرب، وهذا ما تحقق في بلاد الإسلام حتى غداً الإسلام يُحارب من بنيه وتصطدم الشعوب بالحكومات في صراع بين ما هو كائن من غربة لهدى القرآن وقيم الإسلام وما ينبغي أن يكون من اعتماد الشريعة الإسلامية ونظام الإسلام منهاج حياة ودستور أمة، كانت الازدواجية - إذن - قد أحدثها فرض أسلوب التعليم الاستعماري الغربي بهدف إقصاء منهج الأصالة والإسلام تمهيداً لإقصاء النفوذ السياسي والاجتماعي لعظماء الإسلام وتقليص دورهم القيادي في قيادة الشعوب وتولي زمام أمورها، حيث يشهد التاريخ في بلاد الإسلام أن الذي قاد الثورات الشعبية وحافظ على بلاد الإسلام واحتفظ لها بهويتها وأصالتها هم العلماء، وفي العصر الحديث هناك في الجزائر ابن باديس وفي المغرب الفاسي وفي مصر عمر مكرم وغيرهم ممن ثاروا على الفساد السياسي وقاوموا سلطان الأجنبي، وينقل المؤلف عن الدكتور ظفر أحمد الأنصاري تصريحاً عن الأضرار المترتبة على وجود هذه الازدواجية في التعليم في البلاد الإسلامية في صورة نظامين تعليميين يقول الدكتور الأنصاري « هذان النظامان المتنافران يتيحان نوعين من الناس ذوي نظرتين مختلفتين إلى الحياة وغير قادرين على إدراك وجهة نظر كل منهما .

ويشير الدكتور الأنصاري إلى أثر النظام الوافد في التعليم فيقول: إن العقول التي شكلها هذا النظام التعليمي قد غلب عليها الإعجاب المطلق الذي لا

تحفظ فيه والتقليد الكامل لكل ما هو أجنبي، وهى بشكل عام عاجزة عن التمييز بين التقدم العلمى من ناحية والمثل الثقافية من ناحية أخرى. وأنها كانت سببا فى نشأة جيل مجتث الأصول الثقافية» (١).

ويستمر المؤلف فى توضيح الأضرار الناجمة عن الازدواجية أو الثنائية فى التعليم بدعم وجهته بأحد كبار المربين، ممن تتلمذوا على أيدى الأوربيين والأمريكان الدكتور محمد فاضل الجمالى وهو من العراق وقد درس التربية الأمريكية على يد وليم كلبتراك أحد أساطير التربية الأمريكين، بيد أن أستاذنا الجمالى قد بحث فى ضرورة التربية الإسلامية وقرأ على ما أعتقد - كل أو معظم ما كتب فى هذا المجال وأنتجته القرائح بقلب مفتوح وضمير سليم ونية طيبة فجاء بخير كثير وقدم خلاصات بحوثه فى صورة فكر تربوى جديد لا هو بالشرقى ولا هو بالغربى، ثم إن أستاذنا المؤلف يستشهد بحديث لأستاذنا الدكتور الجمالى فى تبيان الآثار الضارة الثنائية التعليم فى البلاد الإسلامية وازدواجيته والتى أهمها (الانشطارية والثنائية فى الكيان الاجتماعى والفكرى للأمة)، وقد صور هذا دكتور فاضل الجمالى حين قال:

«لا شك ساعدت التربية الغربية كثيرا على توسيع آفاق اختيارات الشعوب الإسلامية وذلك بتوعية هذه الشعوب وجعلها تدرك موقعها فى عالم اليوم، ولكن التربية الغربية تحمل فى طياتها جرائم التفسخ الاجتماعى والأخلاقى والروحي للعالم الإسلامى، ولذا وجب دراسة انتقادية» (٢).

### حول الآثار الخطيرة للاقتباس عن التربية الغربية:

ويجمل المؤلف نقلا عن الدكتور محمد فاضل الجمالى الآثار الخطيرة للاقتباس الفاسد فى سبعة آثار:

«أولا: إن التربية الغربية ولا سيما تلك التى تقدمها المدارس الأجنبية أو

(٢) السابق فى التربية وبناء الاجيال ص ١٣٣ .

(١) السابق ص ١٣٢ .

المدارس الوطنية التي تقلد الغرب قد تهمل أحيانا اللغة القومية فتكون النتيجة أن الطبقة المتعلمة تستعمل فيما بينها لغة أجنبية .

ثانيا : في اقتباس التربية الغربية تتجه العناية في الغالب إلى القالب أو المظهر أكثر من الحقيقة والجوهر إنما الطالب المسلم اليوم قد يُعاني ويقلق من أجل الشهادة واللقب العلمي أكثر من اهتمامه بالضبط العلمي .

ثالثا : اقتباس التربية الغربية يؤكد عادة على عملية الحفظ أكثر من التأكيد على التفكير والتعليم .

رابعا : إن الذين ينالون قشرة من الثقافة الغربية يصيبهم الغرور والادعاء والبعض الآخر يعوذهم التكيف .

خامسا : التأكيد حتى الآن على النوع الأكاديمي في التربية الغربية وذلك على حساب التربية العملية والتقنية .

سادسا : الكثير ممن ينالون الثقافة الغربية لا يعرفون شيئا كافيا عن دينهم ولا عن حضارة أمتهم وجذورهم الروحية .

سابعا : فضلا عن اعتيادهم « في الأغلب » على المشروبات الكحولية والانغماس في التمتع بالشهوات والتحلل الخلقى» (١) .

ثم يتساءل المؤلف على حبال التعليم الآن في بلاد الإسلام وقد تخلى الاستعمار عن أغلب بلاد العالم الإسلامي فيقول : «والآن وقد تخلى الاستعمار عن أغلب بلاد العالم الإسلامي فهل زالت هذه الروح من مناهج التعليم؟ صحيح أنها زالت من حيث الإطار العام ولكنها لا تزال باقية مسكنة في أعماق البرامج والمفاهيم تقديرا للغرب وللحضارة الغربية وإيمانا بها وولاء لها، ودون ما قدرة على إثارة الروح الإسلامي ومفاهيمه وقيمه وبناء أجيال جديدة عليه .

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٤ .

فما زالت البلاد الإسلامية عاجزة عن ذلك نتيجة تلك الطلائع التي ما زالت تسيطر على أنظمة التعليم وتحول دون تغييرها»<sup>(١)</sup>.

● وغنى عن البيان أن التربية عملية ذاتية تخص كل أمة، فالمنهاج التربوي في أمة ما لا يصلح في أمة أخرى، لأن التربية عملية ذاتية تخص كل أمة على حدة فهي - من ثم - عملية إعداد وتثقيف ونمو لأبناء الأمة وفق قيم الأمة وعاداتها ومثلها العليا، وفي دراستنا لتاريخ التربية والتربية المقارنة أدركنا أن التربية عملية غير قابلة لعمليات التصدير والاستيراد ومن الغريب أن نرى النظام التربوي في أم الدنيا كلها في الشرق الشيوعي<sup>(\*)</sup> والغرب الليبرالي يصدر عن قيم الأمة وتصورها للكون والحياة والخط العقائدي لها «الأيديولوجي» ثم يكون ذلك أمراً منكوراً علينا نحن المسلمين في بلاد الإسلام ويراد لنا ومنا أن ننقاد بصورة عمياء في اتباع مناهج التربية الأوروبية والأمريكية، ويعرض السيد المؤلف لرأى العلامة الموهوب الشيخ أبو الحسن الندوي شيخ القارة الهندية قوله «في الغرب لا يسمح للمواد التي تبذر بذور الشيوعية والماركسية وتستعزى بفكرة الملكية وتضخم الثروة وتنظيمها على غير أسس الشيوعية والماركسية ولا يسمح ولا يفكر في استيراد أقل عدد من الأساتذة السوفيت مهما بلغوا من البلاغة والإبداع والتفوق في العلوم والفنون، كذلك لا يسمح قادة التربية والتعليم في الغرب باستيراد منهج تعليمي من بلد إلى بلد ولو كانا يلتقيان في العقيدة والفكرة الأساسية في الاجتماع والنظرة الواحدة إلى الإنسان والحياة والكون»<sup>(٢)</sup>.

ومن الغرب الأمريكي يقول البروفسير كاننت «إن عملية التربية ليست تعاطياً، وبيعا وشراء، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد من الداخل، إننا في فترات التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الانكليزية أو الأوروبية إلى بلادنا الأمريكية»<sup>(٣)</sup>.

(٢) المؤلف في المصدر السابق ص ١٤٠ .

(١) السابق ص ١٣٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤١ .

(\*) كُتِبَ هذا الكلام قبل سقوط الشيوعية البغيضة وزوال الاتحاد السوفيتي البائد (المؤلف) .

وما كان ذلك كذلك إلا لخطورة الدور الذي تلعبه المدرسة فى صياغة النشء وتشكيل عقولهم ومشاعرهم وتغيير نظام المجتمع بصورة عامة بتغيير أفكاره وصياغة مشاعره عبر مجموعة الخيرات والمهارات والاتجاهات التى تكسبها المناهج للمتعلم عبر الفصول والمعلمين، يقول الأستاذ الكاتب « ونحن نعرف أن المدرسة هى التى تستطيع أن تغيير نظام المجتمع بما لا تقدر عليه سائر المؤسسات الاجتماعية، وأن طريقة الإصلاح تكمن فى عبارة (أرسموش) التى يرددها الغربيون ونأخذ منهم كل شئ عميانا مصفدين ولا نصغي إلى الحقائق التى يمكن أن تنير لنا الطريق يقول أرسموش: « سلمنى إدارة التعليم ردحا من الزمن، أتعهد لك بأن أقلب وجه العالم بأسره » .

لست أدرى كيف نعرف هذه الحقائق ثم يصبر رجالنا على عزل الإسلام عن مقومات مناهج التربية والتعليم ويخذعوننا بأن يجعلوا الدين مادة تدرس» (١) . أى يجعل الدين مادة رئيسية بين مواد الدراسة، والمطلوب أن يكون الدين روحا عامة تسرى فى كل الخبرات والمهارات والاتجاهات التى تدرس كما يجرى الدم فى العروق .

وفى نهاية هذا الفصل الذى خصصه المؤلف لـ «أوجه النقص فى الاقتباس» عن الغرب يحدثنا عن حصاد الاقتباس من نظم التربية الغربية فى العالم الإسلامى يقول: « هذه الصورة من أثر اقتباس (نوع) من أنواع التربية الغربية إلى العالم الإسلامى والمجتمع الإسلامى، وقد رأينا مثل هذه الآثار واضحة وعميقة وبعيدة المدى والأثر فيما أصيب به المسلمون فى السنوات الأربعين الأخيرة من نكبات ونكسات» (٢) .

\* \* \*

(٢) المصدر السابق ص ١٤٨ .

(١) التربية وبناء الأجيال ص : ١٤٢ .

## الفصل الرابع التربية والتعليم والثقافة فى التصور الإسلامى

وبهذا نؤشك أن نصل إلى نهاية الشوط إلى تقديم التربية والتعليم والثقافة فى لباس إسلامى وإطار إيمانى، حيث وجدنا المؤلف فيما يتناول الجذور التاريخية للغزو الفكرى ويعرض لواقعه القائم بالفعل وآثاره الضارة، ثم إنه بعد ذلك يختم بحثه القيم بتقديم: التربية والتعليم والثقافة فى إطار الإسلام، فى ثلاثة فصول:

الأول: التربية الإسلامية.

الثانى: التعليم الإسلامى.

الثالث: الثقافة الإسلامية.

ويطوف بنا المؤلف الكرمى فى الفصل الأول حول بستان التربية الإسلامية فيقدم بين أيدينا زهراتها ورياحينها فى صورة مفاهيم واضحة لا لبس فيها ولا غموض، فيحدد المفهوم الذى يقصده بالتربية الإسلامية، ويعرض هدفها، ومناهجها، ويختتم هذا الفصل بذكر أبرز معالم منهج التربية الإسلامية.

وقبل أن ننتقل إلى التفصيل بعد ذلك الإجمال ينبه السيد المؤلف إلى الخلط الذى يقع فيه البعض فى تناولهم التربية والتعليم والثقافة « حيث تختلط هذه القيم ومفاهيم التربية الغربية وتتداخل كثيراً ولا سيما ذلك التداخل المبهم بين التربية والتعليم ».

ويقدم لنا بعد ذلك مباشرة الفهم الإسلامى للتربية فيحمل بقوله: « الفهم الإسلامى للتربية أنها الإعداد الروحى والنفسى للفرد بحيث يكون مؤهلاً لتلقى التعليم والثقافة على نحو موجه، فيأخذ ما هو أساسى وبناء وما هو بسبيل أن

يمده بالقدرة على أداء رسالته فى الحياة والمجتمع، هذه الرسالة الجامعة بين هدفى الدنيا والآخرة، من حيث البناء والعمل والسعى إلى آفاق التقدم، دون أن يكون ذلك على حساب القيم الخلقية أو المسؤولية الفردية بل لحسابها ودعمها لها»<sup>(١)</sup>.

ولا زلنا بالسيد المؤلف وهو يُلحُّ على نزع الخنجر المسموم الذى ما زال ينزف دمًا بالجسم الإسلامى خنجر التربية الوافدة، يقول السيد المؤلف: «إننا نستطيع أن نستفيد من تجارب الأمم فى التربية والتعليم والثقافة ولتكن: على شريطة أن نبني أساس التربية الإسلامية أولاً ثم نقبل فى ضوئه أو نرفض ولتكن قاعدتنا هى: «خذ ما صفا ودع ما كدر».

«إن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين سنتتهى حتماً إلى زعزعة إرادتهم فى أن يعتقدوا أو ينظروا إلى أنفسهم أنهم ممثلوا الحضارة الربانية التى جاء بها الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

ويعرض الكاتب للواقع الحالى فى ضوء مفهوم التربية الإسلامية، فيقول: «فى ضوء مفهوم التربية الإسلامية نرى مجتمعنا الحاضر الذى اعتمد على أساليب التربية الغربية الوافدة مضطرباً غاية الاضطراب فى حاجة إلى تصحيح كثير وإلى إعادة النظر فى أساليبه ووسائله، فقد ضعفت مسؤولية الآباء والأمهات وتراخت، وحل التهاون محل الحزم عجزاً من الآباء عن تقدير تبعثهم الخطيرة حتى بدا الأب منكوراً من أبنائه وليس موضع ثقتهم فهم لا يستمعون إليه لأنه هو نفسه ليس نموذجاً صالحاً، فالآباء يغيبون عن أسرهم ولا يتابعون أحوال أبنائهم ويتركونهم ومعهم أسئلتهم الحرجة ليتلقوا الإجابة عنها من الصحف أو من دعاة الانحلال (ومضى المؤلف قائلاً) ... والأم تقضى أغلب أوقاتها خارج البيت مع صديقاتها فى مواطن اللهو واللعب وقد تحولت البيوت إلى فنادق، وأصبحت أفلام السينما والمسرحيات هى التى تعطى مفاهيم الاجتماع وعلاقات

---

(٢،١) السابق ص ١٥٣.

الرجل والمرأة، والآباء يتركون أبناءهم وبناتهم بغير رقابة من حيث اختيار أصدقائهم، وقد استهانوا بالصغائر وعجزوا عن فهم علاقة الملابس والزينة بتكوين رجولة الرجل وأنوثة الأنثى» (١).

وينتهي المؤلف في هذا الفصل ليبرز معالم التربية الإسلامية فيما يأتي:  
أولاً: «منهج متكامل يعنى بتربية الجسم والروح والعقل جميعاً بما يحقق التوازن والتكامل بين العناصر الثلاثة التي تتكون من مجموعها الشخصية الإنسانية» (٢).

ثانياً: وحدة الاتجاه أو وحدة الفكر بمعنى أن تصوغ قاعدة عامة للنفس الإنسانية تلتقى فيها الأمة كلها على أرض الواقع، ولا يمنع هذا من الاختلاف في الفروع.

ثالثاً: يرى الإسلام أن الإنسان يولد وفيه عاملاً الخير والشر والتربية هي التي توجهه إلى أحدهما: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، [١٠].

رابعاً: جعل الإسلام التربية منهجاً وقدوة وجعل المنهج تطبيقاً في القدوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الاحزاب: ٢١].

خامساً: الطبيعة الإنسانية مرنة ويمكن تشكيلها وهي أساس بناء الأمم والمجتمعات ويمكن عن طريقها تغيير العرف العام، ولذلك فقد عمد إليها المصلحون لبناء مجتمعات ناهضة.

سادساً: أهمية دور الأم البالغ في إمداد الأبناء بالحنان والرحمة والحب والعاطفة ومدى خطر نقصان ذلك أو تلاشيهِ.

سابعاً: الحرص على كمال الذاتية والطابع والنوع، فالأبناء لا بد أن يكون لهم تربية خاصة وزِي خاص ومنطلق خاص لفهم الحياة وتعلم أمورها يختلف عن منطلق الفتاة وكذلك تبيان الملابس والزينة.

(١) المؤلف ص ١٥٩ . (٢) السابق: ص ١٧٥ .

ثامنا: إقامة أساس التربية على الترهيب والترغيب معا على طريقة الحزم الممزوج بالرفق والربط بين الإيناس والإيحاش على ألا يؤخذ الطفل بأول هفوة.

تاسعا: تربية الأبناء على الرجولة والخشونة ( علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ).

عاشرا: القرآن هو مدخل الفكر واللسان والذكر فى كيان كل مسلم، فهو المصدر الأول للتعليم والتربية والأخلاق، وقد قدم لنا القرآن منهجا كاملا للمعرفة، عالم الطبيعة وعالم الغيب وعالم الآخرة ورسم لنا صورة كاملة عن نشأة الحياة وعن سر خلقنا.

حادى عشر: منحنا الإسلام نهج دورنا الحقيقى فى هذه الحياة ومسئوليتنا بها:

ثانى عشر: جعل الإسلام العبادات هى علامة الاتصال الدائم بالمصدر الأكبر وجعل ممارستها فى أوقات معينة مرتبطة ببناء الإرادة وإعداد النفس الإنسانية للترقى إلى الملاء الأعلى.

ثالث عشر: جعل الإسلام (الالتزام الأخلاقى) قاعدة البناء كله والقاسم المشترك على مختلف القيم والأوضاع.

رابع عشر: دعا الإسلام إلى الفكر والذكر ونعى على الغافلين» (١).

فى الفصلين الأخيرين من هذا الكتاب يتناول المؤلف الحديث عن مفهوم التعليم الإسلامى وكذلك مفهوم الثقافة الإسلامية، فىرى أن التعليم فى المفهوم الإسلامى يؤدى دوره فى نطاق التربية الإسلامية... وأنه لا سبيل إلى نجاح رسالة التعليم إلا إذا قامت وفق منهج تربوى صحيح، فالتربية للفرد والتعليم للمجتمع» (٢).

---

(١) ص ١٨٣، ١٨٤ من كتاب التربية وبناء الأجيال.

(٢) المصدر السابق: ص ١٨٥.

ويزيد المؤلف فى توضيح هذه النقطة فيقول: «فالتربية هى إعداد للنشء من ناحية إعداد الأطر النفسية والاجتماعية القادرة على حمل أمانة رسالة العلم على أساس نظرية الحياة التى يؤمن بها الناشئ والهدف الذى يتجه إليه فردا وأمة وجماعة وفى إطار الأمانة المنوطة به والمسئولية القائمة فى عنقه».

ولكن ما الغاية من التعليم فى التصور الإسلامى؟

يجيب المؤلف «فالتعليم ليس من أجل منطلق حر لا ضابط له ولكن من أجل دعم نظرية الحياة لأمة، ذلك أن الأمة صاحبة الرسالة، يجب أن تقوم على الصغار بالتربية والتعليم ليكونوا ورثة صالحين لهدى ولنظام مجتمعها، وعليها من أجل ذلك أن تصوغهم فى قوالب عقائدها ومناهج حياتها»<sup>(١)</sup>.

وقفه لا بد منها حول واقع التربية والتعليم اليوم:

يستمر الباحث فى التصدى لبيان الهدف من التربية والتعليم فيقول: «إذا كانت التربية تستهدف تكوين شخصية الفرد فإن التعليم يستهدف تكوين شخصية الأمة، فهل استطاع التعليم الوطنى فى العالم الإسلامى خلال هذه الأجيال الأخيرة أن يحقق هذا الهدف وأن يخرج الجماعة الفاهمة لدورها ورسالتها القادرة على حمل هذه الرسالة فى العالمية، المستطبعة أن تحمى نفسها من غارات المعتدين وغزوات الآخرين؟ ذلك ما تجيب عنه وقائع التاريخ بالنفى البات، وهذا ما قصدت إليه القوى الاستعمارية وما حققته حين أخرجت المسلمين والعرب من إطار نظامهم التربوى والتعليمى الذى خرَّج أولئك الأعلام النوابغ فى مجالات الحرب والسلم والحكم والعلم والفكر مما تزدهى بأسمائهم وأعمالهم صفحات التاريخ»<sup>(٢)</sup>.

ولكن ماذا عن حصاد التجربة التعليمية فى بلاد الإسلام الآن؟

يجيب المؤلف قائلا: «وإن نظرة على الشباب المسلم فى آخر مراحلهم التعليمية فى الجامعة لتكشف عن أن مراحل التعليم كلها عجزت عن أن تقدم له

(٢) السابق: ص ١٩٢.

(١) المصدر نفسه ص ١٨٦.

هدف بناء نفسه أو هدف بناء أمته وأنها شغلته بمعلومات ومناهج من شأنها أن تجعله شاكا، مترددا حالما مضطربا، ممزقا فلا أجابت هذه المناهج عن حاجاته النفسية، ولا هي قدمت إليه هدف أمته الحقيقي في الحياة» (١).

وماذا عن الآثار الضارة لنظام التعليم الغربي وأخطاره في أفق المجتمع الإسلامي؟؟

هذا ما يعرض له المؤلف بعد ما انتهى في تناوله لموضوع «التعليم الإسلامي» لينبه إلى عدد من الأخطار والآثار الضارة التي نتجت عن تجربة الاقتباس وتطبيق نظم التعليم بمناهجها الغربية فيذكر المحاذير الآتية:

١ - دراسة اللغة الأجنبية والاهتمام بها على حساب اللغة الأصلية والقومية للبلاد العربية والإسلامية بخلق ولاء فكري للأجنبي صاحب اللغة (الأصلية) فنرى دارس الفرنسية أسير الفرنسية - أو يكاد - هوأ دائما وأبدا نحو (عاصمة النور!) والسربون وكذا دارسي الإنكليزية.

٢ - يرى المؤلف أن المدرسة العصرية في التربية والتعليم قد اهتمت بالنظريات الفلسفية والأفكار الخيالية والعلوم الإنسانية من خلال المنظور الأوربي على حساب العلوم العلمية والمعارف الكونية.

٣ - يشير المؤلف إلى ملاحظة المستشرق (جب) والمستشرق ولفرد كانتول سمث «الإباحية والإلحاد اللذان يسودان الشباب المسلم (مردهما) إلى مناهج المدرسة العصرية، وينقل نص كلام جب في هذه النقطة فيقول: «إن النشاط التعليمي والثقافي (عن طريق المدارس العصرية والصحافة) قد ترك في المسلمين من غير وعى منهم أثرا جعلهم يبدوون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد» (٢).

٤ - يرى المؤلف رابعا أن المدرسة الإسلامية وفهمها في التعليم جديران بأن يشفيا لهفة البشرية جمعاء إلى تصور تربوي يجمع بين المثالية والواقعية ويرضى

(١، ٢) السابق: ص ١٩٢.

طموح المصلحين وذلك عن طريق تبني وجهة نظر المسلمين إلى الإنسان ككل موحد، ويستطرد السيد المؤلف مشيراً إلى الأسس التي تبناها الدكتور محمد فاضل الجمالى بهذا الخصوص، يقول المؤلف: « وصدق الدكتور الجمالى حين قال إن أسس الإسلام فى التربية والتعليم يمكن أن تفتح الطريق لكل أساس صحيح وثابت لبناء تربوى قويم يقوم على:

● الإيمان بالخالق.

● العمل الصالح لخدمة الإنسان والأسرة والأمة والإنسانية.

● التواصى بالحق، والسعى وراء الحقيقة وتحرى فى العلم والمعرفة الصحيحة

ونشرها بين الناس.

● التواصى بالصبر: ويشتمل على ضبط النفس الذى يعد المفتاح

لكل سلوك أخلاقى كريم وسورة (العصر) فيها تلخيص كل فلسفة تربوية صحيحة» (١).

ويقول: ومن المؤسف أن التربية الغربية قد أظهرت ضعفها فى هذه

النواحي سواء فى التطبيق فى الغرب ذاته أو مما اقتبسها العالم الإسلامى من الغرب» (٢).

٥ - ينبه السيد المؤلف خامساً إلى كون نظريات الغرب سواء فى العلوم أو

الآداب أو التربية تصورات وفروض ومحاولات قابلة للنجاح والإخفاق وعرضة للصبوب والخطأ، ولا ينبغى أن نتناولها كما يحدث فى بلادنا باعتبارها لا رجوع عنها ولا مناقشة فى أصولها.

٦ - يرى المؤلف أنه لا يمكن أن تقوم نهضة عربية إسلامية فى حقل العلوم

التجريبية إلا فى إطار اللغة العربية، ويؤكد المؤلف أن كل دعوة إلى قبول العلم فى لغات الغرب هو تعويق لهذه النهضة.

---

(١، ٢) السابق: ص ٢١٢، ٢١٣.

٧ - يرى المؤلف عدم جدوى أسلوب الرتق والترقيع للشوب الخلق بقطعة من هنا واقتباس من هناك، ويصرح السيد المؤلف بأنه لا بد من إعادة بناء منهج التربية والتعليم الإسلامى على أساس قرآنى إسلامى صحيح، وفق منهج الإسلام نفسه.

يقول المؤلف فى توضيح أكثر مشيراً إلى تضارب فلسفات التربية الأوربية « فهناك العقلانية والمادية والماركسية والوجودية والفرويدية والبرجماتية والديوية كلها تتضارب وتتعاكس وتفسد كل شئ، ويقف الإسلام منها فى أصوله القليلة المنثورة هنا وهناك موقف الخيرة كأنه شئ غريب أو منبوذ.

والسبيل الأصيل ( كما يرى المؤلف ) هو أن يكون للعلوم التجريبية منهج وللعلوم الإنسانية منهج آخر وأن لا يدرس الإنسان فى دائرة المادة أو دائرة الحيوان (١).

٨ - يشير المؤلف ثامناً إلى ارتباط التربية والتعليم بالأيدلوجية السائدة فى الأمة وتصورها للكون والحياة نجد هذا فى الدول التى تلتزم بالأيدلوجية الماركسية فنجد التعليم الشيوعى ونجد الشيوعية تبسط سلطانها وتدس أنفها فى كل صغير وكبير فى مجال التعليم والتربية والبحث العلمى.

أرأيت كيف أن الأيدلوجية الماركسية تبسط سلطانها على البحث العلمى والمعامل الكيميائية والعلم، وينقل الكاتب الكرم بهذا الصدد قول ( جورمن ) العالم الطبيعى السوفيتى: « أن العلم الروسى ليس قسماً من أقسام العلم العالمى، أنه قسم منفصل بذاته يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف، فإن سمة العلم السوفيتى الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة، إن التحقيقات العلمية لا تزال فى حاجة إلى أساس وإن أساس علومنا الطبيعية هو « الفلسفة المادية » التى قدمها ماركس وأنجلز ولينين وستالين » (٢).

(١) السابق: ص ٢١٥.

(٢) اقرأ الأستاذ الجندى من ص ٢٠٨ إلى ٢١١ ومن ٢١٣ إلى ٢١٧.

وليس الماركسيون بدعاً في هذا فمن المسلمات التي درسناها في التربية المقارنة كيف أن التربية والتعليم يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بنظرية الحياة في أوروبا كذلك وكذا ولسنا عن تجربة (إسرائيل) واليهود ببعيد فالتعليم والتصور التربوي مستمد من عقيدتهم. ويهدف لتحقيق غايتهم.

وفي ختام هذا البحث القيم وبعد ما عرض أستاذنا المؤلف التربية في إطار الإسلام وتصوره وكذا التعليم والعلاقة بينهما يتناول الأستاذ الفاضل معالجة الثقافة في المنظور الإسلامي.

والثقافة كمصطلح أوروبي ( Culture ) تعنى منهج الأمة في الحياة بما تشتمل عليه من عقائد ومعاملات وعادات وأفكار وحضارة وهي من ثمّ مادية وغير مادية فهي كما تعنى بتفكير أمة ما تعنى بحضارتها وأساليب حياتها الحضارية، فالثقافة إذن هي المرآة التي تعكس السلوك التربوي والتعليمي في ممارسات تدل على جوهر الفكر وأصالة الأمة وروح الجماعة.

ويذهب الأستاذ المؤلف مذهب الرفض من هذا الاتجاه الذي يرى الثقافة نتاجاً عالمياً يتجاوز الوطنيات والقوميات ويرى في ذلك مغالطة كبرى وزيفاً واضحاً، ذلك لأن الثقافة حسب التعريفات الغربية ووفق المفهوم الغربي خاصة وذاتية فثقافة الغرب تختلف عن ثقافة الشرق، وما نراه في الغرب من أنماط التفكير وممارسات السلوك الحيوي يختلف عما نراه في الشرق من مظاهر التفكير ومختلف ممارسات النشاط السلوكي والحيوي.

ويقدم الباحث تصوره للثقافة فيقول: «الثقافة في إجماع الباحثين هي موقف فكري وعمل من تراث البشرية وهي تحقيق للقيم الثابتة في أمة معينة، وهي نسيج وحدة من النظم والأفكار والعقائد والأهداف والأمال والمثل العليا، كذلك فإن لكل مجتمع ثقافته التي يتسم بها ولكل ثقافة مميزاتا وحضارتها التي تحدد شخصيتها، بل لقد رأى البعض أن الثقافة ليست مجموعة من الأفكار ولكنها نظرية في السلوك» (١).

(١) السابق: ص ٢٢٢.

ويعمى المؤلف فى تبیان جوانب هذه النقطة لىؤكد بأن هدف الثقافة الإسلامية إقامة العدل وتتم فى اللغة العربية فهى عربية من حيث الوعاء إسلامية من حيث المحتوى والمضمون ( Contant ) مستقلة من حيث الجهة فهى ليست شرقية ولا غربية وإنما تستمد ذاتها ومحتواها من التوحيد الإسلامى والقرآن والسنة .

وينهى المؤلف رحلته فى آفاق هذا البحث ورحلتنا بصحبة المؤلف فى هذا البحث بينما أرى المؤلف وكأنه يشد على أيدينا وياخذ بأصبعنا واضعاً إياه على بعض المحاذير مشيراً إلى معطيات الاحتكاك الثقافى بين الثقافتين العربية والإسلامية من جهة والغربية والمستوردة من جهة أخرى ومن هذه المحاذير ما يأتى :-

١ - لا ترى الثقافة الغربية « الدين » جزءاً أساسياً فى بناء محتواها وإقامة كينونتها، هذا فضلاً عن رؤية الثقافة الماركسية التى ترى فى الدين معوقاً أساسياً للتقدم بل تراه مخدراً للشعوب وأفيوناً لها، على النقيض من ذلك نرى الإسلام والثقافة الإسلامية محورية يدور محورها حول التوحيد بالمفهوم الربانى والإسلامى .

٢ - ترى الثقافة الغربية بأن محتواها ونتائجها لخدمة الإنسان الأوروبى قبل غيره وعلى حساب غيره بينما تؤمن الثقافة الإسلامية بالطابع الإنسانى والغاية الإنسانية .

٣ - تؤمن الثقافة الأوربية بتبنى الميكافيلية فى حل المشاكل بفصل الدين عن الأخلاق فى ممارسات السياسة ترجمة لقاعدة الميكافيلية ( الغاية تبرر الوسيلة ) .

٤ - تقوم الثقافة الغربية على أساس فصل الضمير عن العلم وسيادة المادة على الضمير بينما ترى الثقافة الإسلامية فى الضمير أساسها فى منطلق العلم والحضارة .

٥ - ترى الثقافة الغربية الإنسان وكأنه عبد لغرائزه تسيّره شهواته وتصور معظم مظاهر سلوكه عن التفكير الباطن كما ذهب فرويد ويونج، وتلك مفاهيم تتعارض تماما مع المفهوم الإسلامى الذى يكرم الإنسان ويجعله مستخلفا فى الأرض يقوم على عمادتها ونصرة الحق فيها وعبادة الله وحرب الباطل والانتصار للمظلوم والجهاد فى سبيل الله .

٦ - يثبت المؤلف سادسا رؤية الثقافة الغربية للإنسان، فهى تُعلي من بعض الأجناس والألوان والدماء، وتحاول بهذا الإعلاء « كما يقول المؤلف » أن تجعل لها حق القيادة وتلك أمور ليست موجودة لدى المسلمين الذين يؤمنون كما علمهم الإسلام العظيم ونبيه الكريم بقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] وهدى النبى الكريم بهذا الشأن فلا فضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح .

- جزى الله المؤلف الكريم عن الإسلام عقيدة وشريعة وتربية وثقافة خير الجزاء .

\* \* \*

## فى ثقافة التغريب والتبعية والاحتواء

- الغزو الثقافى والتواصل المعرفى .
- الدكتور محمد إقبال والاستلاب الثقافى .
- ثقافة التبعية والتغريب والاحتواء .
- والناقد الدكتور حلمى محمد القاعود .
- فى أزمة الثقافة والمثقفين تجاه الإسلام .
- مع السيدين : الأستاذ فهمى هويدى  
والدكتور محسن عبد الحميد .



## الفصل الأول

### الغزو الثقافي والتواصل المعرفي (\*)

• تقوم الحياة في ربوع كوكبنا الأرضي على التباين بين الشعوب والثقافات واللغات، وليس بالضرورة مع هذا التباين أن تتوحد المصالح والأهداف؛ ولذا غلب التدافع بين الشعوب والأمم في محاولة التحكم والسيطرة والاستئثار بما في يد الآخر من خيرات ومزايا، ومن ثم يحاول القوى الذي لا يردعه دين أو شرع أو إنسانية أن يستأثر بكل شيء وقد يضمن على الطرف الضعيف بالحياة نفسها، هذا أمر واضح ومعلوم للقاصي والداني لا ينكره جاهل ولا عالم، ويؤكد السلوك البشري على مستوى الأفراد والشعوب والأمم في الحديث والقديم على السواء، وفي القرآن الكريم تصديق ذلك حيث يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا \* آتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا \* فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٧] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] ويقول - تعالى - حكاية عن نبي الله سليمان - عليه السلام - : مَا أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَيَّ دَاوُدَ ففزع منهم قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغِيٌّ بَعْضُنَا عَلَيَّ بَعْضٌ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ \* إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ

(\*) جريدة (أخبار الخليج) البحرينية في [٢٩ - ١٠ - ١٩٩٣م].

أكفليها وعزني في الخطاب \* قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم... ﴿ [ص: ٢١ - ٢٤].

● وقد أقر القرآن الكريم هذا التباين وبين لنا حكمة الله من هذا التنوع وذاك التدافع بين بنى البشر على مستوى الأفراد والشعوب والأمم؛ ولذا أغرى أمة التوحيد وعباده المؤمنين بالأخذ بأسباب القوة ليحموا عقيدتهم وثقافتهم وحضارتهم وليردعوا الطامعين الغزاة وأمرهم بإعداد القوة والبحث عن أسبابها في كل صوب وحدث لتحقيق الردع ووعدهم بالنصر والتأييد والتمكين فقال سبحانه: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

● وليس يخفى على ذى عينين كيف تسابقت الأمم فى الماضى، وكم تتسابق فى الحاضر فى الأخذ بأسباب القوة على مختلف أنواعها لتحقيق الردع وفرض شروطها وهيمنتها والويل والذل والهوان لمن يتخلف فى سباق القوة ويخلد إلى القعود واليأس والاستسلام والقبول بما يمليه عليه العدو بجبروته وقوته وأوراقه الراحبة والويل للمغلوب !!!.

● ولقد رأينا بعض أهل الفكر ونفراً ممن يتعاطون الأدب ويعالجون فنونه يثيرون فى ناديتهم أحيانا مسألة الثقافة والغزو الفكرى ونجد بعض الحاملين من الشعراء والمتسرعين من الكاتبتين يبادرون برفض مصطلح الغزو الثقافى ويتكلمون على القائلين به ويرون ذلك وهماً يسكن عقول المفكرين من ذوى التوجه الإسلامى فى النهضة والإصلاح ونرى بعضهم ينزعج من كلمة ( الغزو ) لما يستدعيه ذلك اللفظ من معنى الحرب بأنواعها من طائرات ومدافع وراجمات صواريخ.

● والحقيقة أن المتابع لجملة الآراء التى تطرح فى مناقشة مصطلح ( الغزو الثقافى ) يرى نفراً من المحاورين والكاتبتين ينطلقون من جزر متباينة ويفكرون فى

أبراج منعزلة وينطلقون من خلفيات ثقافية متباينة فضلاً عن تورم الذات لدى البعض منهم والإفراط في الإعجاب بالرأى الشخصي والغرور في تناول لدى بعض المتعالمين فيهم، ولم يكن ذلك كذلك لولا ضعف الحوار بين أبناء الأمة الواحدة والمجال الواحد والبلد الواحد أحياناً برغم وجود الثوابت والأهداف العليا التي ينبغي أن تُوجد أبواباً مواربة وشعراً لمعاوية حتى لا نجد فريقاً من بنى جلدتنا والناطقين بلغتنا - ودون أن يدروا - في كتيبة أعداء الأمة ينتصرون لمنطق العدو والطامع بمزاعم التقدم والانفتاح على الآخر، ومن ثم نلاحظ أن مثقفى أمتنا ومفكرها وأدباءها أحوج ما يكونون في مثل هذه الأيام إلى التواصل والتحاور في تجرد وموضوعية وتأكيد على ثوابت الأمة ورسالتها.

● ونرى من الأهمية بمكان التذكير بمفهوم الثقافة التي تعنى في العلوم الاجتماعية أسلوب الحياة لدى شعب من الشعوب أو أمة من الأمم فهي كل معقد يشتمل على تراث وتقاليد وعلوم الأمة وطريقتها في الحياة مع لغتها ومدنيتها وأنماط التفكير فيها، فالثقافة مادية وعقلية أى تشتمل على العمران والتمدن وحضارة الأمة وعلى الجوانب العقلية من فكر وفلسفة ومشاعر ومن ثم فالثقافة ذاتية خلافاً للعلم والمعرفة، العلم لا وطن له أما الثقافة فذاتية، وقد نلتقى مع جوانب من ثقافة أمة أخرى، وقد توجد قيم إنسانية عامة ترسخ في مختلف الثقافات.

● ولعل الذى حمل بعض دارسينا ومثقفينا والشاعرين فينا على مصطلح الغزو الثقافى المؤكد له رجال مشروع النهضة الإصلاحى الإسلامى خصومة تجاه الإسلام واهتزاز الثقة فى فعالية الدين فى عصر الافتتان بالعلم ومنجزاته فضلاً عن سوء توظيف قيم الدين لصالح ذوى المطامع حتى المحتل الغاصب لم يعدم من يبرر سيطرته باسم الدين. وأرى من المهم بهذا الصدد التفريق بين المخلصين فى تبنى مشروع النهضة الإسلامى والمحبين حقاً للإسلام وبين المنتفعين بالتعصب المذهبى والدينى والنافخين فى نار الخرافة والشعوذة باسم الدين، الأمر الذى نقر كثيراً من

أبناء أمتنا المتميزين للانحياز إلى ثقافة الآخر الذي قد يكون عدواً للأمة في طموحها المشروع وحلمها الأخضر في حياة العزة وعزة الحياة .

● وقد دأبت الأمم الطامعة في مقدرات الأمم الأخرى واحتوائها والسيطرة عليها أن تستخدم كل الأسلحة في حربها ضد الطرف محل أطماعها لإحكام السيطرة عليه واستنزاف خيراته دون مقاومة، فإن تعذر الوصول إلى الأهداف بالتحايل والخداع كانت القوة العسكرية فإن فشلت القوة العسكرية فبأساليب أخرى للحصول على المطلوب بلا ضرب ولا حرب، والتاريخ خير شاهد على ذلك، هاك على سبيل المثال لويس التاسع بعد الحملات الصليبية المتتابعة على قلب العروبة والإسلام في مصر والشام يقع أسيراً في معركة المنصورة وفي سجنه يهتدى إلى استبدال حرب السيف بالكلمة لتحل الكلمة والفكرة في التمكين لثقافة الغازي حتى تصير هيمنتته واحتلاله لبلاد العرب والمسلمين برضا أبنائها ومن ثم أنشئت مدارس الإرساليات ومراكز التبشير، ومع الاحتلال العسكري في مصر والشام وغيرهما أُخرج القرآن من مناهج التعليم وتاريخ العرب والمسلمين وتمَّ إحلال تاريخ أوربا وحضارة الغرب وفلاسفة الغرب وعواصمه محل ثقافة العرب المسلمين وفي إيران والشرق الإسلامي إبان الاحتلال تم تفريغ التعليم من مضمونه وتُفرض (رباعيات الخيام) على رواية الشاعر الإنجليزي فيتزجيرالد على مناهج التعليم لتدرس للمراهقين بما فيها من إغراء باحتساء الصهباء وصحبة الحسنة وإمرار الوقت في اللذة والنشوة والسرور بهدف إماتة روح الجهاد وتبتدع المذاهب الدينية مثل القاديانية والبهائية لحرب المفاهيم الإسلامية والتشكيك في قيم الإسلام وثوابته وتبرير الاحتلال وإقامة دولة بنى صهيون في فلسطين، ماذا يا أصدقاء الانفتاح الثقافي تقولون في إحلال ثقافة مكان ثقافة بالقوة كما حدث في فلسطين المحتلة وعمليات غسيل المخ التي قام بها الشيوعيون لفرض مفاهيمهم وفلسفتهم وما فعله الصهاينة وما فعله الإنجليز في مناهج التعليم في مصر والشام والعراق وإيران وما فعله نابليون حين جاء برجال التبشير وحمل معه المطبعة

والمفكرين ولما فشل في تحويل المصريين عن ثقافتهم واثارت عليه مصر وقاد الأزهر ومجاهدوه الشعب ضده ودخل بخيله الجامع الأزهر الشريف، وماذا نقول فيما فعله الفرنسيون في الجزائر بخاصة والمغرب العربي بعامه في فرض الثقافة الفرنسية لولا جهاد العلماء بالقرآن والسيف ويكفى ذكر أسماء: الأمير عبد القادر الجزائري وابن باديس ومالك بن نبي وغيرهم.

● ولقد دهشت لمن (\*) انزعج لكلمة (غزو) وربطها بجحافل القوة العسكرية، ألم يسمع كاتبنا العزيز بأنواع الحروب التي دمرت أمماً دون عسكر ولا طائرات ولا دبابات كحرب الأفيون في الصين مثلاً للسيطرة على الشعب الصيني وتدميره وحالياً حروب المخدرات والسموم البيضاء لتدمير الشباب عدة الأمم وسلاحها في مواجهة الطامعين والمتربصين؟! ألم يسمع عن حرب الإيدز والحرب البيولوجية؟! ألم يسمع عن الحرب الاقتصادية لإضعاف الخصم وإفقاره وتجويعه وحصاره اقتصادياً ليخضع للخصم والأمثلة حولنا ماثلة حية لا تحتاج إلى نقاط على الحروف!!

● أما العلم والمعرفة فيلزم الأمم الناهضة أن تسعى إليها بكل الوسائل «فالحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أولى» كما في الهدى النبوي الشريف، وفي القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] والقاعدة التي عول عليها العلماء المسلمون في النقل عن الآخرين هي: «خذ ما صفا ودع ما كدر».

ولست أرى وقتاً يحتاج فيه المثقفون من أبناء أمتنا أن يتحاوروا فيه ويقتربون من بعضهم لنصرة الأهداف العليا للأمة من هذا الوقت العصيب الذي تتعرض فيه أمتنا للإذابة في ثقافة الآخر لإضعاف مكامن القوم الذاتية فيها وإخضاعها وإضعافها والإيقاع بين أبنائها وطوائفها ليسود العدو، وحرام علينا أن نرى من بين

---

(\*) هو الأديب والشاعر البحريني علي الشرقاوي في خاطرة له نشرت بجريدة (الأيام) البحرينية في حينها وكانت بعنوان (الثقافة انفتاح علي الآخر).

مثقفيها من يظاهر أعداء الأمة في حملتهم على الإسلام وتشويههم لرسالته  
و حربهم لقطاع عريض من أبناء الأمة المخلصين وجنودها المؤمنين لعزتها ونهضتها؛  
ولذا لزم التحاور والاتفاق على الثوابت والغايات .

ورحم الله شاعر الإسلام الفيلسوف محمد إقبال حين قال في وصف حال  
الشباب المفتون بالغرب الجاهل بذاته الحضارية الغافل عن إمكانات أمته وراثتها  
حين يحسن استثمارها والانتفاع بها وتفجير طاقاتها، يقول إقبال : « إن الشباب  
المثقف فارغ الأكواب ظمآن الشفتين، مصقول الوجه مظلم الروح، مستنير  
العقل، كليل البصر، ضعيف اليقين، كثير اليأس لم يشاهد في هذا العالم شيئاً،  
هؤلاء الشباب أشباه الرجال ولا رجال، ينكرون أنفسهم ويؤمنون بغيرهم، يبني  
الأجانب من ترابهم الإسلامي كنائس وأديارا؛ شباب ناعم رخو رقيق في الشباب  
كالحرير، يموت الأمل في صدورهم ولا يستطيعون أن يفكروا في الحرية » ( مع  
إقبال ) ( لكاتب المقالة ص ٣٥ - مكتبة النور بالقاهرة ) .

● وبعد : فالحديث عن جوانب الغزو الفكرى في مجالات التعليم واللغة  
والأدب والسياسة والاقتصاد والإعلام والإعلان يطول وتضييق به الفصول ولعل  
كثيراً من الكاتبين تناولوا التركيز على تلك الجوانب فيما أصدرته المطابع العربية  
بلغة الضاد (\*) وما تفتق عنه أذهان المخلصين من المفكرين والمثقفين والدارسين  
الذين يعملون في جدٍّ ودأب وإخلاص لرفعه أمتنا وتقدمها وازدهارها .

\* \* \*

---

( \* ) انظر الباب السابق من هذا الكتاب حيث تناولنا « أزمة التعليم والتربية والثقافة  
المعاصرة في العالم الإسلامي » .

## الفصل الثاني

الدكتور محمد إقبال (\*)

### والاستلاب الثقافي

● فى (مرافئ) صفحته الشهرية فى (المجلة العربية) السعودية الغراء كتب الأخ الأديب الأستاذ حمد عبد الله القاضى فى مرافئه التى تشع نورا وجلالا وجمالا خاطرة تحت عنوان: «أيها المبهورون كفاكم انبهاراً...!!» أوضح فى بدايتها أنه ليس ضد التواصل الحضارى المثمر، وهو مع «تلاقح المدنيات... مما يثرى البشرية وتعود جدواه على الإنسان فى كل بقاع الأرض!»<sup>(١)</sup> ولكنه ضد الانبهار بمدنية الغرب إلى درجة الاستلاب الفكرى وإلى درجة اعتقاد بعض المبهورين أن كل ما فى الغرب جميل ومضى»<sup>(٢)</sup>، ويختتم كلمته تلك ببناء يوجهه إلى أولئك المفر يقول فيه: «أيها المبهورون كفاكم انبهاراً!! - أيها المستلبون - كفاكم استلاباً!»<sup>(٣)</sup>.

● والحقيقة أن القضية التى أثارها الكاتب الكريم فى مرفئه الرئيسى من مرافئه الجميلة جد خطيرة، إذ إن الانبهار بمدنية الغرب الأوروبى أمر واقع لا محالة ما لم يكن المسافر أو المبتعث إلى البلاد الأوروبية والأمريكية محصنا بثقافة حضارته الإيمانية، مقتنعا بثوابتها متحمسا للتبشير بقيمها وأخلاقها، فإذا كان المسافر أو المبتعث إلى تلك البلاد مذذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ولم يرب التربية الإيمانية، ولم يثقف الثقافة الإسلامية الواعية سهل أن يقع فريسة للإيمان بالغير ونكرات الذات الحضارية لأمته، ويصير بعد ذلك سيداً ثميناً للمبشرين بدين الصليب والمستشرقين الماكرين، ومن ثم يكون

(\*) نشرت هذه الدراسة فى مجلة (منار الإسلام) (صفر ١٤٢٠ هـ مايو ١٩٩٩ م).

(١) المجلة العربية - العدد (٢٢٢) السنة ٢٠ رجب ١٤١٦ هـ - ديسمبر ١٩٩٥ م.

(٢) السابق ص ١٠٣.

(٣) السابق ص ١٠٣.

الانبهار بالغرب وثقافته ومدنيته ويتحقق الاستلاب الفكرى والثقافى وربما  
العقدى أيضا !!! .

ولقد هاجت تلك القضية شجوننا كانت كامنة فقفزت إلى صفحة الذاكرة  
شخصية العلامة الحكيم الدكتور / محمد إقبال الملقب بشاعر الإسلام أو شاعر  
الحب والطموح والإيمان - كما لقبه نابغة الأدب العربى الإسلامى شيخ القارة  
الهندية العلامة / أبو الحسن الندوى حيث لشاعرنا الحكيم الدكتور إقبال تجربته  
مع الحياة الأوروبية فى بدايات القرن العشرين الميلادى امتدت بترده على أوروبا  
زائراً ومفاوضاً سياسياً فى مؤتمر المائدة المستديرة فى ثلاثينيات هذا القرن لبحث  
استقلال باكستان وتأسيس دولة للمسلمين فى شبه القارة الهندية تشمل المناطق  
ذات الأكرهية الإسلاميه فى السند والبنجاب والبنغال، ومن ثم كانت دولة  
باكستان التى أعلنت عام ١٩٤٧م بعد وفاة العلامة إقبال الذى كان واحداً من  
أبرز مؤسسيها مع الزعيم محمد على جناح بنحو تسع سنوات .

● والعلامة الشاعر الدكتور / محمد إقبال شاعر بين الفلاسفة وفيلسوف  
بين الشعراء، أو هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء - كما لقبه العلامة الدكتور /  
زكى على الأديب الإسلامى المهاجر المقيم فى جنيف منذ ثلاثينات هذا القرن  
أطال الله عمره وإقبال رجل دولة وقانون وسياسة ولقد تلقى شاعرنا الحكيم  
تعليمه الأول فى مكتب لتحفيظ القرآن الكريم، والتحق بالمدرسة الابتدائية  
والثانوية ببلدته سيالكوت فى إقليم البنجاب، وجاز امتحان الثانوية بامتياز  
وتعلم اللغتين العربية والفارسية، ثم أتم دراسته بالكلية الحكومية بلاهور عاصمة  
البنجاب ونبغ فيها وبز أقرانه، وتخرج فى الكلية الحكومية بامتياز فعين مدرساً  
للتاريخ والفلسفة والسياسة فى الكلية الشرقية بلاهور ثم أستاذاً للغة الإنكليزية  
والفلسفة فى الكلية الحكومية، ولما أنس فيه أساتذته البراعة والدقة أرسلته وزارة  
المعارف إلى لندن عام - ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة ( كامبردج ) وحصل على  
درجة علمية فى الفلسفة وعلم الاقتصاد ثم أم جامعة ميونخ بألمانيا حيث حصل

على الدكتوراه فى الفلسفة، وما لبث أن عاد إلى لندن ليحضر الامتحان النهائى فيحصل على درجة علمية فى الحقوق (١).

● وليس يخفى على أحد ما كانت عليه الحياة فى بلادنا العربية والإسلامية فى العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن العشرين من حيث التقدم الحضارى وامتلاك وسائل التقدم بالقياس إلى المدنية الأوروبية آنذاك، خلافاً لما هو عليه واقع بلادنا العربية والإسلامية فى عصرنا الحاضر من تقدم كبير يمثل طفرة فى اتجاه امتلاك وسائل الحضارة الحديثة وأدواتها من نتاج التقنية الأوروبية والأمريكية أو اليابانية مع ارتقاء الحياة فى بلاد العروبة والإسلام مادياً لدرجة الترف الاستهلاكى فى بعض بلداننا الغنية مما يفوق مثيله فى بلاد المدنية الحديثة ذاتها بعض الأحيان!، وبرغم ذلك نجد شاعرنا الدارس المفكر المحصن بتربيته الإيمانية وثقافته الواعية لا ينخدع بزيف (الشكل) الحضارى الغربى فى أوروبا، ويقف من تلك الحضارة إبان إقامته فى ديارها متنقلاً بين ربوعها وحواضرها موقف الناقد البصير متمثلاً القاعدة الأدبية الإسلامية التى تقول: «خذ ما صفا ودع ما كدر» فيقبل من ثقافة الغرب ما هو قيم ونافع ويرفض ما هو سلبى واستهلاكى مما يتصادم مع جوهر الإنسانية فى الإنسان، يساعده فى ذلك نظر ثاقب وعقل مؤمن ناقد وقدرة على التنظير، فتحقق فيه وفى أمثاله من أبناء العرب والمسلمين النابهين مما دعا إليه الأستاذ/ حمد القاضى فى كلمته المشار إليها آنفاً من تمثل التواصل الحضارى أو التلاقح الحضارى المثمر، وتجنب ما أسماه كاتبنا «الانبهار بمدنية الغرب إلى درجة الاستلاب الفكرى» أو بتعبير آخر الانسحاق والانهازم الحضارى أمام ثقافة الآخر القوى الغالب.

● ونجد شاعرنا إقبال إبان فترة إقامته فى لندن يتفاعل مع الحياة الأوروبية يؤثر فيها ويتأثر بها دون أن يذوب فيها أو ينهزم نفسياً أمام ما فيها من قوة وتقدم وإبهار فى وسائل الحياة، لكن نراه يحاضر عن الإسلام ويساهم بجهد كبير

(١) الجوهري عبد اللطيف. مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية الطبعة الأولى. مكتبة النور

القاهرة. ١٩٨٦م ص ١٨، ص ١٩.

فى الدعوة إليه والتعريف به مما أكسبه ثقة وشهرة واسعة وانتفع بتلك الفترة التى قضاها فى ربوع البلدان الأوروبية أىما انتفاع، فأكب على دراسة الفلسفة الغربية وفكر الفلاسفة الغربيين أمثال هيغل ونيتشة وشوبنهاور وقام بمقارنات بين أفكارهم وأفكار الفلاسفة المسلمين أمثال ابن رشد وابن سينا وغيرهما، وعمل فترة أستاذاً فى جامعة لندن لتعليم اللغة العربية وذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق فى بلاد الإسلام وديار المسلمين وفى بلاد الغرب حيث الحضارة الأوروبية (١).

● وفى قصيدته (فى مدينة رسول الله ﷺ) التى ترجمها إلى العربية نثراً درياً العلامة أبو الحسن الندوى فى كتابه الرائع «روائع إقبال» يتحدث الشاعر إقبال عن تجربته خلال إقامته فى أوروبا فيقول: «كنت كطائر يقع على شبكة فيقرض الجبال ويأخذ الحبّ ويطير بسلام... يعلم الله أنى رحلت فى هذه العلوم واكتويت بنارها - يقصد علوم الثقافة الأوروبية - من غير أن أرزأ فى عقيدتى وخلقى وصلتى بك - يخاطب النبى ﷺ - وقد جلست فى نارها بشجاعة، وخرجت منها بسلام، كما كان شأن إبراهيم عليه السلام مع نمرود» (٢).

● وقد بلغ شاعرنا محمد إقبال أن صديقاً قرشياً له مفتون بالفلسفة حتى زلزلت عقائده زلزالاً شديداً، فكتب إليه يقول فى إحدى قصائده: «أنا رجل كما تعرف أرجع فى أصلى إلى - سومنات - المعبد الوثنى المعروف فى الهند وكان آباى من عباد اللات ومناة وأن أسرتى عريقة فى البرهمية... وأنت تجرى فى عروقك دماء الهاشميين وتنتمى إلى سيد الأولين والآخرين... وقد امتزجت الفلسفة بلحمى ودمى، وجرت منى مجرى الروح ورغم ذلك كله فإنى أقول: «إن الحكمة الفلسفية ليست إلا حجاباً للحقيقة، وإنها لا تزيد صاحبها إلا بعداً عن صميم الحياة وإن بحوثها وتدقيقاتها تقضى على روح العمل؛ هذا هيغل الذى تبالغ فى تقديره، إن صدفته خالية من اللؤلؤ... وإن نظامه ليس إلا وهماً

(١) السابق ص ١٩.

(٢) السابق ص ١١٤، ص ١١٥.

من الأوهام ... لقد انطفأت شعلة القلب في حياتك أيها السيد، وفقدت شخصيتك فأصبحت أسيراً لـ «برجسون» إن البشرية تريد أن تعلم كيف تتقن حياتها، وكيف تخلد شخصياتها، إن بنى آدم يطلبون الثبات ويطلبون دستوراً للحياة، ولكن الفلسفة لا تساعدهم على ذلك ... إن المؤمن إذا نادى في الآفاق بأذانه أشرق العالم واستيقظ الكون، إن الدين هو الذى ينظم الحياة وإنه لا يكتسب إلا من إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ومن الغريب أن من اقتنص أشعة الشمس لم يعرف كيف ينير ليله، وأن من بحث عن مسالك النجوم لم يستطع أن يسافر في بيدا أفكاره» (١).

● علاج الافتتان بالآخر الغالب وثقافته والعالم الأول بعنصريته واستعلائه على سائر عباد الله من غير ذوى الدماء الأوربية تلك العنصرية التى فضحتها مأساة البوسنة فى ثلاث السنوات الاخيرة ... علاج ذياك الاستلاب الفكرى والحضارى يكمن فى التربية الأولى، وفى التعليم الحق وفى المعلم المؤمن الواعى المخلص لآمال أمتة فى حياة العزة وعزة الحياة، فأقبال يلقي بتبعة ذلك الاستلاب الفكرى والثقافى للشباب المسلم على التعليم وولاته فيقول: «أشكو إليك يا رب من ولاة التعليم الحديث إنهم يربون فراخ الصقور تربية بُغاث الطيور وأشبال الأسود تربية الخروف» (٢). ويصف تلكم النماذج من أبناء أمتنا المستلبين فكراً وثقافياً بقوله: «إن الشباب المثقف فارغ الأكواب، ظمآن الشفتين، مصقول الوجه، مظلم الروح، مستنير العقل، كليل البصر، ضعيف اليقين، كثير اليأس، لم يشاهد فى هذا العالم شيئاً، هؤلاء الشبان أشباه الرجال ولا رجال ينكرون أنفسهم ويؤمنون بغيرهم، يبني الأجانب من ترابهم الإسلامى كنائس وأديارا، شباب ناعم رخو رقيق فى الشباب كالحريز، يموت الأمل فى صدورهم ولا يستطيعون أن يفكروا فى الحرية» (٣).

● ويدرك شاعرنا الحكيم - رحمه الله - دور المعلم وجلال رسالته فى

(٢) السابق ص ٣٥.

(١) السابق ص ٣٢، ص ٣٣.

(٣) السابق ص ٣٩.

تنشئة المتعلم وتربيته وأثره فى مستقبل الأمة وحياته فيتوجه ويناشد الله أن يقوم برسالته نحو أبنائه على الاعتزاز بالنفس والتنبيه إلى الدور الحضارى المنوط بأمة الإسلام فى قيادة البشرية وهدايتها نحو شاطئ الإسلام ودوحة التوحيد فيقول: « حيا الله شبيبتك يا مربى الجيل الجديد! ألق عليهم درس التواضع وهضم النفس مع الاعتزاز بالنفس والاعتداد بالشخصية علمهم كيف يشقون الصخور ويدكون الجبال، فإن الغرب لم يعلمهم سوى صنع الزجاج » (١).

● وبعد: فلعل ما قدمته من تجربة إقبال مع الثقافة الأوروبية وهو من هو قدراً ومكانة فى بناء الثقافة المعاصرة فى بعدها الإسلامى خاصة والإنسانى عامة، حتى ليضع أهل الفكر والأدب والفلسفة إقبال فى مصاف المفكرين العالميين وأشهر رجالات العلم والأدب والسياسة فى القرن العشرين الميلادى، أقول لعل تجربة إقبال مع الحياة الأوروبية تكون نبزاً هادياً لأبناء أمتنا فى تعاطيهم ثقافة الغرب الأوروبى والتفاعل مع أساليبها ونتائجها، والله الهادى إلى سواء السبيل.

\* \* \*

---

(١) السابق ص ٤٢، ص ٤٤.

## الفصل الثالث

### ثقافة التبعية والاحتواء (\*)

● في عقد التسعينيات الميلادية الذي يوشك على الانتهاء شاع في أوساط الإعلاميين والدارسين والمثقفين مصطلح (العولمة) وقد ذهب أهل الفكر والنظر في تفسيره مذاهب شتى فمنهم من ذهب إلى أنها تعنى زوال الخصوصيات والحدود والقبول بثقافة الغالب والانفتاح على آلياته في الاقتصاد والسياسة والأخلاق والاجتماع؛ لأن ذلك قدر لا مفر منه، ولا سبيل للموقف أمام اندفاعه الذي يحطم كل شئ يقف في طريقه، وذهب آخرون إلى تفسير ذلك المصطلح المراءغ برغبة القوة المهيمنة على العالم بعد انحلال ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية فى الانفراد بالتحكم فى السيطرة على العالم وبسط نفوذها وثقافتها على الأمم بالقوة المسخرة لتحقيق أغراض سياسية، فالعولمة وثقافتها من وجهة نظر الفريق الثانى تعنى الخضوع للسيد الجديد والقبول بهيمنته على مقدرات الشعوب والأمم والسير على نهجه ومذهبه ومسلكه حتى وإن دخل جحر ضب خرب !! .

● وقد قطع المروجون لمصطلح (العولمة) والقبول بها وبآلياتها باعتبارها قدراً لا يرد شوطاً كبيراً فى التغنى بالمصطلح والإغراء بقبول ثقافته للحاق بركب التقدم والرخاء والازدهار وإلا فستطوينا أمواجه فى الظلمات ، ولتذهب عقائدنا وثقافتنا وخصوصيتنا الحضارية وأخلاقنا إلى حيث تذهب فى رأى هذا الفريق من سمسرة الغزو الثقافى المرتدين حضارياً ارتداداً وصفه أديب الإسلام أبو الحسن على الندوى بأنه (ردة ولا أبا بكر لها) !! .

● وما كان المسلمون وأبناء هذه الأمة المجيدة دعاة انغلاق وتخلف وجمود (كما يصفهم دعاة ثقافة التبعية والمنهزمين حضارياً أمام ثقافة الغالب الذى درسوا فى مدارسهم وتربوا على موائده وحثالة أفكاره ونظرياته) وإنما - هم - أى

(\*) صحيفة (أخبار الخليج) البحرينية فى يوم الجمعة [١٠ - ٩ - ١٩٩٩م].

أبناء الثقافة الإسلامية وأصحاب المشروع الحضارى الإسلامى - دعاة تواصل مع ثقافات العالم وتعاون مع شعوب الدنيا على أسس من العدل والسلام والتلاحق الفكرى؛ لأنهم أصحاب رسالة عالمية يعيشون من أجلها ويموتون فى سبيل الذود عنها وهم مأمورون بتبليغها لبنى الإنسان فى مختلف بقاع المعمورة فرادى وجماعات دولاً وشعوباً بأسلوب متحضر يقوم على الجدل التى هى أحسن والأخذ عن الآخر الحكمة والعلم وما نفع من ثقافته وفق القاعدة التى تقول ( خذ ما صفا ودع ما كدر ) والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها كما علمنا الهدى النبوى الشريف وأدب الإسلام العظيم .

● لكن الذى يرفضه المثقفون المسلمون وأدباء عقيدة التوحيد والثقافة الإيمانية وأصحاب المشروع الحضارى الإسلامى هو الاستسلام لثقافة الهيمنة والتبعية والاحتواء التى تهدف إلى إذابة الخصوصية الثقافية والحضارية والأخلاقية لأمتنا والقبول بالآخر الغالب الغازى المبتسم الذى يرتدى مسوح الرهبان ويلبس قفازات من حرير ويجند رجاله فى وسائل الإعلام والجامعات التابعة له ليرددوا ترديد البيغاوات شعاراته ويجملون أطروحاته ويبيشرون بخيراته ومدينته الفاضلة وثقافته العاقلة، وهم فى سبيل ذلك يرتدون أقنعة النفاق والزيف ويجادلون فى استبسال واستماتة عجيبة حتى إنهم يحتفلون بذكرى غزو المستعمر لبلادهم واحتلاله لمدنهم وإذلاله لشعوبهم وقتله لعلمائهم وزعمائهم، وصاروا يرددون فى وضح النهار ما كان يعده الوطنيون إبان الاحتلال خيانة للبلاد وبيعا للديار .

● يقول الدكتور حلمى القاعود الناقد والأستاذ الجامعى : « وقد جرت فى الفترة الماضية مياه أسنة كثيرة صبت فى نهر الثقافة العام واستغلت مناخ العنف والعنف المضاد، وأعلن رموز الثقافة السائدة عن تبعيتهم الكاملة للغرب والانتماء إليه، وذهب البعض فى الإعلان عن ذلك مذهباً بعيداً حين طالب بعدم التساؤل عن الهوية ( عنوان الحضارة الإسلامية ) بل عدّها نازية !! »

ورفع القوم شعارات براءة كان أشهرها التنوير والاستنارة والتقدم والتقدمية، فضلاً عن شعار العلمانية التي تعنى فى مفاهيمهم تنحية الإسلام عن الحياة وإحالة إلى التقاعد ثم بعث القوم مقولات قديمة وأفكاراً بالية؛ وقف أصحابها ضد الإسلام، واستقلال الأمة (مقولات سلامة موسى وعلى عبد الرازق، وشبلى شميل على سبيل المثال) (١).

● وقد أكد كبار علماء ومفكرى الأمة ممن يجعلهم جمهور الأدباء والمثقفين على خصوصية ثقافتنا وضرورة التنبيه للأخطار والهيمنة الثقافية والتغريب وفرض أسلوب حياة المستعمر الجذيد على الشعوب المستضعفة لتستحيل العولمة إلى أوربة وأمركة الحياة فى بلادنا باسم التحديث والتنوير، ومن هذا الفريق الراشد الدكتور أحمد كمال أبو المجد والدكتور أحمد هيكل والمستشار طارق البشرى وغيرهم من الأفاضل.

– وعندما سأله محرر جريدة (الوفد) المصرية عن كيفية مواجهة الغزو الثقافى والحضارى لأمتنا أجاب الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة السابق والعميد الأسبق لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة نواجهه بأمرين: –

أولاً: أن نفهم الثقافة على وجهها الصحيح ونسعى لتوصيلها إلى الناس.

ثانياً: أن تكون لنا ثقافتنا المتميزة فالثقافة لها روافد عامة يشترك فيها العالم كله، لكن هناك رافداً متميزاً لكل ثقافة هو رافد القيم الخاصة التى منبعها الدين والتقاليد والأعراف الموروثة الفاضلة لكل شعب قيمه وأخلاقه وموروثاته وفى هذه النقطة بالذات تتمايز الثقافات وتفترق، إذا احتفظنا بهذا الجانب وعمقناه فى نفوس المواطنين ونحن نمارس تثقيفهم أصبحت لنا الحصانة الكاملة ضد أى غزو ثقافى، وأنا مؤمن بأن هناك غزواً ثقافياً فى هذا الجانب الوجدانى،

---

(١) ثقافة التبعية: (المنهج – الخصائص – التطبيقات) الطبعة الأولى – دار الفضيلة

بالقاهرة سنة ١٩٩٧ م ص ٦.

ليس هناك غزو ثقافى فى العلم، كل العلوم والتكنولوجيات إنسانية وللعالم كله، إنما الغزو الثقافى يكون فى الجوانب العقائدية والوجدانية، إذا فرض علينا الآخرون أعرافاً ليست من أعرافنا أو عقائد خاصة ليست من عقائدنا، من هنا يأتى الغزو الذى يتسلل عن طريق البث ووسائط نقل الثقافة التى تحدثنا عنها البعض يعتقد أن الكلام عن الغزو الثقافى رجعية وتخلف، وللعلم فإن أول دولة فى العالم تحدثت عن الغزو الثقافى هى فرنسا فالمصطلح فرنسى، قام به الفرنسيون الطغيان الأمريكى على الوجدانيات والخصوصيات والفنيات الفرنسية» (١).

- ويخلص الدكتور هيكل فى حديثه عن تحدى الغزو الثقافى والحضارى لأمتنا فيقول: «فالتأكيد على خصوصية ثقافتنا أمر ضرورى لمجتمع الجانب الأخلاقى فيه له قداسته والجانب الدينى له حرمة والجانب السلوكى له أهميته، فإذا فقدنا هذه الخصوصية ضاعت شخصيتنا فى شخصيات الآخرين وفقدنا هويتنا» (٢).

● وإن السعى للقضاء على الخصوصية الثقافية والحضارية لأمتنا هو ما سعى إليه الاحتلال إبان سيطرته العسكرية على بلادنا وإدارته لشئون حياتنا، حيث حرص على بسط نفوذه على التعليم والإعلام لقتل روح المقاومة فى الأمة وإخضاعها لهيمنة المحتل الغازى الغاشم وإذابة خصوصيتها وعزلها عن محيط أمتها، فضرب لغتها وتاريخها وأعلن الحرب على الفصحى لغة القرآن والعلم والحضارة وشوه تاريخ الأمة لتخرج الأجيال منبته الصلة بتراثها ودينها الذى لا يمكن فهمه إلا باللغة العربية.

- واللافت للنظر أن ذلك المستعمر الذى غير ثوبه بعد الجلاء العسكرى لا يزال يسعى لتحقيق نفس الأهداف بواسطة أتباعه وذبوله وأذنابه المنبثين فى

---

(١، ٢) صحيفة (الوفد) المصرية ص ١١ - فى (٥ من رمضان ١٤١٦ هـ - ٢٥/١/١٩٩٦م).

المؤسسات الوطنية في معظم بلادنا العربية والإسلامية في مجال الإعلام والتعليم، ففي مصر كمثال لذلك نجد أنها في ظل حكم اللورد كرومر عاشت أقصى درجات التدخل في شؤون تعليمها الوطني حيث عين كرومر القس دنلوب سكرتيراً عاماً لوزارة المعارف المصرية عام (١٨٩٧ هـ) ثم عين مستشاراً عاماً لها عام (١٩٠٦ م).

- يقول الأستاذ أنور الجندى: «ويعد (دنلوب) واضع المخطط الأساسي لتغريب التعليم والتربية وإقصاء الإسلام وتاريخه واللغة العربية عن برامج في المدرسة المصرية، وهو أيضاً منفذ هذا المخطط والمشرف عليه سنوات طويلة حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وقد عمل (دنلوب) على محاربة اللغة العربية والإسلام والأزهر واضطهد معلمى القرآن واللغة العربية من الأزهريين ونشر لواء اللغة الانكليزية وأهلها للسيطرة الكاملة على كل شؤون التعليم وقضى على نفوذ اللغة العربية» (١).

- ويمضى الأستاذ الجندى في تبيان الدور الخطير الذى لعبه القس المستشار دنلوب مؤسس الاستعمار التربوى والعقلى والتعليمى في مصر حيث يقول: «ويجمع المؤرخون والباحثون على أن القسيس دنلوب هو مؤسس الاستعمار التربوى والعقلى والتعليمى في مصر؛ ولذلك فقد عمد الحزب الوطنى (القديم) إلى إنشاء المدارس الأهلية وقامت الجمعية الخيرية الإسلامية بإشراف الشيخ محمد عبده على فتح المدارس لتعليم أبناء المسلمين وتحريرهم من هذه الأنظمة التى تحطم معنوياتهم» (٢).

\* \* \*

---

(٢، ١) (التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام) - دار الكتاب اللبناني - بيروت: الطبعة الأولى. ١٩٧٥ م ص ٩٤.

## الاستعمار العقلي والتربوي (\*)

● وفي كتاب ( وجهة الإسلام ) للمستشرق ( هاملتون جب ) وخمسة من المستشرقين عام ( ١٩٣٠م ) أبان المستشرقون الستة وأولهم ( جب ) عن الأهمية القصوى التي يوليها الغرب الأوربي في السيطرة على التعليم وقد كشف الأستاذ أنور الجندى في كتابه ( التربية وبناء الأجيال ) عن رؤية المستشرقين في التعليم واعتبار السيطرة عليه في بلاد الإسلام ضرورة حيوية لبسط نفوذهم على بلاد الإسلام للحيلولة دون انبعاث المارد الإسلامي ونهضة المسلمين وانطلاقهم للاضطلاع بدورهم في الارتقاء بالحضارة وتهذيب الإنسان وصحوتهم على الجوهرة الثمينة التي يمتلكونها وتضمن لهم المجد والسيادة والخلود في دنيا الناس وبعد الممات ألا وهي كتاب الله الخالد ومعجزة الإسلام والقرآن الكريم، وحتى لا يظهر في المنطقة ( محمد ) جديد كما عبر الإرهابي الصهيوني ابن جوريون من قبل.

– يقول ( جب ) « لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين ولو من غير وعي منهم أثرا يجعلهم في مظهرهم العام لادينيين إلى حد بعيد، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار»<sup>(١)</sup>.

– وقد أكد ما ذهب إليه المستشرق ( جب ) عن التعليم في البلاد العربية والإسلامية تحت الاحتلال الدكتور زويمر رئيس المبشرين في البلاد العربية في الثلاثينيات حين قال: «إن السياسة الاستعمارية لما قضت من نصف قرن على برامج التعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم الإسلام وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا يهودية... ناشئة مضطربة

(١) التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام – الأستاذ أنور الجندى ص ٩٤ .

(\*) صحيفة ( أخبار الخليج ) البحرينية في يوم الجمعة [ ١٧ - ٩ - ١٩٩٩م ].

مادية الأغراض، لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة»<sup>(١)</sup>.

● وقد آلت الحالة التربوية والثقافية فى هذا العقد الأسود من القرن العشرين الذى يراد لبلادنا العربية والإسلامية فيه أن تقبل راضية أو مرغمة بالهيمنة (الصهيوى/أمريكية) على مقدراتنا وحضارتنا لتمحو ثقافتنا وتحيلنا مسخاً شائهاً لنلقى مصير الهنود الحمر وإقامة أمريكا الجديدة على أنقاض الأمة العربية باسم (الشرق أوسطية) وثقافة السلام والرخاء بنفس الأساليب التى سرقت بها فلسطين بالكذب والخداع والقوة الإرهابية وحرب العصابات الإجرامية، آلت الحالة الثقافية والتربوية الآن فى بعض أقطار البلاد العربية والإسلامية تتجه إلى ما أراد لها دعاة التغريب والأمركة سمسرة الغزو الثقافى من أمثال سلامة موسى ولويس عوض حتى وجدنا مثقفينا وبعض المسؤولين فى مواقع السلطة فى بعض بلداننا العربية يردد وينفذ ما كان يدعو إليه سلامة موسى ودعاة التغريب والأوربة باسم النهضة والتحديث حتى كتب مفكر كبير مثل الدكتور محمد عمارة فى هذا فيقول: «على مجلات وصحف التغريب التى أصدرتها فى مصر مجموعة من المثقفين الموارنة الذين تربوا فى مدارس التبشير الفرنسية ببلبنان، ثم هاجروا إلى مصر - فى ظل الاستعمار الانكليزى - ليستخدما إمكانات مصر فى إشاعة الفكر الوضعى والمادى والعلمانى الغربى على النطاق العربى - على هذه المجلات - وفى مقدمتها (المقتطف) و(المقطم) - تربى وتغذى سلامه موسى (١٨٨٨ - ١٩٥٨م).

ولقد تميز سلامة موسى بالبراحة فى التغريب إلى حد الوقاحة... وهى وقاحة نحمدها له؛ لأنها أفضل من تغليف التغريب الذى نراه عند الآخرين، تربوا فى ذات المدرسة، ودعوا إلى ذات المقاصد والأهداف»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٥٨.

(٢) صحيفة (الشعب) القاهرية - العدد (١٣٧٢) فى (٨ من ربيع الأول ١٤٢٠ هـ)

١٩٩٩/٦/٢٢ م ص ١٤.

(١٢) - للحق والنهضة والجمال)

- ويعرض الدكتور محمد عمارة لمشروع سلامة موسى الفكرى فيقول :  
«سلامة موسى قد نشر فى سنة ( ١٩٢٨م ) كتاباً عنوانه ( اليوم والغد ) تحدث  
فيه عن مشروعه الفكرى والمقاصد والأهداف التى يعمل لها سراً وجهراً على  
امتداد مشروعه الفكرى ولقد أعلن فى هذا الكتاب عن هذه المقاصد والمرامى  
فقال : « كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامى أغراضى وهى تتلخص  
فى أنه :

١ - يجب علينا أن نخرج من الشرق وأن نلتحق بأوروبا، فإننى كلما زادت  
معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له، وكلما زادت معرفتى بأوروبا زاد حبى لها  
وتعلقى بها وزاد شعورى بأنها فى وأنا فيها .

٢ - وأريد تعليماً أوروبياً لا سلطان للدين عليه ولا دخل له فيه .

٣ - وحكومة كحكومات أوروبا لا كحكومة هارون الرشيد والمأمون .

٤ - وأدباً أوروبياً، أبطاله مصريون لا رجال الفتوحات العربية .

٥ - وثقافة أوروبية لا ثقافة الشرق ثقافة العبودية والتوكل على الآلهة .

٦ - واللغة العامية، لغة الهكسوس، لا العربية الفصحى لغة التقاليد العربية

والقرآن .

٧ - والتفرنج فى الأزياء لأنه يبعث فىنا العقلية الأوربية .

هذا هو مذهبى، الذى أعمل له طول حياتى، سراً وجهراً، فأنا كافر بالشرق

مؤمن بالغرب - وإذا كانت الرابطة الشرقية سخافة فإن الرابطة الدينية وقاحة لا

تليق بأبناء القرن العشرين» !! .

- ويختتم الدكتور محمد عمارة كلمته فيقول : « هكذا تحدث سلامة

موسى بصراحة بلغت حد الوقاحة - عن مكانة مدرسة التغريب فهل يعنى هذه

الحقيقة أناس محترمون « أقرأ بين الحين والحين ثناءهم على هذا « الكائن

العجيب؟! » (١) .

---

(١) المصدر السابق .

- وبعدُ فهل تتضافر جهود المخلصين من أبناء هذه الأمة للاجتماع على كلمة سواء قبل أن يغرقنا جميعاً الطوفان؟! .

● وفى هذا السياق أتت دراسة الناقد الكبير الدكتور حلمى محمد القاعود بعنوان (ثقافة التبعية: المنهج - الخصائص - التطبيقات) فى وقتها المناسب حيث بلغت حملة القوى المعادية للإسلام وثقافتنا الوطنية أوج عنفوانها لم تعد تلتزم معها بثوابت الأمة أو أى خطوط حمراء يمكن - فى تجاوزها - تهديد وحدة الأمة وسلامها الاجتماعى، ويقود هذه الحملة فلول الماركسيين وأدعياء الثقافة والإبداع والانتهازيون والطائفيون والكارهون للإسلام ودعاة التطرف العلمانى .

- وقد تصدى لهؤلاء الشراذم خيرة مثقفى الأمة وأدبائها وإعلامييها فى الصحف والمجلات ومختلف قنوات البث المسموع والمرئى من أمثال الشيخ الداعية محمد الغزالى والدكتور محمد عمارة والأستاذ فهمى هويدى وفضلاء رجال الدعوة وعلماء الأهر .

- ويأتى كتاب الدكتور حلمى القاعود علامة مضيئة فى جبين الوجه الأصيل لثقافة الأمة وأمانة هادية لمواجهة جيوش التضليل وقوافل الكذابين والانتهازيين والمثقفين المزيفين الذين يبيعون ضميرهم بزائف الأضواء ودينهم بدنياهم، يقول الدكتور القاعود عن هدفه من تأليف الكتاب: « وكان مقصدى بيان الحقيقة وكشف زيف وإعلان الانتماء لثقافة الأمة ورفض ثقافة التبعية، وكان هدفى فى النهاية أن يعلم الجيل الجديد الغائب أو المغيب عن معرفة الإسلام، حقائق دينه ومفاهيمه ومقاصده وثقافته وتراثه، وأن يواجه الهجمة التغريبية الشرسة بمنهج مستقيم قوى، لا يخضع للتضليل ولا يرضخ للزيف» (١) .

- ويصف المؤلف الكرم الثقافة المادية التى يروج لها ببيغاوات حزب نابليون

---

(١) ثقافة التبعية - دار الفضيلة بالقاهرة ص ٩، ١٠ .

وأصدقاء العم سام وبنى صهيون بقوله: «إن ثقافة تحارب الغيب أو الخيال الغيبي - كما تسميه - لهي ثقافة شاذة وهابطة» .

● واللافت للنظر أن داعية هذه الثقافة المادية يعلن من موقع المسئولية أن مذهبه في العمل الثقافي يقوم على إحلال الخيال المادى محل الخيال الغيبي، وهو مذهب ينم عن توجه مادي سقط في بلاده أوربا ذاتها، ومن منطلق هذا المذهب المخرب كانت ثقافة تجفيف المنابع وامتلات حياتنا بالفنون الهابطة والبرامج التافهة والنجوم المعتمدة والأقزام ومدعى العبقريّة .

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

- ويعرض كاتبنا الناقد لمادة كتابه ومحتواه فيقول: «إن مادة هذا الكتاب تعنى ببيان مفهوم التبعية الثقافية أو الثقافة العار أو الغش الثقافي، كما توضح الخصائص والممارسات لثقافة التبعية من خلال الواقع الفكري والأدبي الراهن أملاً في إصلاح الحياة الثقافية وسعيًا لكشف النباتات المتسلقة في الفكر المعاصر وانطلاقاً نحو ثقافة إسلامية نامية متجددة، لا تهمل الثوابت ولا تتعامى عن المتغيرات وتبنى حواراً خلاقاً من الآخر، أيا كان هذا الآخر، طالما كان هذا الآخر يملك أسس الإبداع الإنساني الثري والرؤية الإنسانية المتسامحة» .

● وبعد: فهل تتضافر جهود المخلصين من أبناء هذه الأمة والراشدين من روادها للشمول والدعوة إلى أمة واحدة على المستوى القطري فالعربي فالإسلامي في مواجهة (اسرائيل واحدة) كمشروع استعماري استيطاني يستهدف وجودنا وأمتنا ومشروعنا الحضاري ورسالة ديننا وأواصر القربى والدم والعرض والأرض؟! وهل نجتمع على كلمة سواء وعلى حد أدنى من الاتفاق يؤكد الثوابت الوطنية والقومية ويحمي حق الجميع في الاختلاف والتنوع. تنوع التكامل والقوة في مواجهة الأخطار المحدقة بنا والتي تطرق أبوابنا بإلحاح مريب وإصرار عجيب؟ وهل نعى هذه الحقائق ونذكرها جيداً قبل أن يغرقنا الطوفان؟! .

\* \* \*

## الفصل الرابع

### ( ١ ) فى أزمة المثقفين تجاه الإسلام

• « أزمة المثقفين تجاه الإسلام » عنوان لدراسة فكرية قيمة للدكتور محسن عبد الحميد تشتمل على مادة بحثية ثرية فى مجالها وتفيض بالنظر الثاقب فى طرحها، وقد لفتنى عنوان الكتاب منذ صدوره عن دار الصحوة القاهرية سنة ( ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م ) فحرصت على اقتناء نسختى من الكتاب لقراءتها ودراستها والرجوع إليها فى بحث الأزمة وتحليلها والمساهمة فى اقتراح العلاج الناجح لها وانشغلت عنه بالسفر والإقامة فى غير حاضرة عربية معلماً ومتعلماً إلى أن استحكمت أزمة الثقافة والمثقفين تجاه الإسلام إلى الحد الذى صار الإسلام وثقافته وحضارته معها أقرب إلى المتهم، وبخاصة فى هذا العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى الذى شاهد الحملة الشعواء على الإسلام واتهامه بالإرهاب كما شاهد الظهور الصهيونى واستعلاء القوى المتربصة بالأمة العربية والإسلامية الطامعة فى خيراتها، وقد ازداد هذا التوجه شراسة وجرأة مع سقوط الاتحاد السوفيتى واعتبار الإسلام هو البديل للشيوعية بفعل الحملة الصهيونية وأحلام الاستيطان الإمبراطورى فى فلسطين والأرض العربية والعداء للإسلام.

— وقد لفتت « أزمة الثقافة والمثقفين تجاه الإسلام » الغيورين النابهين من الكتابين المخلصين والإعلاميين الوطنيين فى مختلف الأقطار العربية والإسلامية على امتداد الجغرافية الإسلامية من المحيط إلى المحيط، وقد أدرك ذلك النفر أن معركتنا مع أعداء الإسلام والأمة على المستوى القطري والعربى والإسلامى معركة كونية مع التقدم الكبير فى وسائل الاتصال والفضائيات وأن الأعداء يحاربوننا على كل الجبهات كأننا أمة واحدة متضامنة متحدة بالفعل بالرغم من حالة الشتات التى تعيشها الأمة والتى باتت فيها الأمة كالأيتام على مآدب اللغام أو كالأغنام القاصية فى الليلة الشاتية، واللافت للنظر والمخزن أيضاً أن أعداء الأمة

ينظرون لإمكانيات ومقدرات الأمة العربية وامتدادها على مستوى العالم الإسلامي جميعاً؛ لأنهم يدركون جيداً من دروس التاريخ أن حالة الشتات والتمزق والإقليمية التي تعيشها الأمة الإسلامية ليست قدراً حتمياً لا فكاك منه وإنما هي حالة عارضة أو متغيرة ولعل درس العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ - السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م قد وعوه جيداً كما نظقت به أحداث عقد التسعينات الميلادي الحالي !! .

- ومن المثقفين الكاتبين الذين لفتتهم أزمة الثقافة والمثقفين تجاه الإسلام وخطورة الدرك الذي انحدرت إليه في هذا الظرف العصيب الأستاذ فهمي هويدي في مقالته القيمة المنشورة في صحيفة (الأهرام) القاهرية في الثامن والعشرين من مارس (١٩٩٥م) وقد هاله أن يرحل الأديب الإسلامي العبقري الدكتور نجيب الكيلاني إلى رحاب ربه دون أن تشير صحف الوطن المسماة بالقومية والأدبية بكلمة تشير إلى فضل الرجل ومكانته الأدبية ودوره الريادي في النهضة الثقافية والأدبية المعاصرة والتي تبوأ فيها مكاناً علياً يطال الكثير من القمم التي أبرزها الإعلام الموجه وأعلى قاماتها وأعطاهما أكثر مما تستحق وفرضها على الناس فرضاً وألح بذكرها على أذن وعين المستمع والمشاهد حتى تنطبع على ذاكرته المسموعة والمرئية، ولا ينجو من هذا الإلحاح إلا أصحاب النظر الثاقب والعقل الناقد والوعي الراشد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقليل ما هم!! .

● يقول الأستاذ فهمي هويدي « حين مات الدكتور نجيب الكيلاني الأديب المتميز، ولم تشر إلى النبأ صحافتنا القومية والأدبية بكلمة، فإن ذلك بدا شاهداً على أن ثمة شيئاً (غلطاً) في حياتنا الثقافية، إذ لا يتصور المرء في ظل أية ظروف طبيعية أن يُغيب الموت أديباً راسخ القدم مثله، له أكثر من ثمانين قصة ورواية ونال جوائز التقدير في مصر والعالم العربي والإسلامي وظهرت بعض رواياته في السينما (ليل وقضبان) وقررت الدولة في مصر بعضاً آخر على

ثانويات الستينات، قصة (الطريق الطويل) لا يتصور المرء أن تكون صفحة الرجل على ذلك النحو من الثراء والإشراق، ثم يتم تجاهل نبأ وفاته بذلك الشكل المدهش الذى حدث طيلة الأسابيع الثلاثة الماضية، ولم يكن ذلك من قبيل الاحتشام والزهد فى الكلام، لأننا نرى كل حين سرادقات إعلامية تنصب ومرثيات وبكائيات تدبج ونائجين وندابات يتوزعون على مختلف قنوات الإرسال حزناً على راحلين آخرين من الأدباء والفنانين دونه شأننا بكثير، الأمر الذى يحتاج إلى تحليل وتفسير (الأهرام فى ٢٨/٣/١٩٩٥).

— وهكذا عرض الأستاذ هويدى لأزمة الثقافة والمثقفين فى إشارة ذكية للتدليل على معدن تلكم الشردمة من المثقفين والمستوى الذى انحدرت إليه مصداقيتهم، الأمر الذى ولج منه للحديث عن «خيانة المثقفين» كما عرض لها كتاب جوليان عن أزمة المحاكمة الظالمة التى تعرض لها الضابط اليهودى الفرنسى ألفريد دريفوس بتهمة التخابر مع الألمان. برغم براءته منها إلا أن التعصب القومى الفرنسى ضد النازية أعمى المثقفين الفرنسين الذين رفضوا الدفاع عنه.

— وفى سبيله للتعريف بالمثقف الحق والكاتب الشريف والمبدع الحر أورد تعريفات للمثقف منها تعريف الفيلسوف الإيطالى أنطونيو جراشى وهو من أهم تعريفات الثقافة الذى يعرف المثقف بأنه «إنسان تجاوز ذاته واختار أن يخاطب المجتمع معبراً عن همه أو وجدانه أو حلمه، هو كائن «مشع بالضرورة» ويدعم توجهه فى تعريف المثقف بتعريف آخر للدكتور إدوارد سعيد الذى يؤكد الجانب المعرفى والانتماء لثقافة معينة ومحيط بشرى معين وضرورة استقلاله عن كل مراكز التأثير على فكره الحر ورؤيته الذاتية، وعرج لتعريف الكلمة الحية والكاتب الحق كما عرض لذلك الدكتور زكى نجيب محمود والشاعر نزار قبانى والذى يعرف الكتابة بأنها عمل انقلابى «يستهدف تغيير هندسة الكون وهندسة الإنسان» كما يواصل كاتبنا عرض رأى نزار فى الكتابة فيقول «الكتابة ليست

فعل امتثال ولا فعل رضوخ ولا فعل تنازل ولكنها فعل انقضاض على كل بشاعات هذا العالم» والكاتب الحقيقي هو الكاتب الواقف دائماً على الخطوط الأمامية».

- ويعرض كاتبنا الكريم في مقالته لآراء الفقهاء في علاقة العلماء والمفكرين بذوى السلطان كما عرضها الإمام أحمد ابن حنبل والغزالي وغيرهما ويدلل على حرص العلماء العاملين على كل ما يحفظ مصداقيتهم واستغناءهم عن أبواب السلاطين حرصاً على استقلال رأيهم وإخلاصهم وتبليغهم أمانة العلم والنصح لله ورسوله وللمؤمنين حكماً ومحكومين، ويضرب أمثلة للعلماء الذين تعرضوا للتمحيص والابتلاء لإصرارهم على استقلال رأيهم وفكرهم بعيداً عن سيف المعز وذهبه كما حدث مع أبي حنيفة النعمان والإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ العز بن عبد السلام وغيرهم من علماء ومفكرى الأمة ومثقفها على مدار الأيام والأزمان.

- وفي ختام مقالته في أزمة المثقفين يعرض الأستاذ فهمى هويدى للمشهد الثقافى المعاصر ومكان ومكانة المثقف وموقعه فيه بين الاستقطاب والتزييف والاستقلال والحرص على أصالة الرأى والانحياز إلى المصالح العليا للأمة ومرجعيتها الحضارية فى مواجهة المثقفين المستقطبين فى جانب السلطة أو المستلبين فى ثقافة العولمة والتبعية مقابل ثقافة الأمة وخياراتها وصمودها وليخلص فى وصف المشهد والحالة الثقافية المعاصرة إلى القول عن الاستقطاب والتحزب الثقافى فىقول: «الاستقطاب هو العنصر الثالث فى أزمة المشهد الثقافى وأبرز أشكاله هو ما نراه الآن من انقسام المثقفين إلى معسكرين أحدهما علمانى والآخر إسلامى، الأمر الذى صبغ الحوار الثقافى المفترض بصبغة أيولوجية قائمة على الصراع والنفى المتبادل، وكانت النتيجة أن غاب الحوار والنقد الحر وأصبح النقض هو البديل عنهما».

● وكما أن مقالة الأستاذ هويدى انتهت إلى إبراز مأساوية الحالة الثقافية

وعبثيتها نرى كتاب الدكتور محسن عبد الحميد يعرض لأزمة المثقفين تجاه الإسلام وصفاً وتعليلاً لهذه الحالة وعرضاً لمظاهره وانتهاءً بوصف العلاج التفصيلي مزوداً بيزاد واسع من المعرفة ورسوخ قدم في البحث والدرس والتحليل واستخلاص النتائج السليمة وفق المقدمات المنطقية بعقل وقلب مفتوحين وإخلاص للأمة وأبنائها ودعوة صادقة للتواصل والحوار والتفاهم المبني على إخلاص النوايا والتجرد للحق والحقيقة والتماس الأعذار والتحلي بأدب الأبرار والأخيار «ومن عرف كثيراً غفر كثيراً»!!.

– والكتاب في أصله محاضرة مرتجلة ألقاها الدكتور محسن عبد الحميد «في الموسم الثقافي لعام (١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م) في كلية الآداب – بمكناس» ثم ألقاها في العام نفسه بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز في جدة كما ألقاها للمرة الثالثة في قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة في جامعة الإمام ابن سعود الإسلامية بالرياض، وقد لاقت نجاحاً وقبولاً واستحساناً مما حفز أستاذنا للتوسع في الخطوط العامة للمحاضرة، ففصل مجملها، في كتابه القيم عن أزمة المثقفين تجاه الإسلام، وقد عرض للأزمة ببيان الانقسام الكبير بين نفر من مثقفينا في القرن الأخير وبين الإسلام كموجه ومنطلق ومرجعية عليا لعقائد وأفكار وثقافة المسلمين ومنهاج شامل في ضبط أفعالهم وتنظيم حياتهم على عكس ما كانت عليه حياتهم قبل نحو قرن من الزمان في عصور الضعف والانحطاط أو في عصور النهضة والقوة والازدهار مع اختلاف المذاهب وتباين الاتجاهات حيث «كان كل فريق حريصاً على أن يصوغ مواقفه وآراءه في ضوء تلك الأصول والقواعد الإسلامية ولم يكن في ذلك شك أو نقاش»<sup>(١)</sup>، «حتى الفلسفات المنحرفة والآراء الباطنية الملحدة والتيارات الصوفية الاتحادية الحلولية الإشراكية الضالة، لم تكن تستطيع الظهور والتقدم في مظاهر الحياة المختلفة دون الاعتماد على تأويل الآيات والأحاديث، كي تسند مواقفها وآراءها واتجاهاتها»<sup>(٢)</sup>.

(١) أزمة المثقفين تجاه الإسلام – دار الصحوة بالقاهرة – الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ –

١٩٨٤ م) ص ٦

(٢) السابق ص ٦ .

## ( ٢ ) - فى أزمة المثقفين تجاه الإسلام مثقفون ومثقفون !!

- وليس من شك أن ثمة نوعين من المثقفين المستلبين ثقافيا وحضاريا الأول منهما « أضله الله على علم » فهم بتقييم الأستاذ فهى هويدى : الذين يكرهون أمتهم وتاريخهم ( الأهرام ١٨ / ٨ / ١٩٩٨ ) وهم بتقييم حكيم الأمة وشاعر الإسلام الدكتور إقبال « أشباه الرجال ولا رجال » ينكرون أنفسهم ويؤمنون بغيرهم؛ بينى الأجنب من ترايهم الإسلامى كنائس وأديارا ... » (١) وهذا الفريق من المثقفين فى أغلبهم من فلول الماركسيين أو العلمانيين الماديين ممن تربوا على مائدة الإلحاد وخلايا التنظيمات الشيوعية والجمعيات الماسونية والذين اشتدت نعمتهم على الإسلام بعد خيبة أملهم فى الشيوعية وسقوط دولتها المركزية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى البائد، وعلت أصواتهم مع عصر الاستعلاء الصهيونى وهذا الصنف من المثقفين الماديين وبأل على الأمة وشر مستطير فى حياتها وقد أحسن بعض الحكام العرب والمسلمين فى منعهم من تولى الوظائف الإعلامية والتثقيفية التى تصوغ أو تؤثر فى رأى العام، أما النوع الثانى من المثقفين المستلبين فهو الذى أنبهر بثقافة الآخر واعتنق أفكار وفلسفات الغازى الغالب وثقافة القوى مفتونا بتقدمه ورقيه وقوته آملا أن يحقق لأمته التقدم والى الخلاص وفق ما يراه سبيلا للنهضة على هذا الدرب أوذاك دون أن يقف على ما لدى أمتة من مقومات القوة والنهضة والتقدم فى إطار مذهبيتها الإسلامية ومنهاجها الربانى، ولعل هذا الفريق الذى يعنيه الدكتور محسن عبد الحميد فى كتابه هذا والذى يدعوه إلى الحوار ويبدى أسفه عليه لأن من بين رجالات هذا الفريق نفر يضمنُ المخلصون بهم أن يبقوا فى الفريق المناوى لمنهاج

(١) انظر كتاب (مع إقبال - شاعر الوحدة الإسلامية) لصاحب المقالة - مكتبة النور -

بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٦م - ص ٣٩ .

النهضة الإسلامى وبناء الحضارة والتقدم وفق المذهبية الإسلامية ومرجعيتها العليا. يقول الدكتور محسن عبد الحميد وأقول معه «إننى أعترف هنا بأننى ينتابنى حزن عميق عندما أقرأ لكثير من الماركسيين المسلمين الأذكياء لأننى أجد عندهم طاقات فكرية كبيرة، لو صرفوها لخدمة الأهداف الإنسانية النبيلة التى يدعون إليها فى إطار الإسلام الحق، إذن لنهضت الأمة، وتوحدت الجهود والمنطلقات، وانتهى الطغيان وألحقنا جميعاً بعوامل الخمول والجمود التى عطلت مسيرتنا التاريخية هزيمة كبيرة» (١).

– وقد عدل عدد من المثقفين الشرفاء الكثير من مواقفهم وتوجيهاتهم بعد الدرس والمراجعة والتمحيص فجدوا فى أعين المخلصين وعلت منزلتهم فى الأمة وكان لهم فى نفوس الشعوب وقلوبها مكان ومكانة وفى طليعة هؤلاء الكبار المفكر الإسلامى خالد محمد خالد والأساتذة عادل حسين ومنير شفيق والفيلسوف رجاء جارودى وغيرهم عشرات بل مئات، وهذا شأن أصحاب النفوس الكبيرة والعقول النيرة والشخصيات العبقرية.

– يقول الدكتور محسن عبد الحميد: «إن جارودى عندما غير مسار حياته، وملاً الثغرات الخطيرة فى منهجه باعتناقه الإسلام، لم يتراجع عن إيمانه بالحرية وحبه للإنسانية ورفضه للعنصرية ولم يتخل عن عشقه للعدل الاجتماعى وانحيازه الكامل للمسحوقين فى المجتمعات البشرية، ولكنه تراجع وتخلى فقط عن التفسير الإلحادى الماركسى للتاريخ ثم عن المنهج الخاطئ، منهج التلفيق والدمج» (٢) «ويضيف الأستاذ الكريم مناشدته للماركسيين العرب العودة إلى حضن الإسلام كما فعل جارودى وإخوة لهم من قبل فيقول «فجدير بالماركسيين الذين ولدوا فى أسر مسلمة أن يعتنقوا الإسلام من جديد ولا أشك من خلال

---

(١) أزمة المثقفين تجاه الإسلام ص ٩٤.

رحم الله الأستاذ خالد محمد خالد الذى رجع عن أفكاره التى ضمنها كتاب (من هنا نبدأ) فى مرحلة النضج الفكرى بكتابه عن الدولة فى الإسلام ليؤكد فيه أن الإسلام دين ودولة مخالفاً بذلك آراءه فى كتابه الأول.

(٢) السابق ص ٩٤.

دراستى المتواضعة للإسلام، أنهم إن فعلوا ذلك فلن يحتاجوا للتنازل عن آمالهم وآلامهم ونضالهم فى سبيل إنقاذ مجتمعاتهم والإنسانية جميعاً، بل يزدادون عند ذلك قوة إذ سيضيفون إلى قوتهم الفكرية البشرية قوة الروح الإلهية التى ستوقفهم على أرضية الإسلام المشترك من حيث هو دين الله الخالد وعقيدة الأمة وأملها فى إنقاذها من التلكؤ الحضارى الذى وجدت نفسها فيه» (١).

● وما يؤسف له ويحزن له المخلصون من أبناء هذه الأمة أن نجد من بيننا هذا الفريق من المستلبين المحسوبين على مثقفينا الموجودين فى مناخ الفتن الداخلية فى بعض بلداننا العربية والإسلامية يصيدون فى الماء العكر ويلبسون ثوب الناصحين كما (برز الثعلب يوماً - فى ثياب الواعظينا، فمشى فى الأرض يهدى وپسب الماكرينا) بتعبير أمير الشعراء .

- ويقدمون النصح الذى يؤجج أوار الفتن ويطيلها ويشعل الحروب الأهلية مما ينسجم مع مذهبية هذا الصنف من الثقافة المادية الماركسية التى تؤجج نار الحقد الطبقي وتثير الفتن والصراع بين أفراد الأمة الواحدة، وهم فى تلك المناخات أشبه بالدب الذى يقتل صاحبه !! .

- والعجيب أن تجد هذا النوع من الموتورين وقد استخدمتهم واستكبتهم بعض القوى المهيمنة فى كبرى الصحف للتشويش على مشروع الأمة الحضارى « فى مواجهة قوى الاستعمار والاستكبار الجديد فى الهيمنة والاحتواء على مقدرات الأمم والحيلولة دون وحدتها ونهضتها لتبقى أمة الإسلام ممزقة مستلبة فيما تتوحد الأمم الأخرى على ضعف ما بينها من صلات وكثرة ما بين شعوبها من مواريث الحروب والأحقاد وتعدد اللغات كما هو واضح فى الوحدة الأوربية فما أحرانا نحن المسلمين أن نتآلف ونتضامن ونتوحد تحت راية العربية والإسلام لنقيم ما أعوج من حالنا وما ذهب من قوتنا جراء الفرقة والتشردم، ولدينا كل عوامل النهضة والقوة والازدهار، وما أحوج العالم اليوم لجهود أمة التوحيد فى

الارتقاء بحضارته ودعمها على طريق العدل والحرية وتحقيق إنسانية الإنسان  
بأكمل المبادئ وأكرم الأخلاق وأنبل المثل ليعم الخير والسلام على ظهر هذه  
البيسطة ولينجو كوكبنا من الشرور التي تتربص به جراء سيادة قيم الثقافة المادية  
الاستهلاكية وعبادة القوة وعملة السيد الأوربي والأمريكي بقيادة مراكز التحكم  
الصهيونية في المال والإعلام والقرار في قوى الهيمنة العالمية فضلاً عن كراهيتها  
المتأصلة للإسلام ولنبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه، برغم ما بسطه الإسلام  
على اليهود في مختلف مراحل التاريخ من جناح الحماية والرحمة وإنقاذهم من  
اضطهاد الدول المسيحية في اسبانيا وأوربا ومختلف بقاع العالم، وها هم أولاء  
يردون الجميل للعرب والمسلمين باحتلال أرضهم ونهب خيراتهم والتآمر على  
وجودهم وثقافتهم واستخدام أخط الوسائل في تأليب الأحزاب وتوجيه الطعنات  
إلى الشعوب والأمة الإسلامية وتشويه العقيدة والشريعة والسيرة النبوية  
ومحاولات الإساءة إلى القرآن الكريم وبث الفرقة بين الإسلام وإشعال نار الفتنة  
والحروب بين أبناء الأمة الإسلامية وبين شعوب الإسلام وغيرها من الشعوب.

\* \* \*

### ( ٣ ) - فى أسباب أزمة المثقفين تجاه الإسلام

• وفى تشخيص لأزمة المثقفين تجاه الإسلام ذهب الدكتور محسن عبد الحميد فى الفصل الأول من الباب الأول لعرض العوامل الداخلية فى أسباب الأزمة ومنها ما أصاب الروح الإسلامية والمذهبية الإسلامية بتعبيره بالجمود والجمود الذى تمثل فى ابتعاد الأمة عن تلك الروح الموجهة لنشاط الأمة فى مجالات الحياة المختلفة وانعكس ذلك على علم الكلام الذى أدى دوره فى مناخ ثقافى وحضارى معين « ولم يدرك علماء الإسلام فى القرون الأخيرة طبيعة الظروف التى ظهر فيها علم الكلام القديم وظلوا ينظرون إلى موضوعاته ومصطلحاته نظرة تقديس » (١).

- وكذلك الحال فى الفقه والتفسير والعلوم والتصوف الذى بدأ فى حضانة الإسلام تربية إيمانية للنفس وتركيتها على مقام الإحسان ( أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) والسعى لحمل النفس على طاعة الله والاستعلاء على عبادة الشيطان والنفس والهوى وإلزامها سلوك الأنبياء والصالحين وإصلاح الحياة بمنهج الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والوقوف أمام المظالم وإخلاص النصيح لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، ليستحيل التصوف فى العصور المتأخرة إلى طقوس ورموز وفلسفات باطلة وموجة اعتلاها الدجالون والجاهلون والمنحرفون والطامعون مما يزرى بكرامة الإنسان المسلم ويشوه مبادئ الإسلام وانتهى الأمر بهؤلاء الأدعياء أن « غدوا أداة بأيدي الظالمين والمستغلين من حكام المسلمين والمستعمرين، يؤيدونهم فى مخالفتهم لشريعة الله وبياركون لهم إذلال المسلمين واستغلالهم ويقاومون من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من العلماء الناصحين والصلحاء والزاهدين والمشايخ الصادقين » (٢).

• لا جرم أن هذا السبب من العوامل الداخلية فى أزمة المثقفين من أبناء

(٢) السابق: ص ١٦ .

(١) السابق ص ٩ .

الأمة تجاه الإسلام بالذات هو ما أفرز المردة من شياطين الشيوعية الساقطة وألد أعداء المشروع الحضارى الإسلامى فى النهضة والإصلاح، الأمر الذى حفز كاتباً كبيراً مسكوناً بهم العام للأمة وأوطانها ومشروع نهضتها وإصلاحها وهو الأستاذ فهمى هويدى إلى القول « أفهم أن يكون للبعض حساسية أو خصومه » إزاء الدين لسبب أو لآخر، لكن الذى أستغربه حقاً أن يكره المرء تاريخه وذاته، وأن يعبر فى كل مناسبة عن بغضه ونفوره من قومه، وعن الحسرة والأسى لأنه لا يستطيع أن يغير جلده ، الأمر الذى يدعوننا إلى التساؤل : لماذا يكره هؤلاء أمتهم إلى ذلك الحد؛ يكرهوننا لا بأس ولا يضير، لكن يكرهون ذاتهم وأمتهم. لماذا !!؟<sup>(١)</sup>.

– وقد سطر الكاتب الكبير بيراة المثقب جملة من مقالاته فى صحيفة ( الأهرام ) فى الشأن الثقافى وغرائبه وقد دفعه لكتابه بعض تلك المقالات نموذج من المستخدمين فى التشويش وتشويه مشروع النهضة الإسلامية والصحوة الإسلامية التى تفرغ أعداء الإسلام والقوى المتربصة بيقظة الأمة وقوتها وازدهارها، وكتابات مثل هذا النموذج وشرذمته المحتواة فى بعض الصحف الكبرى نماذج من الأدب القبيح الذى يفيض بالمغالطة والاستعلاء الجاهل والجرأة على ثوابت الأمة فى الغزل الصريح وغير الصريح فى مشروع التنوير الماركسى أو الأوربى والصهيونى، ولذا لا تجد فى كتابتهم أى تناول للمقدسات الإسلامية المهددة والأخطار الماثلة للمشروع الصهيونى وطموحاته بله أن يكونوا من دعاة السلام الصهيونى والاستيطان الصهيونى – صليبي فلسطين والبلاد المحيطة بها فى قلب الوطن العربى والعالم الإسلامى .

– وفى تفسير تلك الحالة لذلك النموذج المستلب الكاره لأمته وحضارتها وثقافتها يقدم الدكتور محسن عبد الحميد التصوف المنحرف وأدعياءه الذين ارتموا فى أحضان القوى المهيمنة المعادية للإسلام من الغزاة

---

(١) « الأهرام » الذين يكرهون أمتهم وتاريخهم – فى – ٢٥ / ٨ / ١٩٩٨ م .

المستكبرين ورجالهم المتعاونين معهم والمؤتمرين بأمرهم فى ديار الإسلام، الأمر الذى قدم الإسلام وثقافته لأبنائه المتطلعين إلى التقدم والنهضة وأعدائه المتخصصين فى أبشع صورة وفى المقابل لبست حضارة الغرب الأوربى ثياب الأناقة والقوة والتقدم.

– وفى هذا يقول الدكتور محسن عبد الحميد مع الإشارة إلى المنحرفين بالتصوف المتاجرين بالدين على الجهلاء والعامّة لصالح الأعداء فى الداخل والخارج « وهكذا تحول هؤلاء مع بداية احتكاكنا بالحضارة الغربية إلى أسوأ صورة للإسلام يُبغضونه إلى الجيل الجديد من خلال طغيانهم واستغلالهم وسلوكهم المنحرف ذلك لأن كثيراً من أبناء الجيل الجديد لما رأوا فى هؤلاء فى واقعهم وجهلهم وسوء تمثيلهم للإسلام تمردوا عليه وابتعدوا عنه ورأوه بعيداً عن آمالهم وآلامهم وصراعات حياتهم وواقعهم الإنسانى السئ، ولم ينبج من هذه الكارثة حتى أولاد الطواغيت الذين عبدتهم أتباعهم من دون الله، فرأينا بأم أعيننا الملاحدة أو الفساق الذين كانوا يقضون الليالى الحمراء فى حانات المدن الكبيرة، وانضم إليهم الكثير منهم إلى الجماعات المادية والأحزاب العلمانية وعادوا الإسلام الذى استغله آباؤهم، وبسببه عاشوا فى الحياة الدنيوية الفاجرة» (١).

● كما عرض كاتبنا المفكر الدكتور محسن عبد الحميد لمظاهر الجمود والركود العقلى الذى أصاب الفقه والتفسير والعلوم والحضارة والعمران الذى انتهى بالأمّة إلى التخلف والجهل فقال « ثم تنام حضارياً لتجد نفسها بعد قرون أمام الحضارة الغربية الحديثة بقضاياها الإنسانية وروحها العلمية ومخترعاتها الصناعية وتنظيماتها العمرانية، فيقع جمع كبير من متعلمى الأمّة فى الفخ فيظنون أنهم أمام عالم جديد ومنهج جيد وثقافة جديدة، تتجلى فيها القوة والإنجازات الهائلة فيقعون مصروعين مبهورين يشعرون بعقدة نقص عظيم

(١) السابق ص ١٦ .

ويعبرون عن هزيمتهم الداخلية باندفاع شديد نحو الحضارة الغربية، فيستسلمون إليها في خشوع دون وقفة تأمل أو مراجعة حساب.

- ثم ينتقل بنا مفكرنا الإسلامى فى الفصل الثانى من الباب الأول ليحلل الواقع الإسلامى الذى كرس حالة الضعف والخمود والجمود مما ساهم فى تعميق الأزمة الثقافية تجاه الإسلام وأفرز المثقفين المستلبين من العلمانيين والماديين والملحدين، ويعرض فى هذا المجال واقع الحكام والإدارة السياسية ثم يعرض لواقع العلماء ثم واقع العامة، وكيف آلت أحوال تلك الفئات إلى المناخ الذى أضعف الأمة وقدمها لقمة سائغة للقوى الناهضة المتقدمة وآل بها للاستسلام للحضارة الغازية بجيوشها وأطماعها وتقدمها العلمى والحضارى مما فتن بعض أبناء الأمة ومثقفىها للارتقاء فى أحضان الثقافة الغازية وانبهارهم بها إلى حد الافتتان والدعوة للسير على خطاها فى حلوها ومرها وخيرها وشرها وما يستحب منها وما يستكره وما يحمد فيها وما يعاب، كما عبر عن ذلك الدكتور طه حسين فى بعض كتبه.

- ويفرد الدكتور محسن عبد الحميد فى تشخيصه لأسباب الأزمة الثقافية تجاه الإسلام فصله الثالث من الباب الأول من كتابه (أزمة المثقفين تجاه الإسلام) للعوامل الخارجية ومنها الاستشراق والمؤسسات الثقافية الاستعمارية والاحتكاك الطبيعى بالحضارة الغربية وغير ذلك، ويخصص الباب الثانى من الكتاب لمظاهر الأزمة، ويجعل فصله الأول عن الجهل، جهل تلك الفئة من المثقفين بالنظرة الإسلامية للكون والإنسان والحياة، وجهلهم بعظمة التشريع الإسلامى وراثته وجهلهم بقيم الإسلام ومثله وأخلاقه وجهلهم بعظمة الحضارة الإسلامية وعطائنها العبقري وارتقاء بالإنسان والعلوم والفنون، كما جهلوا قدر الرسول والرسالة ولم يقتربوا من شخص الرسول الكريم ﷺ ويتعرفوا سيرته وعظمته وأثره فى الحياة والوجود وتعلق قلوب ملايين الملايين من البشر به كنبى ورسول وإنسان كامل، الأمر الذى انتهى إليه كل دارس منصف من الباحثين المنصفين بشهادات الأوربيين

الغربيين أنفسهم مثل برناردشو والشاعر الألماني جوته والباحث الأمريكي مايكل هارت الذى ألف كتابه عن أعظم مائة شخصية فى التاريخ وهو كتاب ( الخالدون مائة أعظمهم محمد ) ﷺ ويضع النبى ﷺ على رأس أعظم مائة شخصية أثرت فى تاريخ البشرية واتسم تأثيرها بالاستمرار والعمق والشمول، كما يقول الدكتور محسن عبد الحميد عن جهل هؤلاء المثقفين المستلبين والمهزومين حضارياً أمام ثقافة الغازى المستكبر إنهم: « جهلوا أسباب تقدم المسلمين فى التاريخ وأسباب تأخرهم، لم يعرفوا شيئاً عن القوى التى حاربتهم والمؤامرات التى نسجت عبر التاريخ للقضاء عليهم » ويمضى فيقول « أى أن مَنْ تحولوا إلى من نسميهم « المثقفين » عندما واجهوا الغرب وحضارته وعلمه وأدبه وفنه وواقعه لم يواجهوه إلا وعقولهم خاوية، وقلوبهم فارغة، ونفوسهم مجردة عن معانى الأصالة والعزة والأنفة والشخصية المستقلة؛ ولذلك فإنهم لم يواجهوا الحضارة الحاضرة مواجهة مدركة فاحصة مراجعة مقومة» (١).

● وفى الفصل الثانى يعرض الدكتور محسن عبد الحميد للنظرة التراثية إلى الإسلام والتى ينطق بها جيش ثقافة الردة الحضارية وجنود الغزو الثقافى من أعضاء حزب نابليون والحلف (الصهيو - أمريكى) ومؤداها أن الإسلام تراث نهض بالعرب فى حقبة تاريخية معينة وأن النبى بطل قومى عربى نهض بأمتة وحررها من ظلم الامبراطوريتين الفارسية والرومانية، « ولقد ركز هذه الفكرة فى نفوس طائفة من المثقفين المسلمين نصارى العرب، لا سيما خريجو مدرسة الإساليات الأجنبية وأبرزها الجامعة الأمريكية فى بيروت، قَصَدَ الوصول إلى هدم الرسالة الإسلامية، من حيث هى الرسالة السماوية وربطها بمرحلة تاريخية معينة فى حياة العرب انتهت ومضت وتحولت إلى تراث قومى للأمة العربية مسلمين ونصارى معاً» (٢).

- وتلك النظرة التراثية للإسلام ورسالته وحضارته التى قادها نصارى الشام من خريجى الجامعة الأمريكية والمدارس اليسوعية هى التى قادت الدعوة القومية

(٢) السابق ص ٥٧ .

(١) السابق ص ٥٠ .

العربية بمفهومها العلماني في مقابل الدعوة الطورانية ( القومية التركية ) وهما الدعوتان اللتان تقف وراءهما القوى الاستعمارية والصهيونية والتي تمخضتا عن ضرب الأتراك بالعرب والعرب بالأتراك وهزيمة الأمتين العربية والتركية واستعمارهما وغرس الكيان السرطاني الأوربي الصهيوني في جسم الأمة العربية وقلب العالم الإسلامي ليهدد وحدتها ونهضتها وتقدمها وازدهارها ورسالتها في الحياة والمساهمة في بناء الحضارة العالمية على نهج قيم الثقافة الإسلامية والإسلام العظيم، ويذكر الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه بداية التوجه القومي وكيف طوره دعاة القومية من نصارى الشام إلى الوجهة المعادية للإسلام فيذكر ما قاله الدكتور ألبرت حوراني في كتابه ( الفكر العربي في عصر النهضة ) : « فقد أدت محاولة صياغة مبادئ المجتمع الإسلامي صياغة جديدة إلى فكرة مجتمع قومي علماني يكون فيه الإسلام مقبولاً ومحترماً لا بل مساعداً على شد الروابط العاطفية بين المواطنين دون أن يكون مصدراً لقواعد الشريعة والسياسة إلا أن الكتاب المسيحيين لم يكتفوا بهذا القدر، بل دفعوا الفكرة إلى اتجاه مختلف» (١).

– ويعرض كاتبنا المفكر لأبرز المجالات التي قادت التوجه القومي العلمي من نصارى لبنان والمدارس اليسوعية والجامعة الأمريكية ومنها مجلة «الجنان» (١٨٨٠ – ١٨٨٦م) أصدرها بطرس البستاني في لبنان ومجلة (المقتطف) التي أنشأها (١٨٧٦) معلمان نصرانيان في بيروت وفي الكلية البروتستانتية السورية هما ويعقوب صروف وفارس نمر اللذين انتقلا إلى القاهرة (١٨٨٥م) ومجلة (الهلال) التي أصدرها ١٨٩٢ جورجى زيدان الذى تلقى علومه فى الكلية البروتستانتية لسوريه، ويذكر الدكتور محسن عبد الحميد من أبرز الذين نشروا تلك الأفكار فرنسيس مراهشى (١٨٣٦ – ١٨٧٣ م) وكان طبيباً له قصة رمزية بعنوان ( غاية الحق ) أودع فيها أفكاره العلمانية.

٢ – شبل شمیل (١٨٥٠ – ١٩١٧) وهو كاتب نصراني سوري تخرج من

(١) السابق ص ١٣ .

المدرسة البروستانتينية الإنجليزية، قضى حياته فى الدعوة إلى ثقافة علمانية تبني على العلوم الطبيعية فقط ويعد عنها الإسلام نهائياً وتفصل الدولة عنه .

٣ - وفرح أنطون ( ١٨٧٤ - ١٩٢٢ ) الذى أشرف على تحرير عدد من المجلات العربية التى استغلها لنشر أفكاره العلمانية الأوربية المحاربة للدين وكتابه ( ابن رشد ) تضمن دعوته الصريحة للعلمانية الأوربية الداعية لفصل الدين عن العلم والدين عن الدولة وطعن فى الإسلام مما حمل الإمام محمد عبده للرد عليه فى كتابه « الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية »، ومن جنود تلك الهجمة الاستعمارية التى استترت بستار الفكر والنهضة والتقدم الكاتب المارونى خليل الغانم ونجيب عازورى الكاثوليكى السورى وقسطنطين زريق المسيحى الأرثوذكسى وأدمون رباط المسيحى الكاثوليكى الحلبى، وكان من نتاج دعوة هؤلاء تكريس مبدأ العلمانية بالمفهوم الأوربى ومحاربه الدعوة الإسلامية، يقول الدكتور محسن عبد الحميد : « وهكذا توصل كتاب ومفكرو النصرارى عبر قنوات موصولة بالمؤسسات الصليبية السرية والعلنية، ومن خلال توجيهات السفارات الأجنبية فى البلاد الإسلامية إلى ما أرادوا وهدفوا إليهم من نظريتهم التراثية هذه للإسلام، إذ تبنى هذا الاتجاه مثقفون مسلمون وجمعيات ثقافية وأحزاب سياسية ودول قامت بتحويل النظرية إلى واقع فى التربية والتعليم والإعلام والمؤسسات الثقافية المتنوعة فتربى تيار كبير فى أجيالنا الصاعدة . فى الثلاثين سنة الأخيرة من حياتنا الحاضرة على هذا الاتجاه التراثى فى النظر إلى الإسلام ».

- وهكذا حققت الصليبية الصهيونية ما لم تفلح الحملات العسكرية فى العصور الوسيطة والحديثة فى تحقيقه وبلوغه فى أمة العرب والمسلمين دون ضرب ولا حرب ونجحت وصية القديس لويس التاسع بعد هزيمته فى المنصورة بمصر بعد حملته الصليبية الفاشلة ودعوته لاستخدام الكلمة بدلاً من السيف حتى لا يثير نائرة الشعوب الإسلامية ويبلغ فيها ما لا يقوى على بلوغه بالقوة المسلحة .

## (٤) - فى علاج أزمة المثقفين المستلبين

- ولكن بعد حركة اليقظة الوطنية الإسلامية والكفاح فى سبيل الاستقلال والحرية والتنمية الحضارية للشعوب الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى وعبرَ القرن العشرين تهافتت الكثير من القيم والأفكار الغازية والنظريات المادية واستوعبت حركة اليقظة العقلية الإسلامية والدعوة إلى التنمية المستقلة والمشروع الحضارى الإسلامى للنهوض بالأوطان والأمة العربية والإسلامية الكثير من شباب الأمة ورجالاتها فى مختلف المجالات مما قوض الفكر المادى ووجه أقوى الضربات لرموزه وأحلامه وطموحاته فى بلادنا وأوطاننا العربية والإسلامية، الأمر الذى أفقد أعداء الإسلام والقوى المتربصه للأمة الرشد فصاروا يتخبطون كحاطب ليل ويرمون رجالات المشروع الإسلامى بالحجارة ولم تعد تلك القوى تتجمل فى حربها ضد رموز الوعى الحضارة الإسلامى فى الإعلام والجامعة والنقابات وفى نسيج الشعوب الإسلامية المتعطشة لدينها المحبة لنبينا وثقافتها والتى لا يمكن سياستها والتقدم بها واقتحام المخاطر والتحديات إلا بالتفافها وتأييدها فى ظل الإسلام الذى هو حصن الأمة الحصين الذى لا تتحقق الانتصارات والتغلب على أعنى التحديات إلا تحت رايته المرفوعة المرفرفة بالتوحيد والحق والقوة والحرية .

- وهذا ما عرض له بصورة إجرائية الدكتور محسن عبد الحميد فى علاجه لمشكلة الأزمة الثقافية لبعض مثقفينا المستلبين بعدما تناول بعض تجليات أزمة المثقفين وتمثلها فى النظرة التراثية للإسلام والتلفيق والإلحاد فى فصول تالية من الباب الثانى، ويأتى علاج الأزمة الثقافية دعوة وشرح لإعادة النظر فى العلوم الإسلامية فى الفصل الأول من الباب الثالث وأسلمة العلوم الإنسانية فى الباب الثانى حتى تُقدّم النظريات الفلسفية والتربوية والنفسية والاجتماعية فى إطار نقدى وفى سياقاتها العقيدية والتاريخية، لا أن تقدم أفكار ماركس ودور كايم

ورسو وفرويد وغيرهم كأنها مسلمات وحقائق يقينية، وفي الفصل الثالث من هذا الباب يعرض كاتبنا المفكر لواقع المسلمين ليلفتنا إلى أهمية وعى الشعوب ودورها البناء في تقويم الإدارة والنصح لأولى الأمر مما يترتب عليه انسجام وعى الولاة والرعية، فلا يطغى طرف على آخر بل يتعاونان في النهضة بالأمة وتقدمها وانتصارها في معارك الدعوة والفكر والتنمية والبناء، وهذا ما تم في عصر الراشدين والولاة الصالحين المنتصرين عبر التاريخ، ولذا نرى أستاذنا يتساءل فيقول: «هل يمكن أن يحدث كل هذا، ويعود المجتمع الإسلامى مجتمعاً موحداً ربانياً تعاونياً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى؟! ويجيب فيقول «أقول: نعم يمكن ذلك إذا عرف المسلمون كيف يبدأون العلاج؟» (١).

– ويرى كاتبنا المفكر أن علاج النهضة بواقع المسلمين ممكن بالتربية والوعى ولا بد أن يبدأ العلاج من القاعدة؛ لأن: «البشر غير الواعين وغير المدركين الذين لا تربطهم عقيدة ولا مبدأ موحد ولا يشعرون بآدميتهم هم الذين يصنعون الطغاة عبر التاريخ الإنسانى» ويمضى فيقول: «إن الطغاة لا يولدون من بطون أمهاتهم طغاة وجبايرة» ويوضح ذلك فيقول: «كان من المستحيل أن يرشح أبو سفيان نفسه فى سقيفة بنى ساعدة بعد وفاة رسول الله ﷺ» (٢).

– وتتابع أفكار الباحث الكبير فى اقتراح وسائل العلاج فى مجال الاستفادة من الاستشراق لتجنب سلبياته وأغراضه الخبيثة والاستفادة بإمكاناته وإيجابياته وكذلك الحال مع قيم الثقافة الغربية وعطائها المفيد الذى يحول بيننا وبينه حيث أوجب علينا الإسلام الاستفادة من كل نافع مفيد من العلوم والأفكار من شتى أرجاء الأرض وجعل الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها؛ لأنه سيد الكون وشاهد على الناس ورائدهم إلى طريق الحق والخير والجمال فى الدنيا ودليلهم إلى طريق الفوز والنجاة فى الآخرة؛ ولذا فهو أولى بكل جميل

(١) السابق ص ١٢٤.

(٢) السابق ص ١٢٥.

وجليل فى هذا الكون لتحلو الحياة بنوره وإيمانه وعلمه وريادته الرشيدة ويؤكد على ضرورة الإصلاح التربوى من خلال التعليم ومقررات التربية وضرورة انطلاق الفلسفة التربوية من قيم المجتمع ومذهبيته الإسلامية ومشروعياته العليا مع الانفتاح على المفيد النافع من أساليب الأمم الأخرى وثقافتها ما لم يتعارض مع مذهبنا التربوى الذى تُبنى عليه فلسفتنا التربوية، وقد عرض الرجل لآرائه فى الإصلاح التعليمى فى واقع التربية والتعليم فى مختلف المراحل التعليمية وما ينبغى أن يتوفر للعملية التعليمية فيها من قيم وغايات ووسائل، كما عرَّجَ على إصلاح هيئات الدعوة والشعون الإسلامية ووقف أمام وزارات الثقافة والإعلام ودورها اللازم فى الدعوة للمشروع الحضارى للأمة ومواجهة الاختراق الثقافى وفرض ثقافة الآخر القوى الغالب تحت أى ظرف من الظروف واقترح أشكالاً من المواد الإعلامية المذاعة والمرئية والمكتوبة والممثلة للنهوض بالمادة الإعلامية والثقافية عن طريق معالجة أزمة المثقفين والافتتان بالثقافات الغازية ببرىق الحضارة المادية وقيمتها الاستهلاكية ومضامينها الإباحية الشريرة.

– وبعد فما أحوجنا إلى وقفة نلم بها شعثنا ونوحد فيها جهودنا ونحشد بها طاقاتنا ونتملى فيها معالم الحسن وطاقات الأمل فى أمتنا ليضع رجال الأمة شيبا وشباناً أيديهم المتشابكة على مناط القوة فى هذه الأمة فى حوار خلاق وبناء لتوحيد الصفوف ومواجهة الأخطار لأن الأمة باتت مع الأخطار المحدقة عرضة للزوال، فإما نكون أو لا نكون، والأمر كما قال الكاتب القدير الأستاذ فهمى هويدى لم يعد إسلامياً وعلماً وإنما صار التمييز بين وطنى وغير وطنى !! .

● ويبقى أن ننبه إلى هذا الجهد العبقرى الذى بذله المفكر الإسلامى الدكتور محسن عبد الحميد فى دارسته القيمة هذه عن أمة المثقفين المستلبين المحسوبين على أمتهم الإسلامية، ونشكر للرجل هذا التناول المخلص للأزمة تشخيصاً ووصفاً وعلاجاً، مما ينم عن إدراك واسع للقضية التى تصدى لها باقتدار ومهارة فى أسلوب مشرف وبيان ناصع وتناول بديع.

– وللرجل فيما قبل هذه الدراسة المنشورة في كتاب عن دار الصحوة في القاهرة في طبعتها الأولى سنة (١٤٠٥ هـ – الموافق ١٩٨٤ م) مؤلفات كثيرة فضلا عن رسائل وبحوث ومشكلات متنوعة في الفكر الإسلامي الحديث، منشورة ضمن «السلسلة البيضاء» والمجلات الإسلامية في العالم الإسلامي؛ ومن آثاره ومؤلفاته:-

- ١ – حقيقة البابية والبهائية المنشورة طبعته الرابعة في بغداد ١٤٠٠ هـ .
  - ٢ – الألوسى مفسرا وهو أطروحته (للماجستير) المنشور في بغداد (١٣٨٩ هـ).
  - ٣ – الرازي مفسرا وهو أطروحته (للدكتوراه) نشر بغداد (١٣٩٤ هـ).
  - ٤ – دراسات في أصول تفسير القرآن المنشورة طبعتها الثانية في الدار البيضاء سنة (١٤٠٤ هـ) .
  - ٥ – نظرات في الاقتصاد الإسلامي المنشور في كتيب في بغداد (١٣٩٩ هـ).
  - ٦ – جمال الدين الأفغانى المصلح المفترى عليه (بيروت ١٤٠٣ هـ) .
  - ٧ – منهاج التغيير الاجتماعى فى الإسلام (المنشور فى بيروت ١٤٠٣ هـ) .
  - ٨ – المذهبية الإسلامية والتغيير الحضارى (المنشور فى الدوحة ١٤٠٤ هـ) .
- وبعد فما أحرانا أن نمد أيدينا لمصافحة أبناء أمتنا على طريق الكلمة السواء بعيدا عن سوء الظن وتبادل الاتهامات حتى لا نجعل لخصوم أمتنا ونهضتنا مكانا بيننا ونرى فريقا منا يلقون إليهم بالموذبة يبتغون عندهم العزة .
- ﴿ وَاللّٰهُ الْعَزِيزُ الرَّسُوْلُ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴾ [المنافقون: ٨]
- صدق الله العظيم

## شعراء وقصائد

- مع ذكرى الإسراء والمعراج: أشعار وآلام وآمال .
- معجزة الإسراء والمعراج فى عيون الشعر العربى
- قصيدة إقبال (فى صقلية) .
- نظمها شعراً بالعربية الأستاذ عبد العليم القبانى
- الشاعر الطبيب العلامة الدكتور عمر الجارم
- وقصيدته (نعمة القرآن) .
- مع الشاعر الحكيم الدكتور محمد إقبال
- وقصيدته (حديث الروح) .
- بنظم وشاعرية الشاعر الشيخ الصاوى على
- شعلان .



## الفصل الأول مع ذكرى الإسراء والمعراج أشعار وآلام وآمال

● فى ليلة السابع والعشرين من رجب تعاودنا ذكرى معجزة الإسراء والمعراج وتلح على أبناء أمة التوحيد أن أفيقوا واستيقظوا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، ولقد صدت قريش عن دعوة الحق وأوقعت بالنبى مختلف صنوف العذاب ولم يهون عليه سوى إصراره على تبليغ كلمة الله حتى لو واجه العالم بأسره، ووضعوا الشمس فى يمينه والقمر فى يساره على أن يترك كلمة الله ورسالته إلى بنى الإنسان، وكان دعم الزوجة الصالحة السيدة خديجة أم المؤمنين ومن ورائها رهطها الصالح وعمه صلوات الله وسلامه عليه أبو طالب بن عبد المطلب... ولكن ماذا تراه صانعا وقد توفى النصيران المهيبان المحبان المخلصان فى عام عرف بعام الحزن؟! الأفق من حوله - ﷺ - تلبد بالغيوم، غيوم اليأس والصد عن سبيل الله وبخاصة عقب عودته من الطائف وقد ساومه كبارؤها على مبدأ العقيدة لدنيا يطمعون فيها ولا يُسمح للنبى - صلوات الله عليه - بالعودة إلى مكة إلا فى جوار مشرك من مشركى مكة!! أو هكذا يكون شأن النبى؟! ويضرع - صلوات الله وسلامه عليه - إلى ربه الرؤوف الرحيم «اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى؟! إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟! إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى، غير أن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى سخطك أو ينزل بى غضبك... لك العتبى حتى ترضى».

ويهتز للضراعة النبوية عرش الرحمن وتضج الملائكة بالدعاء للقوى الرحيم المتكبر العزيز الجبار أن ينصر نبيه وأن يرق له ويعطف عليه وتتوالى البشائر ويجعل الله بعد العسر يسرا وتحقق معجزة الإسراء والمعراج حيث يربط الله على قلب نبيه ويريه من آيات ربه الكبرى ويرى بعين اليقين بشائر التأييد الإلهي لدعوته بتمام نعمته وكمال رسالته ثم ينطلق ويسير حتى يتم تبليغ كلمة الله ويبشر بفتح كنوز كسرى وقيصر وبلوغ كلمة التوحيد آفاق المعمورة في شرقه وغربه .

● يُسرى برسول الله إلى بيت المقدس ويصلى بالأنبياء في المسجد الأقصى ويُعرج به - صلوات الله وسلامه عليه - إلى سدره المنتهى ليصير من ربه قريبا ومكانة وإعزازا وتقديرا « قاب قوسين أو أدنى » ويريه ربه من آياته الكبرى لتأكيد ريادته ومكانته وإمارته للأنبياء وسيادة المرسلين وآخر رسل الله للبشر أجمعين بالحنيفية السمحاء، وتُفرض عليه الصلاة في أعلى عليين لتأكيد الدلالة الربانية التي ترمز إليها الصلاة في كونها صلة العبد بربه ومعراج المؤمن إلى الملكوت الأعلى بدون واسطة أو شريك ويعود النبي الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ولم يزل فراشه دافعا كما تحدثت بذلك عمته وقد قضى تلك الليلة المباركة في بيتها وتحقق المعجزة! وفي اليوم التالي يخبر الناس بما شاهد وحدث فيزداد المؤمنون الصادقون إيمانا ويُفتن ضعاف الإيمان فيرتد بعضهم عن دينه ويسخر الملأ من المتكبرين .

● والمعجزة أمر خارق لنواميس الطبيعة فلا مجال لحذلقة المتحذلقين الماديين للزعم بأن النبي - صلوات الله وسلامه عليه - قد حدث له ذلك مناما في رؤيا، ولو حدث ذلك لما كانت هناك معجزة ولما احتاج المكذبون لإنكارها ولما ارتد البعض، وتؤكد سورة الإسراء أن « الإسراء والمعراج » بشخص النبي روحا وجسدا فقال تعالى في التنزيل العزيز ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

البصير ﴿ [الإسراء: ١] حيث تفتتح السورة بالمصدر ﴿سُبْحَانَ﴾ للتنزيه المطلق لقدرة الله التي هي فوق الشك والتهم، وأسرى (بعده) تؤكد أن الإسراء والمعراج كان للنبي بشخصه روحا وجسدا، وفي تأكيد وقع الحدث على ضعاف الإيمان قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] ، وتؤكد سورة النجم رحلة المعراج حيث أعرج بالنبي من المسجد الأقصى إلى سدره المنتهى فيقول تبارك وتعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ \* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ \* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ \* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ \* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ \* فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ \* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ \* أَفَتُحَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ \* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ \* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَىٰ \* لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم: ١ - ١٨]

● وتفيض معجزة الإسراء والمعراج بالدروس والعبر التي يستلهم منها أبناء أمة الإسلام والملة السمحاء ما يبدد حيرتهم ويخرق أستار اليأس في دروب حياتهم التي تعج بالتحديات والصعاب المتجددة وتلفتهم إلى الآمال التي تولد في رحم الآلام ويجعل الله بعد عسر يسرا وليعز الله دينه وينطلق الموحدون يصوغون لبنى البشر عالما جديدا تسود فيه شريعة قوة الحق، ويدوق فيه الإنسان طعم الإنسانية الحقة والحرية الحقيقية.

● وينفعل الشعراء بالحدث المعجزة، الذي صار مقبولا عقليا بعد الإيمان به ديناً وعقيدة في ضوء الاكتشافات العلمية وإنجازات العقل الإنساني في مجال الفضاء والكواكب وعلوم الاتصال، ويسجل لنا تاريخ الأدب العربي في نصوصه الأدبية ما يتناسب ومكانة المعجزة، وما يليق بها من حفاوة في ضمير الشاعر المسلم وحسبنا وقفة مع أنموذجين فقط .

## معجزة الإسراء والمعراج فى عيون الشعر العربى

لقد كان تأثر الشاعر المسلم بمعجزة الإسراء والمعراج كبيرا، وظل يقين الإيمان بالمعجزة الإيمانية نابضا بالإبهار والإثارة والتشويق وطفق شعراء الأمة يتغنون بعظمتها ودلالاتها ويستلهمون قيم الحق والصبر والإيمان والطموح واليقين من أحداثها ومقدماتها وآثارها بحثا للتفاؤل والأمل ودفعاً لليأس والملل.

ومن أبرز الأمثلة الشعرية التى اشتملت على ذكر معجزة الإسراء والمعراج بين ثناياها قصيدة « البردة المباركة » للإمام محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجى المشهور بالبوصيرى نسبة إلى قرية بوصير من أعمال محافظة بنى سويف من قرى صعيد مصر (٦٠٨ هـ - ٦٩٥ هـ)، ومن بعد قصيدة (البردة) تأتى قصيدة (نهج البردة) لأمير الشعراء أحمد شوقى (١٨٦٩ م - ١٩٣٢)، وقصائد أخرى كثيرة لشعراء مبدعين فى مختلف العصور الأدبية وفى عصرنا الحديث فضلا عن شوقى كثيرون ممن نظموا القصائد المفردة فى تسجيل فجر الإسلام وضحاها وعصره وعظمة النبى صلوات الله وسلامه عليه - والإشادة بمعجزاته فى أدب العربية بخاصة وأدب اللغات الإسلامية بعامة وحسبنا الإشارة إلى معارضة البارودى للبردة وإلى الإلياذة الإسلامية للشاعر أحمد محرم.

ولكن يبقى لقصيدة البردة بريق خاص إذ ينظمها شاعرنا الإمام فى مائة وستين بيتا تقريبا على غرار قصائد الأدب العربى الغر الطوال مستفتحا إياها بذكر الأحبة وبث الشوق إلى الديار ثم ينتقل إلى تهذيب النفس وتربيتها على طاعة الله والتسامى على الرذيلة وطاعة الشيطان ويمضى متنقلا من فكرة إلى فكرة فيصف أخلاق النبى - صلوات الله وسلامه عليه - وفضله على جميع الأنبياء ومعجزاته وبشائر مولده وجهاده وهجرته وحفظ الله تعالى - إياه فى الغار ويقف

أمام معجزة القرآن معجزة النبي الشفاء الغراء ثم يقف وقفة خاصة أمام معجزة الإسراء والمعراج ثم يصف قوة الإسلام بنبيه - عليه الصلاة والسلام - ورجاله في شجاعتهم وفروسيتهم ثم يختم بعتاب النفس والندم على الذنوب والمعاصي راجيا شفاعة النبي - ﷺ :

إن آت ذنبا فما عهدى بمنتقض  
من النبي ولا حبلى بمنصرم  
فإن لى ذمة منه بتسميتى  
محمدا وهو أوفى الخلق بالذم

ويختم قصيدته العصماء ببعث الأمل فى رحمة الله وعفوه ومغفرته وبالذعاء الضارع والصلاة على النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ولقد كُتِبَ لقصيدة ( البردة ) الذبوع والانتشار وترجمت معانيها إلى كثير من اللغات الشرقية والغربية ونشط الكثير من كبار الشعراء لمعارضتها حفاوة لما فيها من بديع المعنى ورصين العبارة وجزيل اللفظ وصدق العاطفة وكذلك أقبل عليها بعض الزهاد والعباد يرددونها فى بيوت الله كبدعاء يضرعون به إلى الله - تعالى - رجاء تفريج الكربة وأملا فى شفاعة النبي المصطفى الكريم صاحب الشفاعة العظمى - صلوات الله وسلامه عليه ( ومطلع البردة ) :

أمنَ تَذَكُّرِ جِيرانِ بذي سلم  
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم  
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة  
وأومض البرق فى الظلماء من إضم  
فما لعينيك إن قلت اكففا هبتا  
وما لقلبك إن قلت استفق بهم

والاستهلال كما هو واضح ببيكاء الديار وذكر الأحبة وهو موجه إلى ديار الحبيب النبي - ﷺ - والأحبة محمد وصحبه وأهل بيته ومن المواضع المذكورة ( ذى سلم ) جبل شرقى المدينة المنورة . و( كاظمة ) اسم موضع بالمدينة ( إضم ) اسم الوادى الذى يضم المدينة المنورة، وهكذا نحن مع الإمام البوصيرى فى قصيدته ( البردة ) أمام شاعر عالم عابد يتدفق حبا للنبي ودينه وشريعته وأنصاره

وقد كان وراء قصيدته العصماء مبنى ومعنى تلك العاطفة المتفقة بحب الإسلام ونبي الإسلام - صلى الله عليه وآله وسلم - (و(صادق الحب يملئ صادق الكلم) كما عبر شوقي في (نهج البردة).

● ومن ثم يتضح الفرق بين الإمام في برده وشوقي أمير الشعراء في (نهج بردة) حيث تعكس قصيدة (نهج البردة) ثقافة شوقي وعصره وفنه وصنعتة كما عكست قصيدة البوصيري ثقافته وعلمه وصلاحه ودينه وورعه حتى أنه يتقرب إلى الله بشعره في حب النبي ﷺ ودينه وتخليد جهاده وزهده وينتصر لشريعته ويصلى عليه ويستشفع به ليرفع الله ما نزل به من ضر فيستجيب الله دعاءه ويرق لضراعتة فيكشف ما نزل به من ضر وسقم - وكان قد أُصيب بالفالج أو مرض الشلل كرامة لدينه وشرعه ومحبته الخالصة للنبي - ﷺ - وفي هذا يقول شوقي:

المادحون وأرباب الهوى تبع	لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مديحة فيك حب خالص وهوى	وصادق الحب يملئ صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه	من ذا يعارض صوب العارض العرم
وإنما أنا بعض الغابطين ومن	يغبط وليك لا يذم ولا يلتم

● وإذا كنا نسلم في مجال الدرس الأدبي والنقدي أن الأدب مرآة الحياة وأن الأديب أو الشاعر مرآة عصره فليس من العدل مقارنة قصيدة (نهج البردة) لأمير الشعر والشعراء وقد نظمها بعد (بردة) الإمام البوصيري بنحو سبعة قرون وإنما الإنصاف أن توضع كل قصيدة في سياق عصرها وثقافة مبدعها وبيئته وعصره ولا يمنع ذلك من التأكيد على زيادة البوصيري وقوة بنائه وتمكنه في مجال الفصاحة اللغوية والثقافة التاريخية والإسلامية والتأثر بالقرآن الكريم ويأتى مع ذلك ومن قبله ومن بعده قوة العاطفة والصدق الشعورى لدى البوصيري الأمر الذى جعل من البردة نصا دينيا وروحيا شفافا يدعو بها الداعون ويبتهل بها المبتهلون ويستشهد بدررها الكتابون

والناقدون، ثم يأتى نص أمير الشعراء لينبئ فى وضوح عن شاعر ملك ناصية البيان، وأحرز قصب السبق فى امتلاك ناحية الفن والصنعة، وتعكس قصيدة نهج البردة التى نظمها أمير الشعراء فى نحو مائة وتسعين بيتا عمق ثقافة الشاعر التاريخية والإسلامية والمعاصرة وامتيازه فى الصنعة وسلاسة التعبير وبراعة التصوير وهو يدرك ذلك ويذكره وإن كان يتواضع أمام ريادة صاحب البردة، يقول شوقى :

يزرى قريضى زهيرا حين أمدحه      ولا يقاس إلى جودى لدى هرم  
وتأتى قصيدة (نهج البردة) كما يدل عليها عنوانها معارضة للبردة فهى تطرق نفس المعانى وتبدأ بدايتها وتفوقها فنا وصنعة ومطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم      أحل سفك دمي فى الأشهر الحرم  
رمى القضاء بعينى جوذر أسدا      يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم

● وسيتضح امتياز شوقى فى الفن والصنعة بعد تقديم تصوير البوصيرى وتعبيره فى (بردته) المباركة عن معجزة الإسراء والمعراج. يقول البوصيرى فى (البردة) مخاطبا النبى ﷺ :

سريت من حرم ليلا إلى حرم      كما سرى البدر فى داج من الظلم  
وبت ترقى إلى أن نلت منزلة      من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم  
وقدمتك جميع الأنبياء بها      والرسل تقديم مخدوم على خُدم  
وأنت تخترق السبع الطبايق بهم      فى موكب كنت فيه صاحب العلم  
حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق      من الدنو ولا مرقى لمستنم  
خفضت كل مقام بالإضافة إذ      نُوديت بالرفع مثل المفرد العلم  
كيما تفوز بوصل أى مستتر      عن العيون وسرأى مكتتم  
فحزت كل فخار غير مشترك      وجزت كل مقام غير مزدحم  
وجل مقدار ما أوليت من رُتب      وعز أدراك ما أوليت من نعم

\* \* \*

(١٤ - للحق والنهضة والجمال)

وكاننا بالشاعر الإمام البوصيرى يصف عظمة الحدث وصفا مباشرا لما يراه أمامه بالفعل، أرأيت كيف أبدع الشاعر فى تصوير الحدث المعجزة عبر يقينه الإيمانى وشاعريته المؤمنة الفياضة؟!!

ويبقى وصف شوقى لمعجزة الإسراء والمعراج فى قصيدته ( نهج البردة ) فيقول :

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه	والرسل فى المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم	كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر	ومن يفز بحبيب الله يأتهم
جبت السموات أو ما فوقهن بهم	على منورة درية اللجم
ركوبة لك من عز ومن شرف	لا فى الجياد ولا فى الأينق الرسم
مشيئة الخالق البارى وصنعته	وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماء لا يطار لها	على جناح ولا يسعى على قدم
وقيل كل نبى عند رتبته	ويا محمد هذا العرش فاستلم

● أرأيت كيف برع شوقى فى التعبير المسلسل والتصوير الذى يفيض حركة وحيوية ( أسرى بك الله ) ولم يقل كما قال صاحب البردة ( سرية ) فكان أكثر توفيقا ثم انظر كيف برع فى رسم صورة احتفاء الملائكة والأنبياء بالنبي فى المسجد الأقصى، هذا هو النبي المضطهد فى مكة والذى ضرع إلى الله يشكو ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس إن الله يفتح له أبواب السموات والأرض ويطوى الأرض له طيا ويخرق الناموس بحوله وقوته وتحتفى به الأرض والسماء :

لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

● أرأيت شاعرنا كيف نقلنا ببراعة التصوير والتعبير إلى رحاب المسجد الأقصى مسرى رسول الله وثالث الحرمين الشريفين وأولى القبلتين؟ أرأيت كيف يبعث شجوننا تجاه الأقصى الأسير الذى ينتظر المخلص والمحرر؟! يترقب فى شوق

قدوم صلاح الدين فمعدرة أيها الأقصى المبارك لقد طال انتظارك بزوغ الفجر الصادق ولطالما صدع رأسك بشائر الفجر الكاذب من ادعاء البطولة وأشباه الرجال وثق أن الأمة التي أنجبت فاتح بيت المقدس الفاروق عمر ومحرر القدس صلاح الدين لن تعدم المحرر الثاني ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ لِيَسْوُوا وَجوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

مشيئة الخالق الباري وصنعتة وقدرة الله فوق الشك والتهم ولنردد مع شوقى دعاءه فى آخر قصيدته (نهج البردة) ضارعا إلى مولاه:

فالطف لأجل رسول العالمين بنا ولا تزد قومه خسفا ولا تسم  
يا رب أحسنت بدء المسلمين به فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

\* \* \*

## الفصل الثاني

### قصيدة إقبال في صقلية

### نظمها شعرا الشاعر العربي السكندري

### عبد العليم القباني

لم يكن الشاعر الدكتور محمد إقبال - رحمه الله - مجرد شاعر برغم شهرته في أوساط الثقافة الإسلامية بلقب (شاعر الإسلام)، وإنما تربع إقبال على عرش الفلسفة والقانون والعلوم السياسية بحكم دراسته حيث حصل على درجة علمية في الفلسفة وعلم الاقتصاد من جامعة (كامبردج) في لندن، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة ميونخ بألمانيا، وحصل على درجة علمية أخرى في القانون من لندن، ولذا اكتسبت شخصية العلامة إقبال أبعادا متعددة ومتنوعة من الخصوبة والثراء والتفرد، ومن ثم كان لوجوده في مملكة الأدب وعالم الشعر حضور متميز ومذاق خاص، وتحقق لشعره في مجال الإبداع آفاق من العمق والجمال والتأثير والقبول ما لم يتحقق لغيره من الشعراء، ولذا نجد أنفسنا مع إقبال أمام شاعر فيلسوف مثقف ورجل دولة وسياسة وعابد أواه فياض المشاعر.

ولم يكن إقبال من الشعراء الذين (يتبعهم الغاؤون)، وإنما كان من الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحملوا هموم أمتهم الإسلامية من المحيط إلى المحيط واستجاب لما دعا إليه النبي - صلوات الله عليه وآله وسلم - للترفع عن العصبية الجاهلية من نسب وحسب ووطن وقومية عنصرية وارتقي إلى ما دعا إليه الإسلام لتأكيد الأخوة الإسلامية حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال - تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال تعالى - في تأكيد وحدة المؤمنين بدين الله المصدقين

برسالاته وجميع وحيه ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الانبيا: ٩٢] ، ولذا رأينا إقبال يحمل الهمَّ الإسلامى العام وينقب عن أمجاد المسلمين فى صفحات التاريخ وآثار حضارتهم ويتأمل واقعهم فى الحاضر ويبكى واقعهم ويستحثهم فى شعره للنهوض واليقظة على أسس من هدى الإسلام العظيم واتباع مبادئ القرآن الكريم والتأسي بسير القواد المصلحين من الأبطال المسلمين .

- يقول - رحمه الله - فى التعبير عن مذهبه الشعرى : «إنى هائم فى شعرى وراء الشعلة التى ملأت العالم أمس نورا وحرارة، وقد قضيت حياتى فى البحث عن تلك الأمجاد التى مضت وأولئك الأبطال الذين رحلوا وغابوا فى غيابهم الماضى، ولا عجب إذا كان شعرى يملأ القلوب حماسة وإيمانا وكان وقعه فى النفس كبيرا وعميقا، فقد سالت فى شعرى دموعى ودمائى، وفاضت فيه مهجتى ودعائى» .

- وفى تأكيد آفاق إبداعه الشعرى الرحبة التى لا تعرف الحدود والثغور يقول : «إن المسلم لا تعرف أرضه الحدود، ولا يعرف أفقه الثغور ليست دجلة والنيل ودانوب إلا أمواجا فى بحر المتلاطم، عصوره عجيبه، وأخباره غريبة، نسخ العهد العتيق وغير مجرى التاريخ، هو فى كل عصر ساقى أهل الذوق وفى كل مكان فارس ميدان الشوق، شرايه رحيق دائما، سيفه ماض فى كل معركة» .  
ويقول - رحمه الله - : «المسلم الربانى ليس بشرقى ولا غربى، ليس وطنى دهلى ولا أصفهان ولا سمرقند، إنما وطنى العالم كله» .

وقد اهتم إقبال بقضايا أمتة الإسلاميه بداية من معاناة مسلمى الهند بنى وطنه حيث عاين مخاض استقلال الهند عن إنجلترا وتحررها من الاحتلال الانجليزى وتنبه لخطورة ما دعا إليه حزب المؤتمر الهندى لإقامة الدولة الديموقراطية فى الهند لتستوعب كل أبناء الأمة الهندية على مختلف طوائفهم وثقافاتهم، ورأى أن هذا التوجه الهندى يمثل خطرا على المسلمين الذين لا تتعدى نسبتهم العشرة بالمائة من جملة سكان الهند ودعا فى

خطابه في الاحتفال السنوي لحزب الرابطة الإسلامية في مدينة (الله آباد) في ديسمبر ١٩٣٠م لإقامة دولة خاصة للمسلمين الهنود ورسم حدودها الجغرافية لتضم الأقاليم ذات الأقلية المسلمة في مقاطعات البنجاب والحدود الشمالية والسند وبلوخرستان وقال بهذا الشأن في مرضه الأخير: «إن أمة لا تملك أرضاً تستند إليها لا دين لها، ولا حضارة، وإنما الدين والحضارة بالحكومة والقوة، وإن باكستان هي الحل الوحيد للمشاكل التي يواجهها المسلمون في هذه القارة الهندية، وهي الحل الوحيد للمشكلة الاقتصادية». وقد تحقق الحلم حيث قامت دولة باكستان في الحادي عشر من شوال سنة ١٣٦٦ هـ الموافق الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٧ فكانت من أجل النعم الربانية على مسلمي الهند.

– وتابع إقبال معاناة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وعبر عن آلامهم وأمالهم فكان – بحق – قيثارة الإسلام في القرن العشرين. واحتل اهتمامه بفلسطين والأخطار التي تعرضت لها بفعل المؤامرات الصليبية والصهيونية مكانة بارزة في بؤرة اهتمامه وتنبه – رحمه الله – لكل ما يحاك ضد فلسطين بليل فشارك في جميع المؤتمرات التي عقدت لبحث مسألة فلسطين وتسلسل عصابات الصهيونية إليها، وقد دعاه الحاج أمين الحسيني المجاهد الفلسطيني لحضور جلسات المؤتمر الإسلامي الذي عقد بالقدس في السادس من ديسمبر ١٩٣١م ممثلاً لمسلمي الهند وكان مما قاله في كلمته: «إنني على إيمان ويقين أن مستقبل العرب مرتبط بالإسلام، وبالإسلام فحسب، ولا بد من توحيد واتحاد صفوف المسلمين في المعمورة، لأن مصير المسلمين عربياً وعجمياً مصير واحد، لست خائفاً من أعداء الإسلام، وإنما أخشى من التفكك والتفرقة والانقسام في صفوف المسلمين».

– وخلال أسفاره الكثيرة لعواصم الغرب وجزائر البحر الأبيض المتوسط – البحرية الإسلامية سابقاً – مرَّ بكثير من ثغور الإسلام ومراكز الإشعاع الحضاري

تأمل خلالها أمجاد العرب والمسلمين الضائعة في الأندلس والبحر المتوسط وتوقف بمصر خلال سفره لحضور مؤتمر المائدة المستديرة لبحث المسألة الهندية واستقلال الهند مع الحكومة البريطانية سنة ١٩٣١ م، وقد ألقى محاضرة في جمعية الشبان المسلمين التقى خلالها جمعا من الدعاة والمثقفين المصريين، وزار أسبانيا - الأندلس سابقا - سنة ١٩٣٢ م وأمَّ جامع قرطبة، واسترجع مجد العرب المسلمين في الأندلس وبكى زوال دولة امتدت تشع نورا وحضارة ثمانية قرون، وكان الفيلسوف إقبال أول مسلم يسمح له بالصلاة في جامع قرطبة مُذ خرج العرب المسلمون من الأندلس سنة ١٤٩٢ م أى بعد مرور أربعين وأربعمائة عام ( ٤٤٠ عاما ).

- وقد مر شاعرنا بجزيرة ( صقلية ) من جزائر البحر المتوسط إبان عودته من لندن إلى بلاده فتذكر حضارة المسلمين بها ونظم فيها شعرا مؤثرا منه قصيدته موضوع العنوان لهذه المقالة، والتي منها كما جاء في الترجمة الشعرية الشهيرة لها:

- |                                |                         |
|--------------------------------|-------------------------|
| ١ - أعينى هذا أوان البكاء      | نشدت كما الله لا تبخلا  |
| ٢ - وما شئت ما من دم فاسكبا    | سحائب دمع كقطر الندى    |
| ٣ - فيأني أرى يومنا من بعيد    | ويا لوعنة القلب مما أرى |
| ٤ - وللعرب كانت هنا دولة       | ومثوى حضارة أم القرى    |
| ٥ - عمالقة البید خاضوا البحار  | فكانت لأسطولهم ملعبا    |
| ٦ - أعود إلى الهند مستعبرا     | بأنبل ذكرى لمجد خلا     |
| ٧ - هنا قد بكيت وفي الهند أبكى | وأبكى الصديق معا والعدا |

وقد تفاعل مع عاطفة إقبال المتوهجة بحبة الإسلام ورسالته وحضارته وأمجاد شعراء كثيرون يأتي في مقدمتهم الشاعر الشيخ الصاوي على شعلان والعلامة الدكتور عبد الوهاب عزام ومن الأدباء العلامة أبو الحسن الندوي

والدكتور حسين مجيب المصرى وغيرهم ممن عرفوا فضل إقبال ومكانته فى الأدب العربى والإسلامى، ويبرز من بين شعراء العربية الموهوبين الشاعر عبد العليم القبانى الذى نظم غير قصيدة من وحى العلامة إقبال من بينها قصيدته (الفرار من المدينة) وهذه القصيدة التى عنوانها بـ «(وقفه أمام صقلية - قصيدة لمحمد إقبال - نظمها بالعربية عبد العليم القبانى) وقد نُشِرتْ بمجلة (الهلال) المصرية فبراير ١٩٧٦م كما نشرت بديوان أغنيات مهاجرة الذى صدر عن الهيئة العامة للكتاب بمصر.

- وتأتى قصيدة إقبال (وقفه أمام صقلية) عبر شاعرية القبانى إضافة مهمة لشاعرية إقبال الناطقة بلغة الضاد عبر الشعراء العرب، وتقف وراء نظم القبانى شخصية القبانى بحبها الكبير لثغر الاسكندرية الأثير لدى الشاعر ولدى عشاق الثغر الجميل من الشعراء والكتاب، ويقف وراءها تمكن القبانى من ناصية البيان بلغة الضاد فضلا عن عصاميته التى هى مضرب المثل فى عالم الشعراء، ويأتى قبل ذلك وبعده موهبة القبانى فى حقل القريض.

- وقد أبدع القبانى فى اختيار الألفاظ والعبارات التى تعبر عن عاطفة إقبال عند رؤية (صقلية) وبكاء أمجاد المسلمين واسترجاع ذكريات حضارتهم ومن ذلك (صقلية انداحت لمراك أضلعى) و(عادت بى الذكري حشودا) و(دوت هنا «الله أكبر») فانثنت جيوش وولت كالقطيع المفرع) و(أضاءت بصحراء الحجاز) و(الذكريات تهدنى) فضلا عن إبرازه لعاطفة إقبال الإيمانية التى أثرت كثيرا على اختيار ألفاظه وعباراته وصوره وموسيقاه يقول الشاعر القبانى على لسان إقبال:

- ١ - «صقلية» انداحت لمراك أضلعى وجفت على أعماقها فيك أدمعى
- ٢ - وعادت بى الذكري حشودا تمردت على الصمت تخطو بى إلى كل موضع
- ٣ - هنا ألف تذكارة، هنا ألف قصة هنا همسة التاريخ فى سمع من يعى
- ٤ - هنا يا جدار البحر، يا حضنه الذى تطاول والدنيا بمرأى ومسمع

٥ - توالى من الصحراء يوماً شبولها فما الموج فى تياره المتدفع  
٦ - ودوت هنا «الله أكبر» فانشنت جيوش وولت كالقطيع المفزع  
٧ - وأحنت حصون شامخات بروجها لديها وأهوت موقعا بعد موضع  
- ويمضى مشيراً إلى أثر حضارة الإسلام فى حياة العرب فيقول:

٩ - أضاءت بصحراء الحجاز وأقبلت على هدى ذياك النداء الموقع  
١٠ - فألقت بأوهام القرون وأطلعت سنا العلم من إيمانها المترفع  
١١ - وأعلنت بناء الحق والعدل بعدما لوى الجهل أعصاب الزمان المروع  
١٢ - فوا أسفا والذكريات تهدنى وأين الذى أبكى ... فيبكى أسى معى

وسرعان ما يعود الشاعر إقبال إلى الحاضر المرير لأمة التوحيد بعدما حلق مع صقلية عبر آفاق بزوغ فجر الإسلام وانتصارات المسلمين وعبقريه حضارتهم الإيمانية فإذا شاعرنا أمام واقع أمته حزينا متحسرا يقول:

١٣ - «صقلية» انهارت صروح وأقفرت دروب، وأوفى مصرعٌ بعد مصرع  
١٤ - وداست حمى الشرق الخطوب فهل ترى سيقوى عليها بعد طول التصدع؟  
١٥ - فهل تذكرين الآن ما بى؟ وهل درت صخورك كم كانت مشاراً لأدمعى؟

- بيد أن شاعرنا الفيلسوف إقبال لا ييأس من روح الله ويرى بثاقب نظره وبفراصة المؤمن فجر بعث هذه الأمة التى يابى الله لها أن تموت برغم أنها قد تمرض، وقد يبشر أعداؤها بقرب زوالها ولكن يابى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ولذا نرى شاعرنا يتجلد ويستحضر يقين المؤمن فى رعاية الله لهذه الأمة التى قد يعاقبها ويسلط عليها بذنوبها من لا يخافه ولا يرحمها إلا أن ذلك «تهذيب لها واستنهاض لطاقتها الكامنة نحو اليقظة والنهضة والبعث لتضطلع بدورها فى هداية الإنسانية الحائرة من جديد يقول إقبال:

١٦ - على أننى ألزمت نفسى رشادها وعدت بقلب مستطار التطلُّع  
١٧ - أرى لمحات الفجر فى غيهب الدجى وقد تطفّر الآمال بعد التمنُّع  
وبعد فلا أرى منصفاً محباً للفنون الجميلة إلا وقد عاش تجربة إقبال عبر نظم  
الشاعر عبد العليم القبانى وقد اتسمت بالصدق الشعورى وحرارة العاطفة وسمو  
الفكرة ونبل الغاية ووضوح المعنى وجمال التصوير والإحساس بالوجود المحيط  
بالشاعر وتشخيصه والتفاعل مع هموم الأمة تفاعلاً يقظاً يصف الألم لكنه يبشر  
بالأمل.

\* \* \*

## الفصل الثالث عمر الجارم و«نعمة القرآن»

● يعد الشاعر الطبيب الدكتور عمر الجارم معلما بارزا من معالم الطب والشعر في عصرنا الحاضر، ولا يقل نبوغه في الشعر عن نبوغه في الطب، وليس ثمة تناقض بين المجالين، فكلاهما يطب جراح الإنسان الجسدانية والروحانية ويأخذ بيد الإنسان صوب عالم السعادة ودنيا الجمال والحق والقوة والحرية.

● ويدعم ذلك التزاوج الدافئ بين الطب والشعر تخصص شاعرنا الطبيب الأستاذ في مجال الأمراض النفسية والعصبية حيث ابتعث إلى إنجلترا عام ١٩٤٨م لدراسة الأمراض النفسية والعصبية وعاد شاعرنا الطبيب من بعثته عام ١٩٥١م لينشئ قسم الأمراض العصبية والنفسية بكلية الطب في جامعة الاسكندرية ثغر مصر الباسم العريق، ولذا يعد في مجال الطب رائداً في تخصصه وعمدة من عمد الطب النفسى والعصبى فى المنطقة العربية والإسلامية، وتعتبر أبحاثه ومحاضراته ومؤلفاته فى مجال تخصصه مراجع يلوذ بها الدارسون والباحثون ومنارات يهتدى بها الحائرون.

● لأجل ذلك استحق شاعرنا الرائد - عن جدارة واقتدار - وصف شاعر الأطباء وطبيب الشعراء ولم يكن غريباً أن ينظم الشعراء الكبار عذب أشعارهم تغنيا بموهبة الدكتور عمر الجارم وحكمته ومهارته فى طب النفوس والأجساد فضلا عن عبقريته فى مجال الإبداع وامتلاك ناصية البيان، وإذا زرت عيادة الدكتور الجارم فى محطة الرمل بثغر مصر الجميل للقاءه والسلام عليه - وليس للعلاج لا قدر الله - تطالعك أشعار كثيرة فى الإشادة بعبقريته فى الطب والشعر

للشعراء الرواد من أمثال محمود عبد الحى ( شاعر نشيد « الله أكبر » ) و عبد العليم القباني، ومحمد برهام، وحسن شهاب . . . وغيرهم من الأسماء اللامعة لجيل الرواد فى المنطقة العربية بعامة والقطر المصرى على الخصوص و ثغر الإسكندرية على خصوص الخصوص .

والقصيدة التى نحن بصدها سماها شاعرنا الدكتور عمر الجارم « نعمة القرآن » تتضمن إشادة بكتاب ( نعمة القرآن ) الذى أهدته مؤلفته الأدبية الداعية الإسلامية المباركة السيدة ( نعمت صدقى ) إلى الشاعر وهى أم الدكتور أمين رضا أستاذ العظام بكلية الطب فى جامعة الإسكندرية، وهو زميل الشاعر فى كلية الطب، وقد أعجب الشاعر أيما إعجاب بكتاب السيدة الأستاذة نعمت صدقى وهزه ما فى الكتاب من فضل وتوجيه وإقناع وشمول وعمق وتفصيل وحكمة حكيمة وأفكار جديدة، الأمر الذى جعل كتابها ( نعمة القرآن ) فى مجاله سفرا ( يغنى المطالع عن عديد مراجع ) وانفعل الشاعر لتلك المكرمة فأنشأ هذه القصيدة يثنى على الكتاب ويعدد مزاياه ويصف مجلس السيدة المؤلفة الذى كانت تعقده فى بيتها الفخم فى القاهرة شتاء وفى الإسكندرية صيفا حيث كانت تلقى فى مجلسها دروس العلم والدين التى يؤمها فضليات النساء فى مجتمعى القاهرة والإسكندرية، ويختم القصيدة بأبيات فى مدح المؤلفة الكريمة والثناء على أدبها ونتائجها وصلاتها، ومطلع القصيدة :

أقسمت أنك ( نعمة ) الأوطان لما أتيت ( بنعمة القرآن )

هذا الكتاب أراه معجزة النهى أتراه تنزيلا من الفرقان

● وشاعرنا الدكتور عمر الجارم ينتمى إلى مدرسة الشعر الأصيل، شعر البيان الجميل والموهبة الأصيلة والصورة المبتكرة والعاطفة الصادقة، ويعد شعره امتدادا لشعر عمه على الجارم « شاعر العروبة » بخاصة ومدرسة أمير الشعر والشعراء أحمد شوقى بعامة، والشعر عند شاعرنا يعنى ( الإلهام ) وتفسير ذلك كما يرى أن الإلهام هو تلك « اللحظة الخاطفة والبارقة السريعة تهز بروعتها نفس

المبدع، كما تهز نفس (المتذوق) ومن ثم تتولد نشوة جمالية فورية تغمر الوجدان»، ولقد قيل الكثير في تفسير العملية الإبداعية وفعل الإنشاء والمخلوق لدى الفنان وبخاصة الشاعر فيما عرف في درس النقد الأدبي بنظرية الوحي والإلهام، ويأتي في مقدمة الأسماء اللامعة التي أدلت بدلونها في بحث هذه المسألة أستاذنا الناقد الكبير الدكتور حلمي مرزوق الأستاذ بجامعة الإسكندرية والبحرين حيث عرض في محاضراته الأكاديمية والعامية، وعبر أبحاثه المنشورة لتفسير عملية الإلهام وتتبعها عند القدماء والمحدثين متسلحا بالجديد في الدرس النفسي والفلسفي فضلا عن ثقافته الواسعة في التراث والفكر الأوربي، ويميل شاعرنا الدكتور عمر الجارم إلى تفسير الإلهام والإبداع عند الشاعر الموهوب بعاملين اثنين أولهما الوراثة وثانيهما البيئة وإن كان الجارم لا يصادر المفاهيم الأخرى لتفسير (الوحي والإلهام) من مثل القول إن «القدرة على الإبداع كامنة في كل شخص، وقابله للنمو والظهور إذا صادفت في البيئة ما يساعدها على النبت والنشوء» (الشعر الواضح) - ديوان الدكتور عمر عبد المحسن الجارم - بيد أن شاعرنا الطبيب يجنح - بطبيعة الحال - إلى التفسير الأول الذي يفسر عملية الإبداع الشعري بعاملَي الوراثة والبيئة لأن ذلك يفسر موهبته تمام التفسير وينطبق عليه في وضوح لا لبس فيه، وقد ساق الشاعر في التذليل على وجهته تلك بيتا من شعر عمه على الجارم يفسر به الموهبة الشعرية فيقول:

الشعر من صنع السماء فسمه      وحيًا - إذا ما شئت - أو إلهاما

● نشأ شاعرنا وترعرع في بيت أدب ودين وعلم وعرف عن عائلته (عائلة الجارم) الذكاء والنبوغ في علوم الشرع واللغة وتذوق الفصحى لغة القرآن وإنشاء أبداع الأشعار في ديوانها، وفي مقدمة ديوانه «الشعر الواضح» يلح في تفسير (الموهبة الشعرية) على عاملَي الوراثة والبيئة، فيتحدث أولا عن عامل الوراثة من جهة الأب (الجارم) وكذلك من جهة الأم التي يجري فيها دم (الجارم) أيضا

فجد الشاعر الثالث لأبيه هو الشيخ ابراهيم الجارم مفتى الشافعية والنحوى اللغوى الماهر - بتعبير الشاعر - عاصر الحملة الفرنسية وورد ذكره فى كتب التاريخ وهو الذى رفض تزويج إحدى كريماته للجنرال مينو الذى قاد الحملة الفرنسية بعد مقتل قائدها الثانى ( كليبر ) على يد البطل سليمان الحلبي، وكان مينو قد أعلن إسلامه وأراد أن يتزوج سيدة مصرية شريفة الأصل، أما جد شاعرنا الثانى لأبيه فكان الشيخ عبد الفتاح الجارم مفتى رشيد وقد عرف فى عصره بطول الباع والبراعة فى فنون العلم حتى كان يلقب بالعلم أو الشيخ الفصيح، كما كان شاعرا يتعاطى الزجل ويجيده، أما الجد الأول لشاعرنا فهو الشيخ محمد صالح الجارم الذى كان له ديوان شعر رقيق نظمه فى صباه، أما أبو الشاعر فهو الشيخ عبد المحسن الجارم الذى أغرم بالشعر - كما يقول شاعرنا - غراما شديدا وإن لم يكن شاعرا وكان راوية لشعر أمير الشعراء يحفظ شعر شوقى، ويبدع فى إلقائه حتى أنه أمَّ كرمة ابن هانى فى القاهرة والتقى أمير الشعراء وألقى بين يديه إحدى روائعه التى كانت قد نشرت قبل الزيارة بقليل ويحكى شاعرنا عن تلك الزيارة فيقول عن أبيه وكان راوية لأمير الشعراء أحمد شوقى بك، ما أن تنشر له قصيدة حتى يحفظها وسافر يوما من رشيد إلى القاهرة وزار شوقى بك فى كرمة ابن هانى وذلك مع زوج ابنته - شقيقتى - الأستاذ على فهمى الرشيدى الذى كان يعطى دروسا خصوصية لابني شوقى : على وحسين، وكانت قد نشرت قبل تلك الزيارة بأيام قصيدة طويلة للأمير، فبدأ أبى الزيارة بإطرائها ثم أنشدها من ذاكرته بإلقاء رائع لمضيفه، مما جعله يتمايل طربا، وإذا بنشوته تزداد حينما كشف له أبى عن المعانى السياسية الخفية التى رمز لها فى قصيدته، وهنا أراد شوقى أن يعبر عن سروره وتقديره فينهض إلى مكتبته وتناول ديوان شعره وأهداه إلى أبى وقد كتب بخطه للأستاذ الجليل عبد المحسن الجارم ولا زلت أحتفظ بهذه الهدية القيمة فى مكتبي [ (الشعر الواضح) - ديوان الدكتور عمر عبد المحسن الجارم (ص ٧) ] .

أما عامل البيئة فتعكسه البيئة التي نشأ فيها شاعرنا الطبيب حيث تفتحت عيناه على جو يفيض بنغم الشعر العربي الجميل وفي منزله يترنم والده بالشعر وأشقاؤه يتعاطون الشعر والزجل فهذا هو الأخ الأكبر فتحى الجارم ( زجال كل اجتماع وخطيب كل حفل ) - بتعبير الجارم - والملقب ( بلبل رشيد ) وشقيقه الثانى المستشار أحمد الجارم كان شاعرا وزجالا وكذلك الحال مع شقيقتى الشاعر سعاد وليلى، ولكن يبقى تأثر الشاعر بعمه ( شاعر العروبة ) على الجارم كبيرا فقد كان ينصت طربا إلى عمه يلقي شعره بصوته الندى وأدائه الشجى وترنمه العذب . عبر الأثير وبخاصة فى حفل افتتاح الإذاعة المصرية فى الحادى والثلاثين من مايوم عام ١٩٣٤م حيث يقول فى مطلع قصيدته التى ألقاها فى الحفل المذكور :

يا سارى الشعر يطوى الجو فى آن ويملاً الأفق تغريدا بألحانى  
يختال فى بردة الفصحى وتسعده بدائع الحسن من آيات عدنان  
وقد استمع شاعر العربية الكبير للفتى الجارمى اليافع يلقي عليه آخر  
قصيدة نظمها حين زيارة الجارمى الكبير لبلدته رشيد أثناء عطلة الصيف فى آخر  
زيارة له لرشيد قبل وفاته وكان شاعرنا الفتى قد نظم قصيدته فى مدح أستاذه  
الدكتور على حسن بك أستاذ علم التغذية فى كلية الطب / جامعة الإسكندرية  
ومطلع القصيدة :

أعددت من وحي الشعور قصيدى وجمعت من روض الوفاء ورودى  
ونثرتها عفو المراد فيالها جاءت بنظم رائع ونضيد!!  
والشعر إن يك للشعور مترجما يسمو لأوج فى البيان بعيد  
وكانت القصيدة كما يحكى شاعرنا تزيد على الثلاثين بيتا، وكان فتانا  
يلقيها بإلقاء عذب جميل متأثرا بعمه فى فن الإلقاء وكان الجارمى الكبير يتابع  
إلقاء الفتى فى إنصات واهتمام وإعجاب مستوقفا الشاعر أحيانا ليعيد شطرا من

بيته أو تعبيراً أطره صائحا بالفتى - كما يحكى شاعرنا - «أعد يا أبا حفص»، ولما انتهى فتانا الطبيب سمع عمه الجارمى الكبير يتمتم بكلمات هامسة كأنه يحدث نفسه مرددا مرتين: «الشعر باق فينا بإذن الله». وكان لذلك أعظم الأثر فى مسيرة شاعرنا وتألقه ونبوغه وإجادته فن القصيد فيما بعد .

نظم شاعرنا الطبيب عمر الجارم قصائد تترى عبر مراحل سيرة حياته أبان دراسته فى كلية الطب، وقد ملك زمام القصيدة منذ عهد الدراسة الجامعية واشتهر بين زملائه بذلك ثم توالى تجاربه وقصائده حين أرسل إلى إنجلترا للتخصص فى طب النفس والأعصاب ثم واكبت قصائده كفاح المصريين فى مواجهة الاحتلال وقضايا العرب الكبرى فى مواجهته، وترجم شعره عن حياته الخاصة وأحداث الجامعة المختلفة وواكب حركة اليقظة الأدبية وشارك بوقته وماله فى رعاية الفنون والآداب والثقافة بثغر الإسكندرية وترأس هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لنحو خمسة عشر عاما واستضاف نشاطها فى عيادته الطبية وظل الحال كذلك من ( ١٩٧١م - ١٩٨٦م ) .

ولما عزم الشاعر على جمع قصائده فى ديوان اختار له اسم ( الشعر الواضح ) تأثرا بنهج عمه فى مؤلفاته ( النحو الواضح ) و( البلاغة الواضحة ) ، وكذلك قصد فى وضع أسماء لمؤلفاته العلمية بالإنجليزية ( الأمراض العصبية الواضحة ) و( الأمراض النفسية الواضحة ) .

\* \* \*

## الجارم والتجديد الشعري المتطرف

• لقد جاءت أشعار الجارم معبرة عنه وعن أحداث أمته ووطنه وتجارب حياته فى مختلف المواقف، ولا يطلب من الشاعر المجيد أكثر من ذلك، وقد حافظ الشاعر على بناء القصيدة وفق أصول إيقاع القصيد العربى وضمن شعره تجاربه وجديد أفكاره ومعانيه وطريف صوره وأخيلته كما اتسع قالب الشعر العربى لتجارب الشعراء العرب الناظمين بلغة الضاد خلال ستة عشر قرنا من خلال مجال واسع من النغم العذب فى ثوب فضفاض من بحور الشعر العربى لم تضق قط بتجارب الشعراء العرب فى مختلف العصور. يقول الشاعر السكندرى الكبير محجوب موسى:

« ... وكل بحر من الأبحر الستة عشر يؤدى إلى قنوات هى تنوعات على الأبحر » كل بحر له تنوعاته الخاصة » وتصل القنوات أو التنوعات إلى سبعة وستين تشكيلا نغميا وتصل أضرب الأبحر إلى ذات العدد، أما الأعاريض فتصل إلى ستة وثلاثين عروضاً وهذا إثراء نغمى لم يحصل عليه شعر أية لغة » ( دليل إلى علم العروض ص ٤٢ - مديرية الثقافة بالإسكندرية ) ولقد رأينا الشعراء المجددين المعتدلين يدورون فى هذا المجال الفسيح الفضفاض فيأتون بأبداع الأشعار وأعذب الألحان، ولم يرفض الجارم كما لم يرفض جمهور المبدعين والمتأدبين كل تجديد يضيف على القصيدة مزيداً من الحيوية والتطور لتستوعب الجديد فى حياتنا فذاعت قصائد مدرسة الديوان وجماعة أبولو وجاءت أشعار المهاجر عذبة جميلة كما رأينا فى شعر مطران وإيليا وغيرهما، ورأينا عددا كبيرا من الشعراء الحقيقيين ينظمون قصائدهم فى أشكال كثيرة ويعتمدون الصورة الكلية والبناء العضوى للقصيدة ومن هؤلاء عمر أبو ريشة وغازى القصيبى ونازك الملائكة وعبد العليم القبانى وعبد الرحمن العشماوى وفاروق جويدة وأبو القاسم الشابى وفاروق شوشة ... وإن كان شعر التفعيلة

أنسب للمسرح الشعري بما يحمل من زخم الصراع وحيوية الحوار واعتماده على التصوير الكلي غالبا والرمز المقبول في أغلب الأحوال، ولا يرفض المعتدلون من تيار الوسط التجديد المقبول والأمر كما قال الشاعر فاروق جويده: «القضية شعر أو لا شعر». (جريدة «الأيام» البحرينية - العدد (١٧٨٧) - الاثنين ٢٤ - ١ - ١٩٩٤ م).

● والأمر ليس تقديسا للتقديم في ذاته وليس قبولا للتجديد دون تمحيص. وإنما يتقدم شاعرنا ويشاركه موقفه القاعدة العريضة من الأدباء والمتأدبين على أدعياء الأدب وشراذمه المشبوهة التي تُردد مصطلحات التجديد والحدائث وتجاوز القديم وتبني الجديد المبتكر... كلمات حق يراد بها باطل، ويعمد تلکم النفر للإتيان بكلمات أشبه بالطلاسم والإلغاز يمجها ذوق الأدباء والمتأدبين يسمونها شعرا، ووراء كثير من هؤلاء دوافع ليست فنية في نشاطهم لقناعاتهم، وإنما ينطلقون في نشاطهم ذلك من دوافع سياسية وشعبوية، فهم يريدون أن يهدموا كل شئ وكل الثوابت: عمود الشعر - قواعد الشريعة - أصول الدين - الدلالات اللغوية والثوابت، ليبنوا من جديد، وقد تكون ماهرة في الهدم وهذا ما نلاحظه - ولكن البناء صعب، ولو وافقناهم وهدمنا وبنينا من جديد وجاء آخرون وهدموا وبنوا من جديد فما الحصيلة؟ هل تكون غير الضياع ومسح شخصيته الأمة وتدميرها والإتيان على ثقافتها وحضارتها؟! أتراهم ينطلقون من قول بودلير «الشاعر عليه أن يفكك الواقع ويحطمه ويخلق منه عالما جديدا يختلف كل الاختلاف عن العالم الواقعي المنظم»؟! ومعدرة للشاعر فولتير حين يقول: «مسكينة أيتها الحرية، كم من الجرائم ترتكب باسمك»، يقول شاعرنا في رثاء العقاد:

صنا القديم على رسوخ بيانه      لما أتى الشعر الجديد هراء

● فرق كبير بين التجديد والتخريب، وما أوسع البون بين البناء والهدم، وما أبعد الشقة بين الجمال والقبح يقول شاعرنا عمر الجارم: «... حاشا أن

يعرف الجدة التي نراها فيمن يكتبون كلاما يسمونه الشعر الجديد ... فما هو بالشعر بعد أن حطم قيثارته! وأي جدة فيه وأغلبه لا تكاد تفهم منه شيئا؟!» وفي تعليقه على قصيدة «وردة من دم المتنبي» للشاعر اليمنى عبد الله البردونى يقول الشاعر السكندرى أحمد فضل شبلول: «فإذا كانت بعض قصائد الشعر المعاصر (التفعليل على وجه الخصوص) تنعت بأنها غامضة ومبهمه والرؤية فيها غير واضحة وأن الرمز الذى يحاول أن يستخدمه الشاعر يتحول على يديه إلى شئ لا يفهمه إلا هو وإنه لكى تفهم بعض الأعمال المعاصرة يلزم الأمر أن تجلس مع الشاعر نفسه وتحاوره وتستخلص منه ما يود أن يقوله فى عمله الشعرى ... فإن مثل هذه القصيدة لا تحتاج إلى هذا كله ويكفى أن يقرأها المتلقى العادى مرة أو مرتين ليستمتع بها ويتعامل معها ويفسر مغزاها ويفهم معناها». (أصوات من الشعر المعاصر - الجزء الأول ص ١١٩، ص ١٢٩ - الطبعة الأولى).

● وعلى أية حال فقد أفلست كنانة تلك التوجّهات الشعرية برغم الأصوات العالية ومهارتها فى الظهور الملح فى الدوريات والصحف والمجلات وتحالفهم فى كثير من المواقع مع خصوم مبادئهم فهم يضعون أيديهم فى أيدي أعداء الحرية والإنسانية فى الإنسان ليحافظوا على ظهورهم الدائم وإطالاتهم على قارئ الصحف البرئ من خلال صورهم المنشورة التى تفيض بالبشر وتبعث البهجة والتفاؤل فى النفوس الحزينة وينعى حالتهم تلك أحد المتحمسين للجديد الثورى وهو الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة فيقول: «يخوض الشاعر الآن للأسف معركة خاسرة ضد نفسه من خلال هذه المنازلات العقيمة حول ما يسمى بالحساسية الجديدة أو صراع الأجيال أو هذا الإنكار المتبادل بين الأجيال وبعضها البعض، كل هذا دفع الشعر إلى الزاوية المعتمدة بعيدا عن روح الإنسان وقلبه» [جريدة «أخبار الأدب» المصرية العدد (٢٥) ص ١٩ - ٢٠/١٠/١٩٩٤].

أما الناقد الدكتور سعد ظلام فينبه إلى أخطار هذه التوجيّهات الأدبية

المرفوضة فيقول: «الحدائث أدب اللاوعى بل أدب الحمقى والمرضى والمحمومين وهو أدب ضد الجميع وضد الأوطان والثقافات وضد الإنسانية، ومن هنا كان الواجب مقاومته لأنه يدمر الإنسان ويضلله ويجعله يدمر ثقافته ووطنه وأمته. فما الشئ الذى يمكن الحفاظ عليه بعد تدمير ذلك كله !!؟؟» [ملحق الأربعاء الصحيفه «المدينة» السعودية ص ٤ الأربعاء - ١٨ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٤هـ].

\* \* \*

## مع قصيدة (نعمة القرآن)

● وبعد : فانت مع قصيدة (نعمة القرآن) لشاعرنا الدكتور عمر الجارم أمام قصيدة ذات بناء محكم ولغة سلسة وبيان عربى جميل، وأفكارها تحقق وحدة القصيدة فى تتابعها وتكاملها وقد يحس الشاعر التعبير بالصورة التى اشتمل عليها الخيال الكلى والجزئى ومهر الشاعر فى التعبير عن تجربته فى وصف مشاعره تجاه مكرمة المؤلفه المجاهدة ووصف مجلس أدبها وتسجيل مزاياها وسجاياها، وتشتمل القصيدة على ثلاثة أفكار رئيسية فى إطار الوحدة الفكرية للقصيدة عبر ثلاثة مقاطع يتصدرها المقطع الأول المتضمن براعة استهلال القصيدة فيقول :

أقسمت أنك (نعمة) الأوطان      لما أتيت (بنعمة القرآن)  
هذا الكتاب أراه معجزة النهى      أترأه تنزيلا من الفرقان؟  
بعبارة جعل الوضوح وصولها      لعيوننا وعقولنا فى آن  
وعميق فلسفة وبالغ حكمة      وصلتك فى نسب إلى «لقمان»  
وجديد أفكار تؤيد قولنا      دين الإله أتى لكل زمان  
وقوي إقناع وناصح حجة      تدع المزعزع ثابت الإيمان  
لو أن من فى غير دينك طالعوا      فحواه، ما ظلوا على الأديان  
سفر إذا ما جاء من قسطه      صفر يصير مشبع العرفان  
يغنى المطالع عن عديد مراجع      صفر الصحائف، صعبة التبيان  
لما فرغت من القراءة خلتنى      خريج (أزهر) بل من الشيخان

● ونلاحظ من استعراضنا السريع للمقطع الأول من قصيدة «نعمة

القرآن» براعة الشاعر فى استهلال القصيدة بالصورة التى تشدك شدا  
لمتابعة القصيدة سواء تلقاها المتلقى مستمعا أم قارئاً، وهذا لعمري دليل  
الجمال والجلال فى الشعر الجيد، وليس الأمر كما يقول بعض فلاسفة  
العبث المعاصرين، يقولون: لقد تعودنا أن ننصت إلى الشعر طيلة ستة عشر قرناً  
فلماذا لا نتذوق الشعر بواسطة العين فقط؟ يطالع القارئ القصيدة وكأنه  
يطالع لوحة فنية يستشف أبعادها ويسبر غورها لاستكشاف دلالاتها بواسطة  
النظر!!.

– وإن قبلنا بذلك أفقدنا النص الشعرى أبرز ما يميزه من خصال وهو عنصر  
الإيقاع المستمد من الوزن، وإذا افتقد النص الوزن لم يعد شعراً حتى لقد شاع  
على ألسنة الناقدین والأدباء والمتأدبين أن «الشعر موسيقى ذات أفكار»، وأمام  
هذا نفر من أهل هذا التوجه فى التجديد والتطوير أن يعبروا عن أفكارهم فى  
قوالب فنية أخرى عبر اللغة القصصية والمسرحية والمقالة والخاطرة أو عبر الألوان  
فى لوحات معبرة وحسبهم المجالات الواسعة للتعبير عن الأفكار بعيداً عن تخريب  
الشعر الجميل ديوان العرب.

– برع شاعرنا إذن فى استهلال القصيدة مستخدماً أقصى المهارة التعبيرية  
فى الاستئثار بالقارئ عينا وقلبا وأذنا من خلال القسم «أقسمت أنك» وسوق  
الجناس التام فى لفظ «نعمة» الأوطان و«نعمة» اسم السيدة المؤلفة الأدبية أيضاً،  
والتصريح فى خاتمة شطرى البيت الأول «الأوطان، القرآن»، واقتران النعمة  
بالأوطان فى الشطر الأول وبالقرآن فى الشطر الثانى إشارة إلى مكان الأوطان فى  
نفس أهل الإيمان بشريعة القرآن، وتغلب على المقطع عاطفة الإعجاب والتقدير  
بالكتاب المهدي للشاعر والأدب العالى للمؤلفة، وجاءت المعانى والألفاظ  
والعبارات والأساليب معبرة عن تلك العاطفة أفضل تعبير – فالكتاب «نعمة  
القرآن» معجزة النهى، وكأنه تنزيل من الفرقان، وهو يجمع بين وضوح المعنى  
وعمق الفكرة:

وعميق فلسفة وبالغ حكمة وصلتك فى نسب (إلى لقمان)

- وتبدو فى الأبيات ثقافة الشاعر العربية الإسلامية وتأثره ببلاغة القرآن الكريم فى ألفاظ كثيرة مثل «القرآن - تنزيل - الفرقان - لقمان - دين الإله - المزعزع ثابت الإيمان - الأديان - التبيان - خريج أزهري»، وقد أغنى الشاعر عن الاستعانة بالصور البيانية والخيال جمال المعنى وقوة الأسلوب وثناء الأبيات بالنغم الظاهر والخفى، وغلبت الأساليب الخبرية للتقرير والمدح، وإن استعان الشاعر ببعض الأساليب الإنشائية من مثل القسم فى البيت الأول والاستفهام التعجبى فى البيت الثانى، وقد جاءت ألفاظ الشاعر عذبة جزلة لا ركافة فيها ولا ابتذال وخلت من الحوشى الغريب وكانت عذبة (كالطفولة كالأحلام كالصباح الجديد) ووردت المحسنات البديعية قليلة أيضا فى سياقها غير متكلفة كما فى التصريح فى البيت الأول (الأوطان والقرآن)، والتورية فى «نعمة الأوطان» و«نعمة القرآن» والجناس الناقص فى «سفر وصر» فى البيت الثامن، وحسن التقسيم فى بعض الأشطر مثل «عميق فلسفة» و«بالغ حكمة» قوي إقناع وناصع حجة» وهكذا كان نبوغ الشاعر فى التعبير عن فكرته وعاطفته تجاه مكرمة المؤلف فى مقطع القصيدة الأول بالبيان العذب الجميل.

فإذا انتقلنا إلى المقطع الثانى نرى الشاعر يرسم صورة بهيجة فى وصف مجلس المؤلفة وهى تمارس نشاطها فى الدعوة إلى الله وإلقاء الدروس الدينية فى مجلسها الذى تؤمه النساء من مختلف الأعمار، وأنت أمام المقطع الصورة ترى نفسك بإزاء لوحة معبرة عبر ارتكاز الشاعر على الصورة الكلية التى تفيض بحيوية الألفاظ التى تضى الحركة والصوت والهيئة واللون وتحتوى على صور تعتمد على الخيال الجزئى أيضا مما يضى المزيد من الجمال على هذا المقطع من القصيدة يقول الشاعر:

لله مجلسك، وهل له إلاك والمختار من عنوان؟  
يبدو بياضك فيه بدرا ساطعا وترى النجوم عقائلا وغوانى

زادت وضاءتهن حشمة ملبس فى الرأس والأذيال والأردان  
 إن الحسان هى الغصون، وهل بدا فى الحسن إلا مورق الأغصان  
 يأتين درسك عاطلات مفاتن ويؤين منه حاليات جنان  
 إنا نرى الإيمان - يعمر خافقا أبهى من الياقوت والمرجان  
 تسقينهن من (الحديث) سلافة (الذكر) عندك منه ملء دنان  
 بفصاحة هزت من الأعطاف ما قد فاق عزف مثالث ومثانى  
 كم شنت أذانهن مقالة وعطلت من سمع لدى الآذان  
 هى حكمة العلام، أو هن مسمعا وحباك أقصى قوة الأذهان  
 والعقل فى الإنسان أول نعمة والجسم يأتى فى المقام الثانى

- أريت كيف ساق الشاعر فكرة المقطع الثانى فى وصف مجلس العلم  
 تزينه الأديبة المولفة السيدة نعمت صدقى وتحوطها طالبات العلم والدين؟ فهو  
 مجلس أثار إعجاب وتقدير الشاعر (لله مجلسك الوقور) وهو مجلس (الله  
 والرسول)، للقرآن والسنة، أو (الحديث والذكر) كما عبر فى البيت السابع تبدو  
 فيه الباحثة المعلمة بدرا تحوطه النجوم (عقائلا وغوانى) محتشمتا غير  
 متبرجات وقورات غير مبتذلات كاسيات عاريات فكن كالغصون المورقة ونرى  
 الأستاذة تيسر للمستمعات المتأدبات فهم الحديث الشريف وتحبب لهن الدرس  
 القرآنى وتجذبهن إلى دوحته وتغمرهن بأنواره، وبرغم أن المؤلفة المعلمة كانت  
 صماء لا تسمع فإنها «شنت أذانهن» وذلك من حكمة الله الذى «أوهن  
 مسمعا» وحباه «أقصى قوة الأذهان».

- وبرغم اعتماد الشاعر على التصوير الكلى فى المقطع - فإن  
 الأبيات حفلت ببعض الصور البيانية الجزئية كما فى التشبيه المركب فى البيت  
 الثانى:

يبدو بياضك فيه بدرا ساطعا وترى النجوم عقائلا وغوانى

والتشبيه المركب الممتد الذي اشتمله البيتان الثالث والرابع فى قول الشاعر:  
 زادت وضاءتهن حشمة ملبس فى الرأس والأذيال والأردان  
 إن الحسان هى الغصون، وهل بدا فى الحسن إلا مورق الأغصان  
 وعكست ألفاظ الصورة الكلية بحيويتها ما يدل على اللون فى مثل  
 (بياضك - النجوم - مورق الأغصان - الياقوت والمرجان) . . . ومن الألفاظ التى  
 تدل على الحركة (يأتين - ويؤبن - تسقينهن - هزت الأعطاف)، ومن الألفاظ  
 التى تدل على الصوت (الحديث - الذكر - شنفت أذانهن) وغلبت الأساليب  
 الخبرية لتقرير روعة ووقار مجلس العلم وفضله وقلت الإنشائية التى تكررت فى  
 البيتين الأول والرابع من هذا المقطع للتقرير، وجاءت المحسنات البديعية على قلتها  
 معبرة عن عاطفة الشاعر وفكرته لما فى طباق الإيجاب (يأتين ويؤبن) والمقابلة بين  
 شطرى نفس البيت، والمقابلة بين شطرى البيت التاسع، وجاءت بعض أبيات  
 المقطع لتصير حكمة سائرة مثل:

والعقل فى الإنسان أول نعمة والجسم يأتى فى المقام الثانى

● ثم يختم شاعرنا الطبيب قصيدته بالأبيات الثمانية المتبقية من القصيدة  
 الذى يأتى مجملا لسجايا المؤلفة ويفيض بعاطفة الشناء والأعجاب بجهداها  
 المتواصل فى الدعوة إلى الخير ونشر الفضائل ومن ثم ترد أوصاف شاعرنا لها،  
 فهى أم (الأمين) فى تورية جميلة بين أبنها الدكتور أمين رضا وأم النبى المصطفى  
 (الأمين) وهو يعتبرها أما للصالحين من الناس، ويراهها لو عاشت فى عصر  
 (الأمين) ﷺ لكانت من المقربات إلى زوجاته لما متعها الله بالجاء العريض والذكاء  
 الشديد، والبيان العذب والعلم الغزير فلديها (جاه خديجة وثوراؤها) و(ذكاء  
 عائشة) و(عذب بيان) فلما التهنئة لما قدمت لأمتهما من الخير ونشر دعوة الخير  
 والحق والفضيلة والإسلام والسلام، ولذا يبشرها الشاعر بقوله:

هذا كتابك فى يمينك ناصع نعم الجواز لغرفة بجنان

وهو يثنى على ورعها وتقواها، ولذا يدعو لها بطول العمر لينتفع بفضلها  
 الدين والوطن والحق والخير والجمال فيقول:

لم ألقَ قبلك من رأى بحياته      يوم الحساب يجيء قبل أوان!  
عيشى طويلا، إن مثلك لو أتى      فى الناس عدَّ يتيمة الأزمان

● وهكذا قدم لنا الشاعر قصيدته فى بناء محكم النسيج - وتوافر لقصيدته برغم حفاظه على قالب النغم العربى الأصيل، توافرت له جدة المعنى ووحدة الفكر والوجدان والاستعانة بالخيال الكلى وإثراء القصيدة بالموسيقى الظاهرية المعتمدة على الوزن والقافية وحسن التقسيم والتصريح والموسيقى الخفية التى تتركز على إحياء الألفاظ وجمال التصوير والتعبير وترابط الأفكار وتكاملها والصدق الشعورى، وتوافر التجربة الشعرية والوحدة الفنية ومن ثم دلت القصيدة على شاعر كبير حرى بالاهتمام والتقدير، لا يزال ملء السمع والبصر فى عالم الطب والقصيد :

#### ● المصادر والمراجع :

- ١ - الجارم، عمر عبد المحسن (الدكتور)، ديوان (الشعر الواضح)، دار القبس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠ (١ ش جواد حسنى، الإبراهيمية، الإسكندرية).
- ٢ - شبلول، أحمد فضل أصوات من الشعر المعاصر - الطبعة الأولى ١٩٨٤، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية.
- ٣ - موسى، محجوب، (الشاعر)، دليل إلى علم العروض، مديرية الثقافة بالإسكندرية.
- ٤ - صحيفة «الأيام» البحرينية، العدد (١٧٨٦) فى ٢٤ يناير سنة ١٩٩٤ ص ١٢.
- ٥ - صحيفة «المدينة» السعودية ملحق الأربعاء فى: ١٨ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٤ هـ.
- ٦ - صحيفة (أخبار الأدب) المصرية العدد (٢٥) فى ٢ من يناير سنة ١٩٩٤ ص ١٩.

## الفصل الرابع

### مع الشاعر الحكيم الدكتور محمد إقبال وقصيدة (حديث الروح) بنظم عربي لشاعر القيثارة الإيمانية الشاعر الشيخ الصاوي على شعلان (\*)

• يُعدُّ العلامة الشاعر الشيخ الصاوي على شعلان نابغة الشرق وشاعر قيثارته الإيمانية في العصر الحديث، وتُعدُّ شخصيته الفريدة نادرةً من نوادر القرن العشرين، ولم يكن عجيباً أن يُلقب بمعجزة الشرق في مواجهة هيلين كيلر معجزة العالم الأمريكي وهي السيدة التي تحدتُ الصمم والعمى وتغلبت بصبرها على كل المعوقات فأنجزت من الأعمال والمؤلفات ما لا يقوى على إنجازها أقوى قادرين... وهي العمياء الصماء البكماء، وفي زيارتها لمصر أواسط هذا القرن العشرين التقت بالشيخ الصاوي شعلان النابغة الضير، وكتبت صحيفة (المصري) عن ذلك اللقاء تحت عنوان (معجزة أمريكا تلتقي بمعجزة مصر) وقد اعتمد الشيخ الصاوي شعلان في تحدي العجز والعمى على يقين الإيمان وإيمان اليقين، وكان كما قال شاعر الإسلام الفيلسوف محمد إقبال «المسلم الضعيف يعتذر دائماً بالقضاء والقدر أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد».

ومن ثم كان الشاعر الصاوي شعلان - رحمه الله - مثالا للمؤمن الصابر الراضى بقضاء الله الذي جعل من عجزه دافعاً للجد والمثابرة والإبداع - والله في خلقه شئون - فقد يكون في السلب فضل، وقد تكون رحمة الله - تعالى للعبد

---

(\*) انظر المؤلف في كتابه «قمم إسلامية معاصرة - في الدين والأدب والدولة». دار الاعتصام بالقاهرة. الطبعة الأولى: (١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م).

منعاً لا عطاء وضعفاً لا قوة فكم من مسلوب نعمة دفعه قصوره للتجويد والطموح ففاق أُنْداده من القادرين وربما لو كان مثلهم في تمام صحتهم وقدرتهم ما بزَّهم وما فاقهم وما شقَّ طريقه إلى عالم العبقريَّة والتفرد، وكم من العبقريات العجيبة في عالم المكفوفين في شتى مجال النبوغ والعبقرية والأمثلة كثيرة لا تُحصى في القديم والحديث وعبقرية شاعرنا العلامة الصاوي على شعلان دليلاً كافياً على ما نقول !!! .

● حدثني عنه صاحب مجلة «البريد الإسلامي» - رحمه الله - بحديث الحب والإعجاب فكان مما قاله لي عن الشيخ الشاعر الصاوي شعلان إنه كان ذكياً فطنا وكان «الأزهر الشريف» يوظف مساعداً له ودليلاً يرشده إلى حيث يريد فكان - رحمه الله - يصرف هذا المرشد الموظف بعد خروجه من الأزهر إلى الطريق العام ليذهب إلى قضاء مصالحه وشئونه ويمضي الشيخ معتمداً على بصيرته وذكائه النفاذ وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]

وقد دفع الشيخ طموحه وشغفه بالتفرد والنبوغ للبحث في طريق العبقرية والقمم السامقة في عالم المثل الأعلى، ولذا نراه يأسى لما يشيع في عالمنا الإسلامي من الخصال الخبيثة من الحقد والحسد وحرب الناجحين والنقمة على النابغين على النقيض من سلوك الأوروبيين تجاه الناجحين عندهم والنابغين فيهم يقول - رحمه الله: «وإنه لمن أعظم النكبات في الأمم الشرقية أنه لا يكاد المصلح يبدأ رسالته حتى تنجم له النواجم من أمته وتدب له العقارب من أبناء جنسه لعرقلة خطواته وإضاعة مجهوداته وتأخير غاياته فبينما هو يبذل من ماله وجهده ويحرق نفسه بخورا لأُمته إذا بالصيحات تعترضه من كل مكان وتخنق أنفاسه وفي أمم الغرب لا تكاد تلمع بارقة العبقرية في نابغ منهم حتى يرفعوه إلى السماك الأعزل ويهيئوا له الأسباب ويغدقوا عليه الثروة التي تمكنه من الفراغ لأداء رسالته بينما تخفق العبقرية في الشرق من فجر مهدها وترى قبل شروق الحياة مغرب لحدها» .

● ولعل الكثير من المعاصرين لم يسمعوا عن الشاعر الصاوى شعلان إلا من خلال قصيدة ( حديث الروح ) المغناه والتي تعد من أروع ما يسمعه محبو الفنون الجميلة فى مجال القصيد العذب الجميل والتي تخلق بهم فى آفاق من سمو الروحى لما فيها من سمو المعنى وجلال الغاية وجمال التصوير والتعبير وعمق الفكرة وصدق العاطفة. الأمر الذى يجعلها قصيدة مؤثرة غاية التأثير ومطلعها:

وتدركه القلوبُ بلا عناءِ	حديثُ الروح للأرواح يسرى
وَشَقَّ أَنْيْنُهُ صَدْرَ الْفِضَاءِ	هتفتُ به فطارَ بلا جناح
جَرَتْ فى لفظه لُغَةُ السَّمَاءِ	ومعدنه تُرابىُّ ولكنْ
حديثًا كَانَ عُلُوُّ النَّدَاءِ	لقد فاضتْ دموعُ العشق منى
أهاجَ العالمَ الأعلى بُكائى	فحلَّقَ فى رَبِّا الأفلak حَتَّى

- والقصيدة برغم أنها مترجمة عن الشاعر الفيلسوف محمد إقبال إلا أن صوغ الشاعر الصاوى شعلان إياها فى قالب الشعر العربى بهذه الصورة الجميلة موهبة فذة لا تتأتى إلا لشاعر أجاد اللغتين المنقول عنها ( الأردية ) والمنقول إليها ( العربية ) فضلاً عن شاعرية متدفقة وإحاسيس مرهفة وإلمام دقيق لمضامين القصيدة ومعانيها الجزئية والعامية على السواء، وقد تحقَّق ذلك كَلَّة للشاعر الصاوى شعلان بصورة لم تتوافر لغيره من كثير من أدباء العربية الذين قدموا شعر إقبال منظوماً إلى العربية، وإن كان جهدهم فى مجال التعريف بإقبال وحماسهم له ولآرائه السديدة فى الإصلاح السياسى والتجديد الدينى مشكورة غير منكورة ولكن يبقى الشيخ الصاوى فى ترجمة أشعار الدكتور محمد إقبال نظماً إلى العربية نسيج وحده وفريد عصره.

- وقد حقق العلامة الصاوى شعلان بترجمة أشعار إقبال نظماً إلى العربية أمنية طالما تمنها الفيلسوف إقبال - رحمه الله - حيث قال: «إن أعمالى ستخلد وسترون أن كل معنى أرسلته فى قصائدى ستحملة اللغات بعضها إلى بعض

ولكنى أريد أن يترجم كلامى إلى العربية أولاً وقبل كل شئ ليصل إلى العرب صوتى وليفهم العالم الإسلامى أسرار قلبى .

وقد حقق الله - تعالى - لإقبال ما أراد فكانت ترجمة كثير من أشعار إقبال شعراً إلى العربية بيراغ الشاعر الصاوى شعلان عملاً عبقرياً حتى ليخيل إلى قارئ تلك الأشعار أن إقبال نظمها بالعربية معبرة عن أفكاره ومشاعره وطموحه فعلاً وما كان ذلك كذلك إلا لشاعرية الشيخ الصاوى المتدفقة وقوة إيمانه برسالة الإسلام وشدة إعجابه بالفيلسوف إقبال وآرائه السديدة ومشاعره الصادقة المؤثرة: « وصادق الحب يملئ صادق الكلم » ولكنى تبقى تلك الأشعار تحمل خصائص شاعرية أدينا الصاوى شعلان من عذوبة الألفاظ وسلاسة العبارات وجمال التصوير والتعبير وقوة العاطفة وصدق الموهبة وشدة الإخلاص لرسالة الإسلام فى البعث والنهضة .

● ولقد كان إعجاب شاعرنا بالفيلسوف محمد إقبال وشاعريته المتدفقة وروحه الشفافة وإقباله على تعلم اللغة الأردية لغة إقبال والفارسية لغة الحضارة والأدب وترجمته الكثير من أشعار إقبال إلى العربية خيراً وبركة على الأدبين العربى والإسلامى حيث نجح العلامة الصاوى شعلان فى تقديم شاعر الإسلام محمد إقبال شاعراً وفيلسوفاً ورجل قانون وسياسة للأدباء والمفكرين العرب وأثرى أيضاً الأدب الإسلامى فى لغة الضاد وجداً العلامة الصاوى شعلان فى أنظار الأدباء والمصلحين المسلمين فى المنطقة العربية خاصة والعالم الإسلامى عامة وقد مزج الهم الإسلامى والطموح لبعث حضارة إيمانية تنبع من رسالة الإسلام وهدى القرآن روح الرجلين فصارت روحاهما روحاً واحداً فى جسدين، وقد كان ذلك واضحاً جلياً فى قصيدتي إقبال ( شكوى ) و ( جواب شكوى ) وهما رائعتان من روائع إقبال لو لم يبدع الشاعر الصاوى شعلان فى ترجمته ونظمه لشعر إقبال بالعربية سواهما لكان ذلك حسبه شرفاً وفخاراً ويزيد، والقصيدتان تعبران عن إقبال شاعراً وفيلسوفاً ومصلحاً وداعياً للبعث الإسلامى والوحدة الإسلامية على

أكمل ما يكون التعبير وأحسنه يقول شاعرنا الصاوى شعلان فى تعريف القصيدتين :

« قصيدتان تعدان فى طليعة ما نظم إقبال فى اللغة الأردية حاول بهما أن يستحث همم المسلمين إلى طلب الرفعة والطموح إلى المجد واستخلاص تراث الماضى من بين برائن الدهر والعودة بالركب الإسلامى إلى قافلة الحياة الدائبة فى سيرها صوب الكمال أما أولاهما (شكوى) فقد اتجه بها إلى الله - تعالى شاكياً - ما أصاب المسلمين من الأحداث والغير التى تخلفت بهم عن ركب الحضارة وهم الذين حملوا شعلتها ورفعوا مصباحها لعصور الدهر وأجياله » وفى الثانية (جواب شكوى) يقول شاعرنا - رحمه الله - فى تعريفها: « أما القصيدة الثانية فهى (جواب الشكوى) تخيلها إقبال صوتاً سماوياً يُدوى بصيحة الحق جواباً لهذه الشكوى التى تبدو فى صرخاتها المتملمة المضطربة كأنها خيال جائر لا يقوم على الحجّة والبرهان ولا يستقر على دليل من الواقع » ومطلع القصيدة (شكوى) (١) كما جاء فى نظم الشاعر الصاوى شعلان:

شكواى أم نجواى فى هذا الدجى	ونجوم ليلى حُسدى أم عودى
أمسيت فى الماضى أعيش كأنما	قطع الزمان طريق أمسى عن غدى
والطير صادحةً على أفنانها	تُبكي الربى بأنينها المتجدد
قد طال تسهيدى وطال نشيدها	ومدامعى كالطل فى الغصن الندى
فإلى متى صمتى كأتى زهرة	خرساء لم تُرزقُ براعة منشد

أما مطلع قصيدة (جواب شكوى) (٢) كما ورد فى نظم الشيخ الصاوى:

كلام الروح للأرواح يسرى	وتدركه القلوبُ بلا عناء
هتفتُ به فطار بلا جناح	وَشَقَّ أنينه صدرَ الفضاء
ومعدنه تُرابى ولكن	جرتُ فى لفظه لُغة السماء

(١) انظر الملحق (١) بحق هذه الدراسة. (٢) انظر الملحق (٢) عقب هذه الدراسة.

لقد فاضت دموع العشق منى      حديثاً كان علوى النداء  
فحلّق في ربا الأفلاك حتى      أهاج العالم الأعلى بكائى

● وقد تخير شاعرنا من القصيدتين ثمانية وعشرين بيتاً هي جملة القصيدة المغناة والمعروفة بـ (حديث الروح) <sup>(١)</sup> والتي تداع عبر الأثير من الإذاعات العربية والإسلامية الناطقة بالعربية بالصوت العذب الجميل ناطقة بشاعرية إقبال وعمق أفكار وعبقورية العلامة الصاوى شعلان في الترجمة والنظم، وقد حكى بعض المقربين من الشاعر - رحمه الله - أنه كان يتأثر كثيراً عندما يستمع إلى قصيدة (حديث الروح) المغناة فيبكي وكانت رفته تفيض ودموعه تنهل عند سماعه للبيت الذى يقول:

فإلى متى صمتى كائى زهرة      خرساء لم ترزق براعة منشد

ولم يشأ أحد من المقربين أن يسأله عما يثير شجونه عند سماعه هذا البيت بالذات مما يلفتنا إلى ما كان يتمتع به فى شخصيته من رقة الطبع والإحساس المرهف وفيض المشاعر الإنسانية ورحمته الرحيمة وقلبه الكبير.

● هذا الرجل الضرير الذى نشأ يتيماً ابتلاه الله بكرمه وحكمته بفقد نور البصر منذ الطفولة المبكرة فيصبر ويثابر ويرضى بقضاء الله فينير الله بصيرته ويمده بفيض من أنواره ويفتح عليه بفتوح العارفين ويتعهده بالرعاية منذ نعومة أظفاره فيجد هذا الصبى فى طلب العلم وحفظ القرآن فى قريته (سبك الأحد) من أعمال (أشمون) بمحافظة المنوفية بمصر حيث تُسبّح الطير وتجرى الأنهار وتنطق الأرض الخضراء بالحسن والجمال، فى تلك البقعة الوديعه من أرض مصر ... يشب شاعرنا فى حضان النيل ويسير على درب النجاح والكفاح بخطى ثابتة متعدياً بعون الله وحوله وقوته كل ما يواجهه من صعاب فى الدرس والتحصيل والرحلة إلى القاهرة فى طلب العلم بالجامع الأزهر فى جوٍّ لم يألفه وفى

(١) انظر الملحق (٣) عقب هذه الدراسة.

مدينة تختلف طرائق الحياة فيها اختلافاً كلياً عما ألف في نشأته الأولى في  
حضرن قريته الوديعه فى دلتا النيل . ولقد وجد الفتى أنه فى ظروفه تلك بين  
أمرين لا ثالث لهما :

أولهما أنه يرضى بقضاء الله ويعمد على مواجهة ضعفه وعجزه بإرادة  
صلبة وعزم لا يلين معتمداً على الله - تعالى - فيكون النجاح والنبوغ وطريق  
المجد والسؤد، وثانيها: أن يئأس من روح الله ويستسلم للحزن والعجز فيجنح إلى  
حياة الخمول والضياع والإحباط، وكان أن اختار الأمر الأول وتقبل ابتلاء الله  
بقبول حسن وعلّق على فقد البصر بقوله: «... إنه قد أدرك قيمة النعمة الكبرى  
فى البصر، وعرف المتاعب التى يُعانىها المكفوف فى نفس الوقت» وأكبَّ الفتى  
يُدرس ويجدّ فى التحصيل حتى اجتاز مراحل التعليم بالأزهر بنجاح باهر، وقد  
بدت أمارات النُّجابه والنبوغ على فتانا فى الجامع الأزهر حتى إن شيخه فى  
(تجويد القرآن الكريم) السيد سابق محمد السبكي كان يُسند إليه تعليم  
المبتدئين، ويغتنم الفتى سنوات الدرس بالجامع الأزهر ويعمد إلى دراسة اللغات  
من فارسية وأردية وإنجليزية وفرنسية وغيرها بمساعدة زملائه الوافدين للدرس  
بالجامع الأزهر الشريف من البلدان الإسلامية وسائر بلدان العالم وساعده على  
النبوغ فى ذلك ذاكرته اللاقطة وذكأؤه الشديد وموهبته الخاصة فى تعلم اللغات،  
وعمد أيضاً إلى دراسة الكتابة بطريقة الحروف البارزة المشهورة بطريقة (برايل)  
معتمداً على نفسه بعد أن طرق عدة معاهد لتعلم الكتابة ولم ترقه طريقها ولجأ  
إلى الاستعانة بأحد المدرسين الخصوصيين لتعليمه الكتابة بالخط البارز، وكان  
يدفع له أجر الدروس من النقود القليلة التى يحصل عليها من تدريسه بعض  
الدروس للآخرين ومن الطريف أنه طمع فى شراء المسطرة الوحيدة التى لدى  
أستاذه وهى المسطرة الخاصة بالكتابة البارزة للمكفوفين ولم يكن لديه من المال  
إلا ثمن المسطرة فدفع لأستاذه كل ما معه من مال وترك نفسه يومين عرضة للجوع  
والمسغبة، بيّد أنه كان كلما تحسّس المسطرة بين يديه نسى الآم الجوع وفرح  
كثيراً بها .

(١٦ - للحق والنهضة والجمال)

● ولم يكتف - رحمه الله - بالشهادة العالية التي حصل عليها من الجامع الأزهر سنة ١٣٥٠ هـ تحمل البراءة من «فؤاد» ملك مصر إلى حضرة الشيخ الصاوى على شعلان بناء على ما أقره مجلس الأزهر الأعلى فى ١٤ ربيع الثانى سنة ١٣٥١ هـ الموافق ١٦ من أغسطس سنة ١٩٣١م من نجاحه فى امتحان شهادة العالمية. وإنما يطرق باب الدرس العالى بجامعة القاهرة وييسر له الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية صديقه الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله - وقد جمع بينهما التوجه الإسلامى والإعجاب بشاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، ويواصل الدرس للحصول على درجة الدكتوراه غير أن ظروفًا خاصة به حالت دون التقدم للحصول عليها.

● وكان لشاعرنا شغف بالكفاح السياسى إبان الدراسة الجامعية بالأزهر فى مواجهة الاحتلال الأجنبى لمصر وذات مرة جمعه مع زملائه فى الأزهر اجتماع سياسى فى رحاب الأزهر فعمدت الحكومة إلى إطفاء الأنوار لينفض الاجتماع فما كان من شاعرنا إلا أن صاح بييتين من شعره جمع بهما ما تفرق من الطلاب الحضور حتى اكتمل الاجتماع فى ساحة الأزهر على ضوء القمر والبيتان هما:

إن كان غاب سراج عن مآقينا      فنور رب السما يا قوم يكفينا  
هم اطفئوها كى تطفأ عزائمنا      هذا محال ولو كانوا شياطينا

● وفى مجال الإصلاح الاجتماعى والدعوة إلى مكارم الأخلاق الإسلامية فقد أفنى الرجل عمره فى رسالة الخير والتوجه التربوى الإسلامى ومن وسائله فى ذلك مجلة «مكارم الأخلاق» الإسلامية القاهرية التى كان مديراً لها فضلاً عن جهوده فى مجال إصلاح السجون لتكون أماكن للتربية والتهديب وكان له دوره فى بث الروح الإسلامية فيها وإقامة الصلوات والدروس الدينية وسط المسجونين وفى مجال العمل الخيرى شارك فى تأسيس جمعية «النور» للنهضة بالمكفوفين بالزيتون بالقاهرة وكان هو صاحب فكرة تسميتها بذلك الاسم كما يقول

الباحث على عامر بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الأزهر في بحثه لنيل درجة الماجستير عن العلامة الصاوي على شعلان شاعراً، وقد تعدت موهبته تلك المجالات كي تطال الفنون الجميلة التي كان يتذوقها بعامة والموسيقى بخاصة.

● هذا الرجل الموهوب كما يقول المعاصرون والعبقري نسيج وحده كما يقول القدماء لم يحظ بحقه من التكريم وتسليط الضوء على جوانب شخصيته المتعددة في مجال الشعر والإصلاح السياسي والنشاط الصحافي والعمل الخيري والدرس الجامعي والترجمة والتأليف ولقد كان حسنا أن تحاول جامعة الأزهر أن تذكر للرجل بعض حقه بالدراسة التي قام بها الباحث على عامر العربي بقسم الأدب والنقد التابع لكلية اللغة العربية بالقاهرة بإشراف الدكتور جودة عبد الله مصطفى وتركز على العلامة الصاوي على شعلان شاعراً، والرجل - رحمه الله - يحتاج لمزيد من الاهتمام لإبراز جوانب العبقرية في شخصيته الفريدة، ولا يفوتنا الإشارة إلى النشاط العلمي للرجل كما ذكر الباحث على عامر في بحثه المذكور آنفاً، فكم له من مقالات وأشعار كثيرة جمعت في ديوان سماه الشاعر «وحي الإيمان» صدر بالقاهرة عام ١٩٧٥ وصدرة بإهداء إلى سيدنا رسول الله ﷺ وكتاب آخر يجمع بين الترجمات الشعرية والنثرية للشعراء الخمسة (إقبال - العطار - الرومي - حالي - السعدي) بالاشتراك مع العلامة محمد حسن الأعظمي وديوانه «إيوان إقبال» ويتضمن مجموعة من القصائد التي ترجمها شعراً من شعر إقبال عن الأردية أو الفارسية مع بعض القصائد التي ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله - لشعر إقبال، فقد صدر إيوان إقبال عن السفارة الباكستانية بالقاهرة عام ١٩٧٧ في ذكرى الميلاد المعوي لإقبال - رحمه الله - وقد قام بالرجل وساعد في جمع قصائده وتتبع أعماله المنشورة والقراءة له وإعداد خطبه ومحاضراته... رجلاً فاضلاً ممن أعجبا بالرجل أيما

إعجاب وتعلقت روحهما به أيما تعلق وهما الأستاذان الشيخ عبد الحكيم محمود نور الدين الذي لازم العلامة شعلان منذ الثلاثينات وشارك في جمع ندواته الدينية وكان يقرأ له خطبه ومحاضراته والرجل الثاني الأستاذ محمد الليثي على محمد والذي بدأت علاقته بشاعرنا منذ الثلاثينات أيضاً ولا زمه وكان يقرأ له أصول الأحاديث التي يقوم بأدائها في الإذاعة، ثم أتم جميله مع الشاعر بجمع قصائده المنشورة المتناثرة وعرضها عليه قصيدة قصيدة لاختيار ما ينشر منها وما لا ينشر والتأكد والتدقيق في ذلك حتى تم ذلك بصدور ديوان « وحي الإيمان »، وعرفت أخلاق الرجل بأجمل ما تعرف به أخلاق إنسان تهفو إليه القلوب من دين وصلاح وشجاعة في قول الحق ورقة إنسانية رقيقة للبائس والفقير والعاجز وصاحب البلاء ووفاء بخاصة الوفاء للأستاذ، وبهذا الصدد لا يفوتنا أن نذكر هذا الموقف الذي يكشف عن معدن هذا الرجل الأصيل فبعد أن فرغ من الشهادة الثانوية والتحق بالقسم العالي بالأزهر الشريف أخذ يجد في التحصيل والاستيعاب وتحدي الصعاب، وتقدم للاختبار بيئاً أنه رسب في مادة الأصول بعد امتحان دام ثلاث ساعات ونصف أمام لجنة رئيسها أحد قضاة المحكمة الشرعية، وحزن لذلك وطلب إليه زملاؤه أن يشكو هؤلاء العلماء الممتحنين فأبى عليه أدبه وخلقه ووفاءه أن يفعل ما فعله زملاؤه وقال قولته المشهورة: « هذا عقوق لا يبرره النجاح، ودرس الرسوب ينفعني ويدفعني » ولم يسلك مسلك أخ أزهري له من قبل جعل يرتقى سلم المجد على حساب جرأته على علمائه في الأزهر وجرأته على الإهتلام والقرآن فكبر في عين خصوم الإسلام فأسبغوا عليه نعمهم ظاهرة وباطنة وكالوا له المديح كيلا وخلعوا عليه الألقاب ليبث سمومه الفكرية بما لا يقوى عليه أعتى عتاة خصوم الإسلام وبلسان عربي مبين ! .

● يرحم الله شيخنا العلامة الصاوي على شعلان الذي كانت حياته بين عامي ١٩٠١ حتى ١٩٨٢ ميلادية كتاباً ناصع الصفحات وزماناً يفيض بالنشاط

وعملاً عبقرياً فى شتى المجالات، ويرحم الله أستاذنا العقاد الذى كان يعجب بمهارة الشيخ الصاوى فى الخطابة السياسية فى بيت الأمة وفى حضرة سعد باشا وكان يلقبه - «خطيب بيت الأمة» وبارك الله فى ذرية الشاعر العلامة الصاوى على شعلان.

\* \* \*

### ● المصادر والمراجع:

- (١) الجوهري. عبد اللطيف. مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية. مكتبة النور بالقاهرة ١٩٨٦ م.
- (٢) الأعظمى محمد حسن، شعلان. الصاوى على. الأعلام الخمسة تحقيق مصطفى غالب (دكتور) مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر. بيروت لبنان ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- (٣) العربى. على عامر على (باحث). الصاوى على شعلان شاعراً. رسالة ماجستير (غير مطبوعة).

\* \* \*

## حديث الروح

من قصيدتي ( شكوى و ) جواب شكوى ) لشاعر باكستان  
وفيلسوفها الكبير الدكتور محمد إقبال

ترجم القصيدتين إلى العربية الأستاذ محمد حسن الأعظمي  
ونظمهما شعراً فضيلة الشيخ الصاوي علي شعلان

وتدركه القلوبُ بلا عناءِ  
وَشَقَّ أَنْيُنُهُ صَدْرَ الْفَضَاءِ  
جَرَّتْ فِي لَفْظِهِ لُغَةُ السَّمَاءِ  
حَدِيثًا كَانَ عَلْوَى النَّدَاءِ  
أَهَاجَ الْعَالَمَ الْأَعْلَى بُكَائِي

حديثُ الروحُ للأرواحِ يَسْرِي  
هَتَفْتُ بِهِ فطَارَ بلا جَنَاحِ  
ومَعَدَنهُ تُرَابِيٌّ وَلَكِنْ  
لَقَدْ فَاضَتْ دَموعَ العَشْقِ مَنِي  
فَحَلَقَ فِي رَبِّهَا الْأَفلاكِ حَتَّى

\* \* \*

بقرب العرشِ موصولُ الدعاءِ  
سرى بين الكواكبِ في خفاءِ  
يُواصلُ شِدْوَهُ عند المساءِ  
وما أحرأه عندي بالوفاءِ

تَحاورت النجومُ وَقُلْنَ صَوْتُ  
وجاوبت المجرَّةُ عَلَّ طَيْفًا  
وقال البدرُ هذا قلبُ شاكٍ  
ولم يَعْرِفْ سوى رضوانِ صوتِي

\* \* \*

ونجوم ليلي حُسْدِي أم عودي  
قطع الزمان طريق أمسى عن غدى  
تُبكي الربى بأنينها المتجدد  
ومدامعي كالطلل في الغصن الندى  
خرساء لم تُرْزَقْ بِرَاعَةِ منشِدِ

شكواي أم نجواي في هذا الدجى  
أمسيت في الماضي أعيش كأنما  
والطير صادحة على أفنانها  
قد طال تسهيدى وطال نشيدها  
فيآلى متى صمتى كأنى زهرة

\* \* \*

لا بُدَّ للمكبوت من فيضان  
ليُبينَ عنها منطقي ولساني  
لكنما هي قصّة الأشجان  
إلا الحمدُ علاك في الأكوان

\* \* \*

من كان يدعو الواحد القهارا  
لم يبلغوا من هديها أنوارا  
وهدى القلوب إليك والأنظارا  
صنع الوجود وقدر الأقدار

\* \* \*

ولا دنيا لمن لم يحيي ديننا  
فقد جعل الفناء لها قرينا  
ولن تبنوا العُلا متفرقيننا

\* \* \*

يوحّدكم على نهج الوئام  
مناراً للأخوة والسلام  
إليه واحسب ربُّ الأنام

\* \* \*

قيثارتي ملئت بأنات الجوى  
صعدت إلى شفتي خواطر مهجتي  
أنا ما تعديت القناعة والرضا  
يشكو لك اللهم قلب لم يعش

من كان يهتفُ باسم ذاتك قبلنا  
عبدوا الكواكب والنجوم جهالةً  
هل أعلن التوحيد داع قبلنا  
ندعو جهاراً لا إله سوى الذي

إذا الإيمان ضاع فلا أماناً  
ومن رضى الحياة بغير دين  
وفى التوحيد اللهم اتحاداً

ألم يُبعثْ لأمّتكم نبي  
ومصحفكم وقبلتكم جميعاً  
وفوق الكل رحمنٌ رحيمٌ

## شكوى ...

ونجوم ليلى حسدى أم عودى  
قطع الزمان طريق أمسى عن غدى  
تبكى الربى بأئينها المتجدد  
ومدامعى كالطل فى الغصن الندى  
خرساء لم تُرزق براعة منشد

\* \* \*

لا بُدُّ للمكبوت من فيضان  
ليُبينَ عنها منطقى ولسانى  
لكنما هى قصة الأشجان  
أشكو مصاب الدين للديان  
إلا لحمد علاك فى الأكوان

\* \* \*

روضاً وأزهاراً بغير شميم  
لا يرتجى ورد بغير نسيم  
ليلاً لظالمها وللمظلوم  
واخضر فى البستان كل هشيم  
فإذا الورى فى نضرة ونعيم

\* \* \*

من كان يدعو الواحد القهارا  
من دونك الأحجار والأشجارا  
لم يبلغوا من هديها أنوارا  
وهدى الشعوب إليك والأنظارا  
لم نخش يوماً غاشماً جبارا  
ررومان مدرسة وكان الملك فى ساسان

شكواي أم نجواي فى هذا الدجى  
أمسيت فى الماضى أعيش كأنما  
والطير صادحة على أفنانها  
قد طال تسهيدى وطال نشيدها  
فإلى متى صمتى كأنى زهرة

\*

قيثارتى ملئت بأنات الجوى  
صعدت إلى شفتى خواطر مهجتى  
أنا ما تعديت القناعة والرضا  
أشكو وفى فمى التراب وإنما  
يشكو لك اللهم قلب لم يعش

\*

قد كان هذا الكون قبل وجودنا  
والورد فى الأكمام مجهول الشذى  
بل كانت الأيام قبل وجودنا  
لما أطل محمد زكت الربى  
وأذاعت الفردوس مكنون الشذى

\*

من قام يهتف باسم ذاتك قبلنا  
عبدوا تماثيل الصخور وقدسوا  
عبدوا الكواكب والنجوم جهالة  
هل أعلن التوحيد داع قبلنا  
كنا نقدم للسيوف صدورنا  
قد كان فى اليونان فلسفة وفى الـ

لم تغن عنهم قوة أو ثروة  
وبكل أرض سامرى ماكر  
والحكمة الأولى جرت وثنية  
نحن الذين بنور وحيك أضحوا  
فى المال أو فى العلم والعرفان  
يكفى اليهود مؤونة الشيطان  
فى الصين أو فى الهند أو توران  
نهج الهدى ومعالم الإيمان

\* \* \*

من ذا الذى رفع السيوف ليرفع اسم  
كنا جبلاً فى الجبال وربما  
بمعابد الأفرنج كان أذاننا  
لم تنس أفريقيا ولا صحراؤها  
وكان ظل السيف ظل حديقة  
كفوق هامات النجوم منارا  
سرنا على موج البحار بحارا  
قبل الكتائب يفتح الأمصارا  
سجداتنا والأرض تقذف نارا  
خضراء تنبت حولنا الأزهارا

\* \* \*

لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو  
ندعو جهاراً لا إله سوى الذى  
ورؤوسنا يا رب فوق أكفنا  
كنا نرى الأصنام من ذهب  
لو كان غير المسلمين لحازها  
نصب المنايا حولنا أسوارا  
صنع الوجود وقدر الأقدارا  
نرجو ثوابك مغنماً وجوارا  
فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا  
كنزاً وصاغ الحلى والدينارا

\* \* \*

كم زلزل الصخر الأشم فما وهى  
لو أن آساد العرين تفرزعت  
وكان نيران المدافع فى صدو  
توحيدك الأعلى جعلنا نقشه  
فغدت صدور المؤمنين مصاحفاً  
من بأسنا عزم ولا إيمان  
لم يلق غير ثباتنا الميدان  
ر المؤمنين الروح والريحان  
نوراً تضىء بصبحه الأزمان  
فى الكون مسطوراً بها القرآن

\* \* \*

من غيرنا هدم التماثيل التى  
حتى هوت صور المعابد سجداً  
كانت تقدسها جهالات الورى؟  
لجلال من خلق الوجود مصورا

ومن الألى حملوا بعزم أكفهم  
وأمن رمى نار المجوس فأطفئت  
ومن الذى بذل الحياة رخيصة  
باب المدينة يوم غزوة خيبراً؟  
وأبان وجهه الحق أبلج نيراً؟  
ورأى رضاك أعز شئ فاشتري؟

\* \* \*

نحن الذين استيقظت بأذانهم  
نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم  
جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبروا  
محمود مثل أياز (١) قام كلاهما  
العبد والمولى على قدم التقى  
دنيا الخليقة من تهاويل الكرى  
والحرب تسقى الأرض جاماً أحمر  
فى مسمع الروح الأمين فكبرا  
لك بالخشوع مصلياً مستغفراً  
سجدا لوجهك خاشعين على الثرى

\* \* \*

بلغت نهاية كل أرض خيلنا  
فى محفل الأكوان كان هلالنا  
فى كل موقعة رفعنا راية  
أم البرايا لم تكن من قبلنا  
بلغت بنا الأجيال حرياتها  
وكان أبحرها رمال البيد  
بالنصر أوضح من هلال العيد  
للمجد تعلن آية التوحيد  
إلا عبيداً فى إيسار عبيد  
من بعد أصفاد وذل قيود

\* \* \*

رحماك رب هل بغير جباهنا  
كانت شغاف قلوبنا لك مصحفاً  
إن لم يكن هذا وفاء صادقاً  
ملاً الشعوب جناتها وعصاتها  
فإذا السحاب جرى سقاها غيئة  
عرف السجود ببيتك المعمور؟  
يحوى جلال كتابك المسطور  
فالخلق فى الدنيا بغير شعور  
من ملحد عات ومن مفرور  
واختصنا بصواعق التدمير

\* \* \*

قد هبت الأصنام من بعد البلى  
والكعبة العليا توارى أهلها  
واستيقظت من قبل نفخ الصور  
فكانهم موتى لغير نشور

(١) السلطان محمود الغزنوى وأياز خادمه.

وغدت منازلها ضلال قبور  
فى أنعم ومواكب وقصور  
عملاً تقدمه صدأق الحور

وقوافل الصحراء ضل حداثها  
أنا ما حسدت الكافرين وقد غدوا  
بل محنتى ألا أرى فى أمتى

\* \* \*

أعيت مذهبها أولى الألباب  
أو شئت فالأنهار موج سراب  
حتى انطروا فى محنة وعذاب  
فى الأرض نهب ثعالب وذئاب  
عن ذنبه فى الدهر يوم عقاب

لك فى البرية حكمة ومشئة  
إن شئت أجريت الصحارى أنهرا  
ماذا دهى الإسلام فى أبنائه  
فثراؤهم فقر ودولة مجدهم  
عاقبتنا عدلاً فهب لعدونا

\* \* \*

للموت بين الذل والإملاق  
والكأس لا تبقى بغير الساقى  
-أنوار بين محافل العشاق  
وتوضأوا بمدامع الأشواق  
تهدى الصباح طلائع الإشراق

عاشوا بثروتنا وعشنا دونهم  
الدين يحيا فى سعادة أهله  
أين الذين بنار حبك أرسلوا الـ  
سكبوا الليالى فى أنين دموعهم  
والشمس كانت من ضياء وجوههم

\* \* \*

نشروا الهدى وعلوا مكان الفرقد  
من يهتدى للقوم أو من يقتدى  
إلا على مصباح وجه محمد  
ولهم خلود الفوز يوم الموعد  
فى الكون غيرك من ولى مرشد

كيف انطوت أيامهم وهم الألى  
هجروا الديار فأين أزمع ركبهم  
يا قلب حسبك لن تلم بطيفهم  
فازوا من الدنيا بمجد خالد  
يا رب ألهمنا الرشاد فما لنا

\* \* \*

وربوع ليلى فى ربيع جمالها  
وظباؤها الخفرات ملء جبالها  
يتحفز التاريخ لاستقبالها

ما زال قيس والغرام كعهده  
وهضاب نجد فى مراعيها المها  
والعشق فياض وأمة أحمد

لو حاولت فوق السماء مكانة  
ما بالها تلقى الجدود عواثرا  
رفت على شمس الضحى بهلالها  
وتصدها الأيام عن آمالها

\* \* \*

هجر الحبيب رمى الأحبة بالنوى  
لم يبق فى الأرواح غير بقية  
وأصابهم بتصرم الآمال  
أن نستكين إلى هوى وضلال  
لو قد مللنا العشق كان سبيلنا  
أو نصنع الأصنام ثم نبيعها  
حاشا الموحّد أن يذل لمال  
وتُقى أويس فى أذان بلال

\* \* \*

يا طيب عهد كنت فيه منا رنا  
وأسرت فيه العاشقين بلمحة  
فبعثت نور الحق من فاران  
وسقيتهم راحاً بغير دنان  
أحرقت فيه قلوبهم بتوقد الـ  
لم نبق نحن ولا القلوب . كأنها  
إن لم ينر وجه الحبيب بوصله

\* \* \*

يا فرحة الأيام حين نرى بها  
ويعود محفلنا بحسبك مسفراً  
روض التجلى وارف الأغصان  
كالصبح فى إشراقه الفينان  
قد هاج حزنى أن أرى أعداءنا  
ونعالج الأنفاس نحن ونصطفى  
بين الطلا والظل والأحسان  
فى الفقر حين القوم فى بستان  
أشرق بنورك وابعث البرق القديـ  
م بومضة لفراشك الظمآن

\* \* \*

أشواقنا نحو الحجاز تطلعت  
أن الطيور وإن قصصت جناحها  
كحنين مغترب إلى الأوطان  
تسمو بفطرتها إلى الطيران  
قيثارتى مكبوتة ونشيدها  
واللحن فى الأوتار يرجو عازفاً  
قد مل من صمت ومن كتمان  
ليبوح من أسرارهم بمعان

والطور يرتقب التجلى صارخاً بهوى المشوق ولهفة الحيران

\* \* \*

أكبادنا احترقت بأنات الجوى والعطر فاض من الخمائل والربى  
أو ليس من هول القيامة أن يك النمل لا يخشى سليماناً إذا  
أرشد براهمة الهنود ليرفعوا الـ

\* \* \*

ما بال أغصان الصنوبر قد نأت وتعدت الأشجار من حلال الربى  
يا رب إلا بلبلاً لم ينتظر الحانه بحر جرى متلاطمًا  
يا ليت قومي يسمعون شكاية عنها قماريها بكل مكان  
وطيورها فرت إلى الوديان وحى الربيع ولا صَبَا نيسان  
فكأنه الحاكى عن الطوفان هى فى ضميرى صرخة الوجدان

\* \* \*

إن الجواهر حيرت مرآة هـ أسمعهموا يا رب ما ألهمتنى  
وأذقهم الخمر القديمة إنها أنا أعجمى الدن لكن خمرتى  
لكن هذا الصوت من عدنان

\* \* \*

## جواب شكوى

وتدركه القلوبُ بلا عناء  
كلام الروح للأرواح يسرى  
وشقَّ أنينه صدرَ الفضاء  
هتفتُ به فطارُ بلا جناح  
جرتُ في لفظه لغةُ السماء  
ومعدنه ترابىُّ ولكنْ  
حديثًا كانَ علوىَّ النداء  
لقد فاضتْ دموعُ العشق منى  
أهاجَ العالمَ الأعلى بكائى  
فحلَّقَ فى ربِّا الأفلاكِ حتَّى

\* \* \*

تجاوزت النجوم وقلن صوت  
بقرب العرش موصول الدعاء  
وجاوبت المجرة علَّ طيفًا  
سرى بين الكواكب فى خفاء  
وقال البدر هذا قلب شاك  
يواصل شدوه عند المساء  
ولم يعرف سوى رضوان صوتى  
وما أحراره عندى بالوفاء  
ألم أك قبلُ فى جنات عدن  
فأخرجنى إلى حين قضائى

\* \* \*

وقيل هو ابن آدم فى غرور  
تجاوز قدره دون ارعواء  
لقد سجدت ملائكة كرام  
لهذا الخلق من طين وماء  
يظن العلم فى كيف وكم  
وسر العجز عنه فى انطواء  
وملء كؤوسه دمع وشكوى  
وفى أنغامه صوت الرجاء  
فيا هذا لقد أبلغت شيئًا  
وإن أكثرت فيه من المرء

\* \* \*

عطايانا سحائب مرسلات  
ولكن ما وجدنا السائلينا  
وكل طريقنا نور ونور  
ولكن ما رأينا السالكينا  
ولم نجد الجواهر قابلات  
ضياء الوحي والنور المبينا  
وكان تراب آدم غير هذا  
وإن يك أصله ماء وطينا

ولو صدقوا وما فى الأرض نهر

\* \* \*

وأخضعنا لملكهم الثريا

ولكن ألدوا فى خير دين

تراث محمد قد أهملوه

تولى هادمو الأصنام قدما

أباهم كان إبراهيم لكن

\* \* \*

وفى أسلافكم كانت مزايا

تضوع شقائق الصحراء عطراً

فهل بقيت محاسنهم لديكم

لقد هاموا بخالقهم فناء

وكوثر أحمد منكم قريب

\* \* \*

وكم لاح الصباح سناً وبشرى

وكبرت الخمائيل فى رباها

ونوم صباحكم أبداً ثقيل

وأضحى الصوم فى رمضان قيلاً

تمدن عصركم جمع المزايا

\* \* \*

لقد ذهب الوفاء فلا وفاء

إذا الإيمان ضاع فلا أمان

ومن رضى الحياة بغير دين

وفى التوحيد للههم اتحاد

تساندت الكواكب فاستقرت

لأجرينا السماء لهم عيوننا

وشيدنا النجوم لهم حصونا

بنى فى الشمس ملك الأولينا

فعاشوا فى الخلائق مهملينا

فعاد لها أولئك يصنعونا

أرى أمثال آزر فى البنينا

بكل فم لذكرها نشيد

برياها وتبتسم الورود ...

فيجمل فى دلالكم الصدود

فلم يكتب لغيرهم الخلود

ولكن شوقكم عنه بعيد

وأذنت القمارى والطيور

مصلية فجابوها الغدير

كأن الصبح لم يدركه نور

فليس لكم به عزم صبور

وليس بغائب إلا الضمير

وكيف ينال عهدى الظالمينا

ولا دنيا لمن يحى دينا

فقد جعل الفناء لها قرينا

ولن تبنا العلامتفرقينا

ولولا الجاذبية ما بقين

وأنتم كالطيور بلا وكور  
ليبدركم وأنت في غرور  
وأنت في القطيعة والنفور  
لدى الأحفاد مدعاة الظهور  
إذا سمعوا بتجار القبور

\* \* \*

على نهج الهداية والصواب  
وفى أخلاقهم يتلى كتابي  
بناة المجد والفن العجائب  
سوى شكوى اللغوب والاكْتئاب  
فما غده سوى يوم العذاب

\* \* \*

بمجد لا يراه النائمون  
وضيعة تراث الأولينا  
ويسعد بالرقى الخاملونا  
يكون حصاها للزارعينا  
فهل بقى الكليم بطور سينا؟

\* \* \*

يوحدكم على نهج الوئام  
منار للأخوة والسلام  
اله واحسد رب الأنام  
وأمسيتم حيارى فى الظلام  
بصوغ العقد فى حسن النظام

\* \* \*

غدوتم فى الديار بلا ديار  
وكل صواعق الدنيا سهام  
أهذا الفقر فى علم ومال  
وبيع مقابر الأجداد أضحي  
سيعجب تاجرو الأصنام قدماً

من المتقدمون إلى المعالى  
ومن جبهاتهم أنوار بيتى  
أما كانوا جدودكم الأوالى  
وليس لكم من الماضى تراث  
ومن يك يومه فى العيش يأسا

أتشكو أن ترى الأقسام فازوا  
مشوا بهدى أوائلكم وجدوا  
أيحرم عامل ورد المعالى  
أليس من العدالة أن أرضى  
تجلى النور فوق الطور باق

ألم يبعث لأمّتكم نبي  
ومصحفكم وقبلتكم جميعاً  
وفوق الكل رحمن رحيم  
فما لنهار ألفتكم تولى  
وحسن اللؤلؤ المكنون رهن

وكيف تغيرت بكم الليالى  
تركتم دين أحمد ثم عدتم  
رُقئُ الشعب قد أضحى لديكم  
وكيف تقاس أوهام ولغو  
أرى ناراً قد انقلبت رماداً

وكيف تفرقت بكم الأمانى  
ضحايا للهوى أو للهوان  
تقرره صلاحية الزمان  
بحكمة منزل السبع المثانى  
سوى ظل مريض من دخان

\* \* \*  
أرى الفقراء عبادةً تقاة  
هم الأبرار فى صوم وفطر  
وليس لكم سوى الفقراء ستر  
أضلت أغنياءكم الملاهى  
وأهل الفقر ما زالوا كنوزاً

\* \* \*  
قياماً فى المساجد راكعينا  
وبالأسحار هم يستغفروننا  
يوارى عن عيوبكم العيوننا  
فهم فى ريبهم يترددونا  
لدين الله رب العالمين

\* \* \*  
أرى التفكير أدركه خمول  
وأصبح وعظكم من غير سحر  
وعند الناس فلسفة وفكر  
وجلجلة الأذان بكل أرض  
منائرکم علت فى كل حى

\* \* \*  
ولم تبق العزائم فى اشتعال  
ولا نور يطل من المقال  
ولكن أين تلقين (الغزالي)  
ولكن أين صوت من بلال  
ومسجدكم من العباد خالى

\* \* \*  
فأين أئمة وجنود صدق  
إذا صنعوا فصنعهم المعالى  
مرادهم الآله فلا رياء  
لأمتهم وللأوطان عاشوا  
كمثل الكأس تبصرها دهاقاً

\* \* \*  
تهاب شباة عزمهم الحراب  
وإن قالوا فقولهم الصواب  
ونهجهم اليقين فلا ارتياب  
فليس لهم إلى الدنيا طلاب  
وليس لأجلها صنع الشراب

\* \* \*

جهداد المؤمنين لهم حياة عقائدهم سواعد ناظقات وخوف الموت للأحياء قبر أرى ميراثهم أضحى لديكم وليس لوارث فى الخير حظ

ألا إن الحياة هى الجهاد وبالاعمال يثبت الاعتقاد وخوف الله للأحرار زاد مضاعفاً حيث قد ضاع الرشاد إذا لم يحفظ الأثر اتحاد

\* \* \*

لأى مآثر القوم انتسبتم؟ فأين مقام ذى النورين منكم وفتقر على الأبواب هلا أقمتم فى الذنوب وفى الخطايا وهم ستروا عيوب الخلق فضلاً

لتكتسبوا فخار المسلمينا ودولة عزة دنيا ودينا ربحتم فيه كنز الفاتحينا وتغتابون حتى الصالحينا وإن كانوا أبر المتقيننا

\* \* \*

أريكة قيصر وسرير كسرى وأنتم تطمحون إلى الثريا تضيعون الإخاء وهم أقاموا طلبتم زهرة الدنيا وعدتم وكان لديهم البستان محضاً

قد احتميا بملكهم العميم بلا عزم ولا قلب سليم صروح إخوانهم فوق النجوم بلا زهر يرضوع ولا شميم وهم أصحاب جنات النعيم

\* \* \*

يعيد الكون قصتهم حديثاً فكم نزحوا عن الأفكار شوقاً وبأس شبابكم أدمى خطاهم هى المدنية الحمقاء ألفت لقد صنعت لهم صنم الملاهى

وينشئ من حديثهم الفنونا إلى التحليق فوق العالمينا فظنوا فيه بالدين الظنونا بهم حول المذاهب حائرنا لتحجب عنهم الحرم الأميना

\* \* \*

ومل من الشكاية والعذاب  
يرى ليلاه وهى بلا حجاب  
رأى وجه الغرام بلا نقاب  
من الماضى وأغلق كل باب  
وعاثت فى الجبال وفى الهضاب

لقد سئم الهوى فى البيد قيس  
يحاول أن يباح العشق حتى  
يريد سفور وجه الحسن لما  
فهذا العهد أحرق كل غرس  
لقد أفنت صواعقه المغانى

\* \* \*

لها حطب سوى المجد القديم  
لكم فى النار روضات النعيم  
سني العطر قدسى النسيم  
من العناب مخضوب الأديم  
عقوداً للبراعم والكروم

هى النار الجديدة ليس يلقي  
خذوا إيمان إبراهيم تنبت  
ويذكو من دم الشهداء ورد  
ويلمع فى سماء الكون لون  
فلا تفزع إذا المرجان أضحي

\* \* \*

وكم بادت نخيل فى البوادي  
على مر العواصف والعوادي  
بقاء الشمس والسبع الشداد  
يرى كنعانه كل البلاد  
بلا جرس ولا ترجيع حادي

فكم زالت رياض من رباها  
ولكن نخلة الإسلام تنمو  
ومجدك فى حمى الإسلام باق  
وأنتك يوسف فى أى مصر  
تسيربك القوافل مسرعات

\* \* \*

لأنك غير محدود المكان  
من الإيمان عاقبة الأمان  
حماة الحجر والركن اليمان  
وأنت النجم يشرق كل آن  
بشعلتك المضيئة فى الزمان

ضياؤك مشرق فى كل أرض  
بغت أم التتار فأدركتها  
وأصبح عابدو الأصنام قدماً  
فلا تجزع فهذا العصر ليل  
ولا تخش العواصف فيه وانهض

\* \* \*

أعد من مشرق التوحيد نوراً  
وأنت العطر في روض المعالي  
وأنت نسيمه فاحمل شذاه  
وأرسل شعلة الإيمان شمساً  
وكن في قمة الطوفان موجاً  
يتم به اتحاد العالمينا  
فكيف تعيش محتسباً دفيناً  
ولا تحمل غبار الخاملينا  
وصغ من ذرة جبلاً حصينا  
ومزناً يمطر الغيث الهتوناً

\* \* \*

فباسم محمد شمس البرايا  
تلاً في الرياض وفي الصحارى  
ونبض الكون منه مستمد  
ومن مراكش يغزو صداه  
وما مشكاة هذا النور إلا  
أقيمت خيمة الفلك المنير  
وفوق الموج والسيل المغير  
حرارته على مر العصور  
ربوع الصين بالصوت الجهير  
ضمير المسلم الحر الغيور

\* \* \*

ورفع الذكر للمختار رفع  
فكن إنسان عين الكون واشهد  
بخنجر عزمك الوثاب لاحت  
نداؤك في العناصر مستجاب  
وعقلك في الخطوب أجل درع  
لقدرك نحو غايات الكمال  
مقامك عالياً فوق المعالي  
على الأعلام أنوار الهلال  
إذا دوى بصوت من بلال  
وعشقك خير سيف للنضال

\* \* \*

خلافة هذه الأرض استقرت  
وفى تكبيرك القدسي يبدو  
فيا من هب للإسلام يدعو  
سترفع قدرك الأقدار حتى  
وقيل لك احتكم دنيا وأخرى  
بمجدك وهو للدنيا سماء  
صغيراً كل ما ضم الفضاء  
وأيقظ صدق غيرته الوفاء  
تشاهد أن ساعدك القضاء  
وشأنك والخلود كما تشاء

\* \* \*

## نجوم في سماء الأمة الإسلامية

### في العلم والأدب والإعلام

- نجمان في سماء آداب الشعوب الإسلامية .
- العلامة الدكتور حسين مجيب المصري  
والبرفسور نصر الله مبشر الطرازي .
- العلامة مبشر الطرازي ، الداعية الأديب والزعيم المجاهد
- خطاب الشاعر الدكتور محمد إقبال لأمة العرب
- الداعية المهندس محمد توفيق بن أحمد سعد
- رجل بلغ الإسلام لآلاف من مثقفي العالم وأسلم  
على يده ( ٤٠٠٠ ) أربعة آلاف .
- الشاعر العلامة الدكتور عمر الجارم ( في ذمة الله )
- ورحل رئيس تحرير ( الاعتصام )
- الدكتور محمد أحمد عاشور ( في ذمة الله )
- الشيخ أحمد عيسى عاشور : الداعية المبارك  
والإعلامي الرائد .
- مؤمن بكت لرحيله السماء والأرض .
- الدكتور زكي على وسبعون عاما في خدمة  
العلم والإسلام .
- المجاهد الشهيد عمر المختار : مثلٌ بديعٌ في الجهاد كريمٌ



## الفصل الأول

### نجمان في سماء العلم وآداب الشعوب الإسلامية العلامة الدكتور حسين مجيب المصري والبرفسور نصر الله مبشر الطرازي

● إن تكريم العلماء والناهبين العبقريين من أبناء الأمة أدب إسلامي جوهري، وهو أمانة من أمارات التحضر والرقي، ومظهر من مظاهر العافية في الأمة ونهضتها الواعدة، وأمتنا - بما وهبها الله تعالى من مقومات النهضة والسيادة والريادة - مهيئة لمستقبل مجيد إذا عرفت نفسها وأحسن استثمار طاقاتها وأجادت فنون الإدارة والتوجيه والتربية وأعلت من شأن العلم والعلماء واحتفت بقيم النبوغ والعبقرية في مناخ الكرامة الإنسانية والحرية المسعولة والتناسق العبقري بين الإنسان المؤمن وعناصر البيئة المحيطة به في توازن بديع وانسجام تام.

- وسُنَّ اللهُ تعالى في خلقه وكونه لا تتخلف أبداً، فمن سلكها ونَهَجَ دروبها والتزم قوانينها حقق الغلبة والقوة والسيادة وفرض هيبتة وهيمنته وثقافته على الآخر، وهذا أمر مُتَحَقِّقٌ فعلاً في مسار التاريخ ونهضة الأمم وقيام الحضارات والدول والممالك و ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ [الرعد: ١١] - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]

● ومن ثمَّ يفرح الغيورون على أمتهم، العاملون لنهضتها وعزتها لكل بادرة تبشر بانبلاج الفجر الجديد، ووضع لبنة في البناء المجيد، وبخاصة الاحتفاء بالعلم والعلماء الأعلام من ذوي العطاء العبقري في مجال تخصصهم ونشاطهم، الأمر الذي لا ينبغي أن يمر دون وقفة تقدير وتوثيق واحتفاء.

– لقد كان مساء الاحتفالية القاهرية في مناسبة تكريم عالين رائدين في خدمة آداب الشعوب الإسلامية والتراث الإسلامي حدثاً عبقرياً ازدان به ليل القاهرة مساء الأربعاء السادس عشر من ديسمبر لعام (١٩٩٨ م)، وأنشده النيل لحناً شجياً طربت لأنغامه أمواجه واهتزت لوقعه صفحات كتابه، أما قصر السفير التركي الذي شهد الاحتفالية فعاش ليلة عرس تآلق فيها العلم والعلماء في جو يعبق بآيات الفن الإسلامي وعبقرية العمارة وروعة البناء ودفء اللقاء، حيث التأم الحفل بحضور صفوة أهل العلم والأدب ورجال السلك السياسي وأساتذة الجامعات ورجال الإعلام ووكالات الأنباء من مصر وتركيا وحضور السفير التركي بالقاهرة احتفالاً واحتفاءً بتكريم الأستاذين الرائدتين في خدمة تراث وحضارة وآداب الشعوب الإسلامية العلامة الدكتور حسين مجيب المصري والأستاذ الدكتور نصر الله مبشر الطرازي الحسيني، الأول من مواليد مصر في عام (١٩١٦ م) والثاني من مواليد طراز من أعمال فرغانة وطشقند من بلاد تركستان الغربية في الخامس عشر من مارس عام (١٩٢٢ م) وقد تم تسليمهما وسام الجمهورية التركية للأعمال العلمية ذات المستوى الرفيع من يد سعادة سفير تركيا بمصر مع شهادة البراءة والتقدير من رئيس الجمهورية التركية الرئيس سليمان ديمريل.

● وقد بدت علامات الفرحة والابتهاج واضحة جلية في وجه السيدين العالمين الرائدتين وفي وجه المحتفلين والمحبين؛ لأن مثل هذا الموقف يسعد المحتفى به، إذ يجنى بعض ثمار كده واجتهاده وسهره وتضحيته في سبيل العلم والأدب وإعلاء شأن أمته وحضارته ويحفز شباب الأمة الواعد لبذل الجهد واقتفاء أثر الرواد الأفاضل والاستنارة بسيرهم وأدبهم رغبة في السبق والإبداع والفوز برضا الله وخدمة العلم ونهضة الأمة ورفيها وعزتها؛ ولذا لم يكن غريباً أن تنطق كلمات المناسبة الكريمة من السيدين المكرمين بالرضا والشكر والامتنان لله الواحد المنان، حتى إن البرفسور الطرازي قال في حديثه لوسائل الإعلام عقب احتفالية التكريم

«إن هذه اللحظات أجمل أوقات عمري وسعادتي فيها لا توصف»، أما شيخ العلماء والأدباء الدكتور حسين مجيب المصرى فقد صاغ كلمته وعبر عن مشاعره وفكرته نظماً بديعاً باللغة التركبية وحرص على الحضور برغم اعتلال صحته وفقدان بصره فى شيخوخته .

● والدكتور نصر الله مبشر الطرازى هو الابن الأكبر للعلامة مبشر الطرازى الزعيم الروحى والقائد الوطنى لتركستان الغربية والذى جاهد الاحتلال الروسى القيصرى والبلشفى من بعده وهو الداعية المصلح والأديب الشاعر الذى أبدع القصائد من عيون الشعر باللغات الإسلامية الثلاثة : العربية والفارسية والتركية وصاحب المؤلفات والكتب المراجع فى الأدب والنقد والفقہ والسيرة والعقائد، وهو الرجل الذى تخرج فى جامعته الطرازى الابن المكرم السيد البرفسور نصر الله الطرازى وأحد نجمة الاحتفالية .

– فلا جرم أن يكون هذا الشبل من ذاك الأسد، ولا عجب أن نجد الابن نفحة من بستان الأب وإشراقاً من روحه وقبساً من نوره، وبهذا يمكننا تفسير هذا العطاء العلمى الثرى للطرازى الابن فى خدمة آداب الشعوب الإسلامية وتراثها الزاهر من خلال عمله بدار الكتب المصرية والوثائق منذ عام ( ١٩٥١م )، بداية من مفهرس ثم مفهرس أول فرئيس لقسم الفهارس الشرقية وخبير للوثائق إلى أن أحيل للمعاش فى مارس ( ١٩٨٢ م )، ومن خلال انتدابه أستاذاً غير متفرغ لتدريس اللغات الشرقية بدار الكتب المصرية، وما كان له ذلك لولا إجادته وتمكنه من اللغات الشرقية الإسلامية الفارسية والتركية العثمانية والحديثة وآدابها فضلاً عن إجادته للغة العربية واللغة الفرنسية .

– وليس من شك أن عمل أستاذنا الطرازى فى دار الكتب المصرية، وتحديدأ فى مجال كتب التراث الشرقى والوثائق قد أفاده كثيراً، الأمر الذى أدرك حكمته فى مرحلة متأخرة من عمره المديد، عندما أصر والده العلامة مبشر الطرازى أن يعمل بدار الكتب المصرية براتب يقل كثيراً جداً عن الراتب المقرر

لوظيفة أخرى فى السلك الدبلوماسى فى السفارة الأفغانىة فى القاهرة؛ ولذا قال الطرازى الابن المكرم فى حواراه مع الإذاعى والإعلامى الأستاذ محمد الطنبداوى عقب حفل التكريم: «إن عملى فى دار الكتب هو الذى جعل نصر الله نصر الله!!».

– هذا وقد سبق الاحتفاء بالدكتور نصر الله الطرازى فى احتفاليات علمية عقدت لتكريمه فى مناسبات مختلفة، وفى بلاد كثيرة منها تركيا وإيران وتركستان الغربية (جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية سابقاً) فضلاً عن مصر، حيث منحه مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول شهادة الجدارة والتقدير عام (١٩٩٠م)، ومنحته أكاديمية أتاتورك للغة والتاريخ والثقافة عضوية شرف مركزها الثقافى فى (١٤/٢/١٩٩٥م) كما منحته جامعة مرمرة باستانبول الدكتوراة الفخرية فى (١١/٧/١٩٩٥م)، وكرّمته جامعة أوزبكستان للدراسات الشرقية بالدكتوراة الفخرية فى (٣٠/١٠/١٩٩٦م) قدمها له سعادة وزير التعليم العالى الأوزبكستانى فى حفل بهيج.

● وللرجل أعمال جليلة أهّلتة للصدارة فى خدمة العلم والتراث وآداب الشعوب الإسلامية لقراءة الخمسين عاماً ومن ذلك قيامه بإعداد فهرس بطاقية ثم الفهارس المطبوعة لحوالى ثلاثة وعشرين ألف كتاب شرقى مخطوط ومطبوع من مقتنيات دار الكتب المصرية، وتمّ طبع تلك الفهارس فى أربعة عشر مجلداً ضخماً، ومنها [نور الدين عبد الرحمن الجامى] فهرس بمؤلفاته الفارسية والعربية وقد تُرجم إلى اللغة الأوزبكية وطبع عام (١٩٦٤م)، وكذلك الفهرس الوصفى للمخطوطات الفارسية المزينة بالصور – دراسة وتحليل وطبع عام (١٩٦٨م) مذيلاً بثمانين لوحة من المنمنمات للمدارس الإسلامية المختلفة للتصوير.

– أما فى مجال التأليف والتدريس فلاستاذنا مؤلفات كثيرة فى اللغة والأدب والوثائق وقواعد اللغات الفارسية والتركية العثمانية وعروضهما فضلاً عن

مشاركته في مجال التحقيق والترجمة كما في كتاب ( تاريخ بخارى للمرشحي مع التحقيق والتعليق بالإشتراك مع الدكتور أمين عبد المجيد بدوي والذي نشرته دار المعارف بمصر ثلاث مرات .

- ومن مؤلفات البرفسور الطرازي [ دستور زبان فارسي - أي « قواعد اللغة الفارسية » ] (والبذرة في قواعد اللغة العثمانية) وتم طبعه عدة طبعات (دراسات في البلاغة والعروض العثمانية) وطبع مرتين [دراسات في المخطوطات الفارسية] وطبع في طهران، وله أيضاً [فهرس المصادر والمراجع عن الأمير تيمور والتيموريين المخطوطة بدار الكتب المصرية] وطبع في طبعة أنيقة برعاية سفير أوزبكستان بالقاهرة عام (١٩٩٦م) و[إطالة على العطاء العلمي والحضارى لمحافظة بخارى وخيوه خلال (١٣) ثلاثة عشر قرناً] وتم طبعه في مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة و[نبذة عن الآثار الإسلامية التاريخية ببخارى وخيوه] وهو مصور، وقد تم طبعه بالمركز السابق أيضاً، وله ترجمة أوزبكية تطبع في أوزبكستان، وللرجل تحت الطبع (تركستان: ماضيها وحاضرها) و[دراسات في المخطوطات التركية].

- وقد نُشِرَت مقالات البرفسور الطرازي الكثيرة في أفغانستان وباكستان وأوزبكستان والبلاد العربية وبخاصة في الإمارات العربية، كما نشرت مشاركاته في التحقيقات الصحافية في صحف: (المدينة) و(القبس) و(العلم) و(البلاد) فضلاً عن الصحف والمجلات المصرية، وقد زار أستاذنا الطرازي تركيا عام (١٩٦٧م) وبلغاريا عام (١٩٧٣م) وإيران عام (١٩٧٧م) بدعوات رسمية ومكث في كل بلد ثلاثة أسابيع، وألقى فيها المحاضرات وبذل الجهد لربط المكتبات ودرور النشر بتلك البلاد بالجامعات والمكتبات ودور النشر المصرية، وقد تمَّ ذلك فعلاً لتوطيد العلاقات الثقافية بين مصر وتلك البلاد.

- كما قدر الله تعالى للرجل أن يعيش حتى يرى سقوط الاتحاد السوفيتي واستقلال تركستان الغربية بجمهورياتها الخمس، وقد دُعِيَ لزيارة وطنه الأم

أوزبكستان بعد غربة دامت ستة وستين ( ٦٦ ) عاماً في أكتوبر ( ١٩٩٦ م ) في إحياء ذكرى الأمير تيمور البار لاسى التركى منقذ تركستان من مظالم المغول والبطل القومى التاريخى للشعب التركستانى ، كما زار مسقط رأسه طراز عاه ( ١٩٩٧ م ) حيث زار مقابر أجداده العظماء مرشدى الطريقة النقشبندية لطائفتى القازاق والقرغز، وقرأ الفاتحة على أرواحهم وعلى روح والدته التى تركها وحرم عطفها وحنانها وعمره سبع سنوات وقد لبّت نداء ربها عام ( ١٩٦٩ م ) ورحلت عن دنيانا مكتوبة بنار فراق ابنها الوحيد المهاجر فى صُحبة والده، كما زار أوزبكستان أخيراً مدعوا لحضور مؤتمر الإمام البخارى والفلكى الموسوعى أحمد ابن محمد الفرغانى الذى أنشأ مقياس النيل بالروضة بمصر عام ( ٨٦١ م ) ، وقد حصل الطرازى على الجنسية المصرية عام ( ١٩٦٤ م ) بصفة استثنائية، ولا يزال يعيش بهمة الشباب، يواصل التدريس والمحاضرة فى الجامعات المصرية ويحضر المؤتمرات العلمية فى مصر وخارجها، ويتواصل مع الإعلام ويتعاطى الأدب ويعالج فنونه المختلفة.

● أما ثانى القمتين البادختين والنجمين المكرمين فهو العلامة الدكتور حسين مجيب المصرى شيخ علماء اللغات الشرقية الإسلامية وأستاذ الأساتذة، والذي كان أول عهدى بالتعرف عليه والأخذ عنه على شرف البحث فى فكر وأدب شاعر الإسلام الفيلسوف الدكتور محمد إقبال حكيم الشعراء وشاعر الحكماء ( كما لقبه الداعية الطبيب الدكتور زكى على - رحمه الله تعالى ) ، وقد تيسر لى وقتها بعض مؤلفاته عن إقبال والتي أفدت منها فى بحثى عن إقبال أيما إفادة ومنها : [إقبال والعالم العربى] و[إقبال والقرآن]، وقد أفنى الرجل عمره فى خدمة العلم وأدب الشعوب الإسلامية وإجادة اللغات حتى كفّ بصره ولم يزل يعطى عطاء عبقرياً ويتواصل مع الإعلام ومجالات الدرس الأدبى تواصلًا حميمياً وقد قارب الخامسة والثمانين.

- والأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى شيخ أدباء الشعوب الإسلامية

قد وُلد في بيت عريق من أسرة مصرية ذات حسب ونسب عام (١٩١٦م) وأنهى دراسته في مصر حيث نال دبلوم الدراسات الشرقية والتركية والأردية عام (١٩٤٢) ثم الدكتوراة من جامعة القاهرة عام (١٩٥٥م) في اللغة التركية والفارسية وآدابهما عن رسالته (فضولى البغدادي أمير الشعر التركي القديم) وتقلد الرجل المناصب العلمية المتنوعة في مختلف الجامعات والمعاهد العلمية في مصر وقد استقر به المقام أستاذاً جليلاً وعلماً رائداً في قسم لغات الشعوب الإسلامية بكلية الآداب بجامعة عين شمس .

● ويعتبر الدكتور حسين مجيب المصرى - كما يقول عنه رفيق دربه البرفسور نصر الله الطرازى - يُعتبر أستاذاً الجليل حقاً، وله شهرة علمية في العالم الإسلامى والغربى على السواء، وهو يجيد من اللغات، التركية والفارسية والأردية والفرنسية والإنكليزية مع الإمام بالألمانية والإيطالية والروسية وله مؤلفات تزيد عن الستين، تمَّ ترجمة بعضها إلى لغات أجنبية، ويمضى رفيقه الدكتور نصر الله الطرازى فيقول: وهو فى لغته العربية أديب أريب، وشاعر مُجيد، ولقلوب عشاقه ومحبيه جُدّ قريب، وله كتب فى الشعر والأدب المقارن، كما أن له دواوين شعرية مطبوعة بالعربية والفارسية والتركية منها: «شمعة وفراشة» و«شوق وذكرى» و«موجة وصخرة» و«صولغون» (الوردة الذابلة) بالتركية . . كما ترجم الدكتور حسين مجيب المصرى من شعر وأدب الشاعر محمد إقبال: «هدية الحجاز» و«فى السماء» و«روضة الأسرار» كما ترجم نظماً عن التركية (المولد الشريف) لسليمان جلى، ونظم بالعربية من ترجمة نثرية [منتخبات من ديوان الشاعر القازاقى (آباى)].

- ويصف الدكتور الطرازى ترجمة أستاذنا حسين مجيب المصرى بأنها «تمتاز بصفاء الديباجة وفصاحة الأسلوب وإشراقه البيان» .

● وبرغم ما ناله أستاذنا الدكتور حسين مجيب المصرى من أوسمة علمية وأدبية، وبرغم ما حظى به الرجل من حفاوة وتقدير وتكريم فى المؤتمرات العلمية

والدراسات المتخصصة والمنتديات الفكرية، لم يزل الرجل العلامة خليقا بالمزيد والمزيد من الاحتفاء والاحتفال في مختلف مواقع العلم والتعليم والثقافة والإعلام.

– وقد تسلّم أستاذنا الجليل الدكتور المصري وسام الجدارة الباكستاني من الرئيس ضياء الحق – رحمه الله تعالى – عام (١٩٨٨ م) ومنحته جامعة مرمرة باستانبول الدكتوراه الفخرية عام (١٩٩٥ م)، كما منحته الجمهورية التركية براءة التقدير من الرئيس سليمان ديمريل مع وسام الجمهورية للأعمال ذات القيمة العالية، قدمه له سعادة سفير تركيا بمصر وحضره جمع من السلك السياسى وأساتذة الإعلام والجامعات المصرية والتركية والشخصيات العلمية والأدبية والإعلامية ونفر من طلاب الدراسات العليا بالجامعات المصرية، كما أشرنا فى صدر هذه المقالة .

– وبعد: فما أحرانا أن نتمثل دائماً قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]

وسبحان الله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا هدايته وتوفيقه .

\* \* \*

## الفصل الثاني

### العلامة مبشر الطرازي (\*)

### الداعية الأديب والزعيم المجاهد

• رجل مبارك تمثل حياته ونشاطاته للدين والحياة والأدب الإسلامى  
أتمودجا نادرا لوحدة أمة الإسلام وممتانة ما يربط بين شعوبها من وشائج  
الدين والأخلاق والأحاسيس والمصير .. إنه سماحة العلامة مبشر الطرازي  
الحسينى رحمه الله المولود فى مدينة طراز من أعمال تركستان « ١٨٩٦ م »  
والمتوفى فى القاهرة « ١٩٧٧ م » وبين صفحتى الميلاد والوفاة كتاب حياة الرجل  
الحافل بالعلم والفقہ والتبليغ الإسلامى والجهاد فى سبيل الله والدفاع عن وطنه  
تركستان فى مواجهة الاحتلال الروسى القيصرى والبلسفى الشيوعى من بعده ثم  
هجرتة إلى أفغانستان ومصر فى سبيل الله لمواصلة الجهاد ضد المستعمر وتوعية  
المسلمين بالأخطار التى تحدى بهم ودعوة الأمة الإسلامية للاتحاد والتضامن عملا  
بقول الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣]  
وكل ذلك بالكلمة الطيبة والنصح الجميل لأئمة المسلمين وعامتهم والقودة  
الحسنة والنظر الثاقب والفقہ المتجدد والتربية الروحية وبيان عربى وفارسى  
وتركى بليغ ورائع وجميل .

• ولقد أحببت العلامة الطرازي دون أن ألقاه وأعجبت به دون أن أراه  
وأول ما شدنى إليه كتابه « كشف اللثام عن رباعيات الخيام » الذى كتبه بالعربية  
وطبع غير طبعة فى مصر والذى يشتمل على فكرة جديدة تهدم ما استقر فى

---

( \* ) شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تُحرر هذه الدراسة وتُنشر فى ( أخبار الخليج )  
البحرينية مع تفكك الإتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية واستقلال جمهوريات تركستان الغربية  
فكان ذلك كرامة لجهاد الرجل ضد الروس القياصرة والبلاشفة من بعدهم الذين احتلوا بلاده  
تركستان وارتكبوا فيها أفحش الجرائم التى ترتك ضد الشعوب .

ذهن الأدباء من أن الشعر الذى يعرف برباعيات الخيام هو للحكيم والعالم الرياضى الفلكى عمر بن إبراهيم الخيام النيسابورى وينفى ذلك بأسلوب الدارس المحقق والباحث الموضوعى المتمعن وينتهى إلى نفى شعر الرباعيات وبخاصة ما يشتمل على الكفریات والاستهتار بالنبوة والأنبياء والدعوة إلى احتساء الخمر ومصاحبة الحسان وتمضية الوقت فى المتع والملذات . . ويرى أن ما يمكن تأويل رموزه على طريقة المتصوفة أو ما اشتمل على بعض الفلسفات فى النظر إلى الكون والحياة والجنوح إلى التشاؤم والجبرية رباعيات لا يمكن توثيق نسبتها إلى الخيام تاريخيا بصورة جازمة.

● ونفى الطرازى بأسلوب الباحثين الكبار نسبة الرباعيات بعوامل كثيرة منها سيرة الخيام وثقافته وما نقله عنه معاصروه وتلاميذه وبيئته ومكانته والتضارب فى عدد الرباعيات، وأرجع ذلك الافتراء إلى نوعين من أعداء الأمة والدين: الأول من بين الفرق المنحرفة التى تعيش فى المجتمعات الإسلامية والثانى من خارج المجتمع الإسلامى ويتمثل فى المستشرقين وعلى رأسهم الشاعر الإنجليزى «فيتزجرالد» وكان لكاتب هذه السطور مساهمة فى التعريف بذلك الجهد العظيم للعلامة الطرازى بخصوص رباعيات الخيام وإضافة ما استحدث فى الأوساط الأدبية والثقافية بخصوص تلك الرباعيات ومن ذلك اكتشاف زيف النسخة الأصلية لرباعيات الخيام التى كانت مرجعا أساسيا للباحثين عن الخيام وفلسفته فى الحياة وكانت تلك النسخة موجودة بمكتبة بودلين بجامعة اكسفورد فضلا عن إجماع كثير من الدارسين بقسم اللغات الشرقية فى الجامعات المصرية على أن الخيام لا يعد من بين شعراء الفرس كالشيرازى وجلال الدين الرومى وأن شهرة الخيام جاءت عن طريق الغرب بواسطة الشاعر الإنجليزى فيتزجرالد وأشاع الغرب ذلك أيام الاستعمار العسكرى لأغلب الأقطار الإسلامية لأهداف سياسية خبيثة ومعروف أن أقدم نسخة لها يسمى برباعيات الخيام مؤرخة بعد وفاته بثلاثة قرون ونصف

وتشتمل على ثمان وخمسين ومائة رباعية ومعروف أنه كلما بعدت الوثيقة من حياة صاحبها ووفاته ضعفت الثقة بها وصارت الأشعار المعروفة برباعيات الخيام بعد كتاب العلامة الطرازى « كشف اللثام عن رباعيات الخيام » تذكر علميا فى الأوساط الأدبية الملتزمة بأصول الدرس الأدبى وتعرف برباعيات الخيام المنسوبة إلى الخيام ودفع الطرازى - الذى يجيد الفارسية وينشئ بأسلوبها الدرى الكتب والمنظومات - دفع عن عمر الخيام ما لحقه من زور وبهتان ونقى صفحته وأنصف تاريخه وسيرته .

ولقد كان حسناً أن يقيم قسم اللغة الفارسية بجامعة عين شمس المصرية ندوة سنوية يحتفى خلالها بذكرى عالم إسلامى عبقرى ممن حملوا هموم أمتهم الإسلامية ولهم آثار منشورة وبديعة فى حقل اللغة الفارسية ومن ثم كان اتجاه قسم اللغة الفارسية مع بداية العام الجامعى « ١٩٨٦ - ١٩٨٧م » إلى عقد تلك الندوة العلمية كل عام تنشيطا للإسهام الفكرى للقسم كما قال الدكتور بديع محمد جمعة مقرر الندوة المذكورة « قرر مجلس القسم أن تحمل كل ندوة اسم علم من أعلام الثقافة الشرقية الإسلامية تمجيدا لهؤلاء الأعلام وإبرازا للدور كل منهم فى إثراء الحركة الفكرية الإسلامية وليجد فيهم أبناء الجيل الجديد القدوة الحسنة التى يجب أن تتحدى » .

يقول السيد مقرر الندوة « ثم وقع اختيار المشرفين على عقد الندوة على اسم العلامة مبشر الطرازى ليكون علما على ندوة القسم الأول التى تقرر لها أن تعقد فى الفترة ما بين الثالث والعشرين والخامس والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٧٨ م ويرجع هذا الاختيار إلى كون العلامة الطرازى قد كتب باللغات الإسلامية الثلاث العربية والفارسية والتركية كما أن الفقيه قد أفنى عمره كله دفاعا عن الحمىة الإسلامية ونشر الدعوة الإسلامية سواء فى موطنه الأصيلى بالتركستان أو فى البلاد الإسلامية التى تنقل للعيش فيها ومنها أفغانستان ومصر .

## ● مؤلفاته :

ومؤلفات العلامة الطرازى وآثاره العلمية والأدبية والصحفية ونشاطاته فى حقل الدعوة والتربية أكثر من أن تحصى ويوجز السيد نصر الله مبشر الطرازى مؤلفات والده وآثاره بقوله: « وللعلامة الطرازى أثران باللغة التركية تمت مصادرتها من قبل الحكومة الشيوعية فى تركستان وأحد عشر أثرا فارسيا وعشرون كتابا باللغة العربية تم طبعها ونشرها والحمد لله وتسع محاضرات فى مواضيع علاوة على ديوانه « أزهار حديقة الحياة » الذى يضم أشعارا عربية وفارسية وتركية ومئات من المقالات باللغات الثلاثة الإسلامية المنشورة فى الصحف التركستانية والأفغانية والعربية والباكستانية وفى مجلة ( المخبر الياباني ) التى كانت تصدر عن الجمعية الإسلامية بطوكيو وبعض مؤلفاته الفارسية ترجم إلى العربية والتركية واليابانية . »

– والوقوف أمام مؤلفات العلامة الطرازى يحتاج إلى مقالات ومقالات وحسبنا الإشارة إلى أبرزها كتابه القيم « إلى الدين الفطرى الأبدى » وهو كتاب يعرض فى أسلوب سهل مزايا الإسلام باعتباره دين الله لجميع أنبيائه ورسله « إن الدين عند الله الإسلام » ويقدم خلاله دراسة مقارنة لمبادئ الإسلام مع الديانات الأخرى المحرفة ويستعين فى إثبات ذلك ببيان عربى واضح ورضين باسطة أفكاره مؤيدة بالأدلة العقلية والنقلية وآراء المفكرين المسلمين والأوروبيين .

– وله بالفارسية كتاب « الجندية فى الإسلام » وبالعربية كتابه « إلى الجندية أيها العرب » وله فى موضوع المرأة بالفارسية كتابه « المرأة فى الإسلام » وتناول العلامة الطرازى موضوع المرأة وحقوقها فى الإسلام فى كتابه بالفارسية والعربية المشار إليهما آنفا بفقده واسع وإلمام بقواعد الاجتهاد وأصوله وجرأة فى تناول القضايا المعاصرة التى تتعلق بالمرأة تضعه فى مصاف المجتهدين .

وللطرازى قريحة شعرية متقدة ويبدو ذلك واضحا جليا فى أشعاره بالعربية والفارسية والتركية وبخاصة مثنويه والذى يحوى أكثر من أربعة آلاف بيت من

بحر الرمل وقبل التعريف بمثنوى الطرازي المنظوم باللغة الفارسية لا بد من نبذة عن جهاد العلامة الطرازي في طلب العلم ومقاومة الاحتلال الروسي لبلاد التركستان وهجرته بعد ذلك إلى أفغانستان ومقامه بها واستقراره بمصر فرارا بدينه من مطاردة الشيوعيين متحرفا لقتالهم من مواقع أخرى وبأساليب جديدة .

ولقد حكى لى السيد نصر الله الطرازي أن والده ينحدر من أسرة ذات فضل ومكانة في الدين والعلم والزعامة فقد كان والده العلامة سماحة الشيخ محمد خان بن محمد غازي خان الحسيني مرجع المسلمين في تركستان في الفقه الإسلامي وعلمنا من أعلام العلوم العربية والآداب الشرقية وكانت ولادته في السابع والعشرين من رجب سنة ١٣١٤ هـ الموافق للعشرين من ديسمبر سنة ١٨٩٦م من أم يصل نسلها إلى آخر امراء تركستان الشرقية الأمير السيد بزرگ خان وقد أتم تعليمه الابتدائي بمدينة طراز مسقط رأسه تحت رعاية والده وعلى يد أساتذة ومؤدبين خصوصيين ثم أتم تعليمه الثانوي والعالى بطشقند في جامعة أبى القاسم خان ثم سافر إلى بخارى حيث أتم دراسته العليا في جامعة بخارى المعروفة في العالم الإسلامي سنة ١٩١٧م وتخصص في الأدب العربي وعلوم التفسير والفقه ونال إجازة التخصص في الحديث على يد أستاذه الشيخ محمد العسلى الشامى رئيس بعثة التبليغ الإسلامى من قبل السلطان عبد الحميد خان فى الشرق الأقصى .

– يحكى الطرازي قصة لقائه بالشاعر الإسلامى محمد إقبال ضمن أربعة وعشرين بيتا وفيها يسأل العلامة إقبال العلامة الطرازي فيقول «إن السلف لم يكونوا يخافون من الموت أما المسلمون الآن فيخافونه ... فما السبب فى ذلك؟» فيرد الطرازي بأن ذلك يرجع إلى قوة الإيمان وضعفه لأن السلف كانوا أقوياء فى إيمانهم بالله ورسوله وبالشريعة الإسلامية أما الآن فقد أصيبوا بشئ من ضعف الإيمان نتيجة بعدهم عن التعاليم الإسلامية وتقليدهم للغرب فى الفكر والعمل

وقد التقى الطرازي بالعلامة محمد إقبال في مناسبتين ... الأولى عندما زار إقبال أفغانستان في وفد من علماء الهند بدعوة من الملك محمد نادر شاه في أوائل الثلاثينات والثانية كانت عند سفر الطرازي للعلاج بالهند حيث دعاه العلامة إقبال ليحاضر في « وجوب الاتحاد الإسلامي » في المجلس السنوي بجمعية ( حماية الإسلام ) بلاهور .

وفي مصر التي أمها متوجها من بشاور في سبتمبر سنة ١٩٤٩م حيث رحبت به مصر أرض الكنانة حكومة وشعبا باعتبارها قبلة الأحرار وملتقى المجاهدين ومعقد الرجاء للمظلومين والمضطهدين من أبناء العرب والمسلمين ومنحته مصر حق اللجوء السياسي ولحق به أولاده وأسرتة في يناير سنة ١٩٥٠م حيث التحقوا بالمدارس والجامعات المصرية وأقاموا بها معززين مكرمين .

وبعد حياة حافلة بالدرس والفقہ والأدب والتوجيه الإسلامي والتربية والتعليم والتبليغ الإسلامي والدعوة إلى الشريعة الإسلامية والجهاد في سبيل الحق يسترد الخالق وديعته وترجع نفسه مستجيبة لنداء ربها راضية مرضية صباح يوم الثلاثاء الرابع من ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ الموافق سنة ١٩٧٧م وتودعه مصر شعبا وحكومة في موكب سار فيه العلماء والأدباء والدعاة ويصلى عليه شيخ الجامع الأزهر الشيخ عبد الحلیم محمود رحمه الله ويدفن بمقابر آل الطرازي بجبل المقطم بالقاهرة .

رحمة الله عليه ورضى الله عنه وجزاه عن أهله ودينه وأمتة خير الجزاء .

\* \* \*

## الفصل الثالث

### خطاب الشاعر الدكتور محمد إقبال لأمة العرب (\*)

● العلامة الدكتور إقبال الملقب بشاعر الإسلام رجل عبقرى لا يكاد يشبهه أحد من أفاذا أمة التوجيد فى عصرنا الحديث . إذ أن ما تمتع به من قدرات ومواهب وما اضطلع به من مهام لخدمة قضية المسلمين فى شبه القارة الهندية بخاصة وقضايا المسلمين فى العالم الإسلامى الكبير بعامة بوأته منزلة يغبطه عليها رجالات الأمة وأفاذاها، وقد غلبت شهرته كشاعر على شهرته كفيلسوف ورجل دولة وقانون لما تميز به شعره من سمو المعنى وقوة العاطفة فقد قَصَرَ شعره - أو كاد - على قضية نهضة المسلمين وقوتهم ليستردوا حقوقهم وليضطلعوا بدورهم فى هداية البشرية التى أعمتها الأطماع المادية عن قيم الحق والعدل والحب والأخذ بيد المستضعفين ونصرة المظلومين، ولما تميز به شعر إقبال أيضا من قوة التأثير فى النفس لما اشتمل عليه من قوة العاطفة وصدق النية وسلامة الطوية، ولما ضمنه إقبال من عميق الفكرة وثاقب النظرة وجمال الصوغ وروعة الخيال .

لذا لم يكن غريبا أن يلقيه شيخ القارة الهندية الأديب الإسلامى الكبير مولانا أبو الحسن الندوى بشاعر الطموح والحب والإيمان، كما لقبته العلامة الدكتور زكى على - رحمه الله - الأديب الإسلامى المهاجر والمقيم فى جنيف بشاعر الحكماء وحكيم الشعراء، فإقبال - رحمه الله - شاعر بين الفلاسفة وفيلسوف بين الشعراء وهو رجل دولة وقانون عند الساسة وأهل الحكم، لكن أهم ما يلفت النظر فى شخص إقبال وعبقريته هى تلك القدرة على استشراف

---

(\*) صحيفة (أخبار الخليج) البحرينية فى يوم الجمعة (١٢/١١/١٩٩٣م).

آفاق المستقبل والتحذير من الأخطار والأخطاء فى مسيرة الأمة العربية والإسلامية وكأنه كان يقرأ الغيب، وليس ذلك بمستغرب على العبد المؤمن المفكر الذى من الله - تعالى - عليه بمثل تلك القدرات الفذة وتلك الطاقات الإبداعية فنظر إلى المستقبل بنور الله وتحقق فيه ما ورد فى معنى الحديث الشريف « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » .

ولا شك أن وراء عبقرية إقبال المؤمنة وشاعريته المحركة لطاقت البعث والنهضة واليقظة بيعة صالحة وتربية نبيلة وتعليم ناجح وثقافة موسوعية جمعت فى مزيج عبقرى حكمة الشرق والغرب وحملت لواء الإصلاح والتجديد على طريق الإسلام ونور القرآن وهدى النبى المصطفى العدنان المثل الأعلى للإنسان الكامل والسلف الصالح من القادة المتخرجين فى مدرسة النبوة والتابعين بإحسان والصالحين .

● ولد إقبال فى مدينة سيالكوت فى إقليم البنجاب فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٢٨٩ هـ الموافق التاسع من نوفمبر سنة ١٨٧٧ م لوالد صالح فى أسرة تنحدر من سلالة البراهمة الهنود وهى الطبقة الأعلى فى مجتمع الهنود القديم والتى كانوا يزعمون أنها تتصل بالآلهة وتمثل طبقة الصفوة، وقبل ثلاثمائة عام من مولد شاعرنا الحكيم أسلم جده الأعلى على يد رجل صالح من العباد الصالحين فانتشر الإسلام بين هذه الأسرة البرهمية التى كانت تعبد الأوثان فى مجتمع طبقى، وما لبث التوحيد ونور النبى - محمد - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - أن خالط شغاف قلوب أفراد أسرته حتى بلغ قلب شاعرنا العبقرى محمد إقبال، ويحكى الدكتور عبد الله مبشر الطرازى أن والد إقبال رأى فيما يرى النائم، رأى حمامة بيضاء ناصعة تقع فى حجره وتسكن إليه وفسرت له الرؤيا أنه سيرزق ابنا عظيم الجد والإقبال، فكان الطفل المبارك هدية السماء ورحمة الله إلى أمته الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال .

● تلقى إقبال تعليمه الأول في مكتب تحفيظ القرآن حيث حفظ القرآن الكريم والتحق بالمدرسة الابتدائية والثانوية ببلدته، وجاز امتحان الثانوية بامتياز وتعلم اللغتين العربية والفارسية ثم أتم دراسته بالكلية الحكومية بلاهور عاصمة البنجاب وتفوق فيها وبز أقرانه، وتخرج في الكلية الحكومية بامتياز فعين مدرسا للتاريخ والفلسفة والسياسة في الكلية الشرقية بلاهور ثم أستاذا للغة الانجليزية والفلسفة في الكلية الحكومية ولما أنس فيه أساتذته البراعة والدقة أرسلته وزارة المعارف إلى لندن سنة ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة ( كامبردج ) وحصل على درجة علمية في الفلسفة وعلم الاقتصاد ثم رحل إلى جامعة ميونخ بألمانيا حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة وما لبث أن عاد إلى لندن ليحضر الامتحان النهائي في الحقوق فيحصل على درجة علمية في الحقوق .

● وإبان فترة إقامته في لندن حاضر عن الإسلام كثيرا وساهم بجهد كبير في الدعوة إليه والتعريف به مما أكسبه ثقة وشهرة واسعتين وانتفع بتلك الفترة التي قضاها في أوروبا أيما انتفاع، فأكب على دراسة الفلسفة الغربية وفكر الفلاسفة الغربيين أمثال هيغل ونيتشه وشوبنهاور وقام بمقارنات أفكارهم وأفكار الفلاسفة المسلمين أمثال ابن رشد وابن سينا وغيرهما، وعمل فترة أستاذا في جامعة لندن لتعليم اللغة العربية وذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق في بلاد المشرق في دار الإسلام وبلاد الغرب حيث الحضارة الأوروبية، ولكن يبقى التأثير الأكبر في عقل وعاطفة إقبال مرجعه إلى النشأة الأولى .

- يحكى إقبال في ديوانه ( أسرار خُودي ) أى « أسرار الذات » فيقول :  
« وقع على بابنا سائل وقوع القضاء، ورفع صوته كأنه نعيب غراب، وأخذ يهز الباب ! .. ولما آلمنى تصايحه وإلحاحه، خرجت إليه فهويت على رأسه بضربة بعثرت ما بيده مما جمعه طوال يومه، فلما رأى والدى تلك الحادثة اصفر وجهه الأحمر وانحدرت الدموع نهرا على خديه وقال : « تذكر يا بنى جلال المحشر !! يوم تجتمع أمة خير البشر، وارجع البصر كرة إلى لحيتى البيضاء !! »

ونحول جسمى المرتعش بين الخوف والرجاء!!

كن يا بنى من البراعم فى غصن (محمد)! وكن زهرة يحييها نسيم ربيع

(المصطفى)!!

- ويحكى إقبال عن طفولته أيضا فى الإشارة إلى حسن تربية والده له وتنشئته على مآدبة القرآن الكريم فيقول: « . . . تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبى يرانى فيسألنى ماذا أصنع؟ فأجيبه بأنى أقرأ القرآن، وظل على ذلك ثلاثة أعوام متتالية، يسألنى سؤاله فأجيبه جوابى، وذات يوم قلت له: ما بالك يا أبى تسألنى نفس السؤال وأجيبك جوابا واحدا ثم لا يمنعك ذلك من إعادة السؤال من غد؟ فقال: إنما أردت أن أقول لك: يا ولدى اقرأ القرآن كأنما نزل عليك، ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه فكان من أنواره ما اقتبست ومن درره ما نظمت » .

● وبين وفاة إقبال عام ١٩٣٨م قبل ميلاد حلمه فى إقامة دولة باكستان التى دعا إليها ووضع فكرتها وأسسها العقديّة ورسم حدودها وجغرافيتها فى خطابه فى الاحتفال السنوى لحزب الرابطة الإسلامية فى مدينة إله آباد فى ديسمبر سنة ١٩٣٠م وبين مولده فى التاسع من نوفمبر سنة ١٨٧٧م عطاء عبقرى وإنجازات عظيم ملهم وحكيم موهوب لا تتسع لها تلك المدة القصيرة فى حساب الزمن لولا ما أفاض الله - تعالى - به على شخصية إقبال من هداية العطاء وعطاء الهداية والتوفيق .

● وبرغم وفاة إقبال منذ نحو ما يزبو على ستين عاما إلا أن آراءه وأفكاره وخطاباته إلى أمته على المستوى الإقليمى والعربى والإسلامى لا تزال نافذة ومؤثرة وكأنه يعيش بين ظهرانينا، برغم انقضاء سنوات الدعوة إلى التحرر والاستقلال عن المستعمرين ومرحلة الاستقلال السياسى لأوطاننا العربية والإسلامية بعامّة ومراحل الصراع مع الغرب لإقامة وطن لليهود الصهاينة وحتى أسلو وما بعدها (اتفاق غزة - أريحا - أولا) برغم ذلك يبقى خطاب إقبال حيا

ماثلا لكل الأحرار أن انهضوا تحت راية القرآن ووحدا طاقات الأمة الإسلامية واستوعبوا حضارة العصر وثقافته وكونوا على مستوى التحدي .. لا تياسوا لا تضعفوا وكأني به يردد قول الله - تعالى - ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ \* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠] وكأني به يتأمل أحوال العرب وما وصلت إليه عندما لم تأخذ بنصحه مرددا قول الشاعر الجاهلي :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحا الغد

— يقول إقبال في خطابه للعرب: إن حكمة الغرب قد أسرت الأمم وتركتهم سلبية حزينة لا تملك شيئا، إنها مزقت وحدة العرب، واقتسمت تراثهم، إن العرب لما وقعوا في حباتهم تنكر لهم كل شيء وقسا عليهم الكون، ولم يجدوا من يرثي لهم ويفرق بهم وضافت عليهم الأرض بما رحبت وضافت عليهم أنفسهم» .

— ويلح إقبال في خطابه للعرب ليستنهض همهم مذكرا بدورهم فيقول موجها خطابه للعرب: أيها العرب قد منَّ الله عليكم إذ جعلكم مثل السيف البتار أو أحدٌ منه كنتم فيما قبل ترعون الإبل في الصحراء، تركبون عليها، وتظعنون بها، ثم انعكست الآية فيسخر الله لكم المقادير، فضلا عن الإبل فأصبحتم من مالكي أعنتها، فلو أقسمتم على الله لأبركم وهنالك دوت تكبيراتكم وصلواتكم، وزمزت حلبة حروبكم ومغازيكم بين الخافقين فارتج ما بين الشرق والغرب فما أحسن تلك المغامرات وما أجمل تلك الغزوات» .

— ويمضي إقبال في استنهاض همم العرب لليقظة والنهوض فيقول مخاطبا العرب: «إن الله قد رزقكم البصيرة ولا تزال فيكم الشرارة كامنة، فقوموا أيها العرب وردوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرة أخرى، إن منبع القوة ومصدرها هو الدين منه يستمد المؤمن العزم والإخلاص واليقين، وما دامت ضمائركم أمينة

للسر الإلهي، فيا عمّار البادية أنتم الحراس للدين، إن غريزتكم العربية الإسلامية ميزان للخير والشر، وأنتم ورثة الأرض، إذا تألق نجمكم في آفاق السماء أفلت نجوم الآخرين وطُوبَى بساطهم، لن تسعكم الصحراء والفيافي، فاضربوا خيمتكم في وجودكم الذاتي الذي يسع الآفاق». ولكن يبقى الأمل في رحمة الله لهذه الأمة التي يأبى الله إلا أن تكون خير أمة أخرجت للناس، وتبقى المؤملة لقيادة البشرية نحو حضارة العلم والإيمان، تلك الحضارة التي تخلق بجناحين لتحقيق خلافة الإنسان لربه في تعمير الكون وبناء حضارة الإنسان المؤمن وتحقيق إنسانية الإنسان الكامل في توازن وانسجام وسلام بين الإنسان ومخلوقات الله وعناصر البيئة على ظهر هذه البسيطة ونردد في ختام هذه المقالة مقولة إقبال التي تنم عن حكمته وتبشر بالأمل حيث يقول: «إذا رأيت النجوم شاحبة منكذرة فاعلم أن الفجر قريب» رحم الله إقبال وتقبله في الصالحين.

\* \* \*

## الفصل الرابع

الداعية المهندس محمد توفيق بن أحمد سعد  
رجل بلغ الإسلام لآلاف من مثقفي العالم  
وأسلم على يده ( ٤٠٠٠ ) أربعة آلاف (\*)

عرفته منذ نحو ثلاثة عشر عاماً، ومنذ لقائي الأول به عام ١٩٧٧م وجدتهني مقبلاً عليه معجباً به، ورأيتني مدفوعاً إليه بقوة روحية تزيدني منه اقترباً يوماً بعد يوم ولم لا؟ وأنت في صحبة هذا الرجل ترى فيه أخلاق الإسلام في سماحتها وشموخها وطموحها وأدبها الرفيع وعطائها الإنساني النبيل، وكل أحبابه ومريديه وتلاميذه قد ارتبطوا به، وأقبلوا عليه في شوق وتقدير على غير منفعة مادية أو مصلحة فانية، وإنما اللقاء معه لله وفي سبيل الله « وما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل ».

● مع هذا الرجل المبارك الذي شغله الله منذ نعومة أظفاره بفعل الخير والدعوة إلى مكارم الأخلاق وتبليغ الإسلام إلى الأجانِب، وعلى مدى نحو سبعين عاماً من عمره المديد ( شفاه الله ) (\*\*\*) وقد جاوز العام الحادى والتسعين ظل الرجل مرابطاً فى ثغور الإسلام يدعو إليه شريعة وعقيدة ونموذجاً للحياة البشرية لا تتحقق إنسانية الإنسان فى أبهى وأكمل صورها إلا فى ظل شريعته السمحة ونظامه الربانى، إنه رجل سخرته العناية الإلهية فى نصره الحق ونشر الدين الحق الذى تعهد الله بحفظه وتأييده قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وشاءت إرادة الله تعالى أيضاً أن يجند من عباده من يقوم على أمر هذا الدين الحق

(\*) جريدة (أخبار الخليج) في [١٢ من رمضان ١٤١١ هـ - ٢٨ - ٣ - ١٩٩١م].

(\*\*) انتقل داعيتنا المبارك إلى رحمة الله في دار البقاء في شوال ١٤١١ هـ - مايو

١٩٩١م رحمه الله رحمة واسعة.

وحراسته في مختلف الأعصر والأزمان يجدد لهذا الدين شبابه، ويزود عنه كيد الأعداء، وينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ومن هذا النفر المرابطين على ثغور الإسلام سماحة الداعية الإسلامي المبارك المهندس محمد توفيق بن أحمد سعد مؤسس (دار تبليغ الإسلام) ومحرر مجلة «البريد الإسلامي» الغراء التي توزع حسبة لوجه الله تعالى في مصر والبلاد العربية والإسلامية والمهاجر بطريق المراسلة والذي هدى الله على يديه (٤٠٠٠) أربعة آلاف من مثقفي العالم وبخاصة في الغرب وأمريكا فضلاً عن عشرات الآلاف الذين صححوا فكرتهم عن الإسلام فصاروا أصدقاء له بعدما كانوا حرباً عليه، وآخرين ممن صاروا محايدين في موقفهم من الإسلام بعدما كانوا متحاملين عليه، محاربين له، في رحلة طيبة مباركة ممتدة من عام ١٩٢٩م إلى الآن - بارك الله في عمره ورفع عنه وأتم عليه نعمة العافية والشفاء التام<sup>(١)</sup> إنه على كل شيء قدير.

هذا الرجل الموهوب الذي هو رجل عبقرى في منطوق المعاصرين أو هو رجل نسيج وحده في لغة الآباء والأجداد، هو رجل فرد استطاع بتأييد الله تعالى أن يثمر في الدعوة إلى الإسلام بالعقل والحسنى ونور القرآن ما لا تقوى عليه مؤسسات كبيرة يُجنّد لها الموظفون ويحشد فيها العاملون، ومن ثم ينطبق عليه بحق «الرجل الأمة» كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أى أمة من الخيرات في تمثيله لدعوة التوحيد وفي كثير ما يصدر عنه من الفضل والخير، ورضى الله عن شاعر الإسلام الفيلسوف محمد إقبال إذ يقول: «إذا أحسن المؤمن تربية شخصيته، وعرف قيمة نفسه، لم يقع في العالم إلا ما يرضاه ويحبه»، وفي مجال الاتصال بالأجانب أعدّ الداعية الكريم رسالة بحجم كف اليد الواحدة أسماها «الإسلام دين الجميع» قدم على صفحاتها المعدودة فكرة مركزة جداً عن

(١) نُشر هذا الجزء من الدراسة بصحيفة «أخبار الخليج» في الثاني عشر من رمضان المبارك سنة ١٤١١ هـ قبل وفاة المغفور له الداعية المبارك المهندس محمد توفيق بنحو شهر ونصف الشهر، رحمه الله تعالى.

الإسلام ورسالته في أسلوب سهل يفهمه القارئ في يسر وترجمها إلى أغلب اللغات العالمية الحية المنتشرة مثل الإنكليزية والألمانية والفرنسية والاطالية واليونانية واليابانية حتى لغة الإسبرانتو أو اللغة الإسبرنتية، وبواسطة الاتصال المباشر إبان إقامته في أوروبا في بعثته الدراسية في سويسرا لدراسة التوربينات البحرية في المدة من ( ١٩٢٩م إلى ١٩٣١م ) أو بالمراسلة خلال فترة الدراسة تلك وما تلاها في مقر إقامته بالقاهرة ثم استقراره بالإسكندرية نهاية مدة خدمته وبعدها أي منذ بداية الستينات وإلى الآن وإلى ما شاء الله تعالى . وبهذا الأسلوب كان لهذا الرجل ذياك العطاء اللينع المبارك في حقل التعريف بالإسلام بين الأجانب وتبليغ دعوته وتربية مرديه وأحابيه بواسطة مجلته القيمة ( البريد الإسلامي ) التي يرسلها إليهم بالبريد تحمل من زاد القرآن والسنة والحكمة المرية وحكيم الشعر ودوحة الأدب ما يجعلهم على طريق الخير والحق والتوفيق والتفوق .

● والرجل بالرغم ما قدم للإسلام وضحى في سبيل دعوته وتبليغه يرى أنه لم يقيم إلا بما يوجب عليه انتماؤه لهذا الدين العظيم وأنه جهد المقل وأنه ليس بالأمر الصعب أو المعجز ودائما يقول : « إن الإسلام يحتاج إلى القلوب قبل الجيوب » إشارة إلى ضرورة توفر النية المخلصة ولذا رأيناه عزوفا عن الشهرة والأضواء وكم تلقى من العروض الإعلامية للظهور على الشاشة الصغيرة أو الحوارات الإذاعية أو الصحف إلا ما ندر جاعلا شعاره في ذلك « اعمل ليرك الله وحده » .

\* \* \*

## قصة تأسيس « دار تبليغ الإسلام »

أما عن قصة إنشاء دار « تبليغ الإسلام » والهدف منها ورسالتها قال لى ذات مرة: « فى الواقع ليس (١) لى نشاط يذكر ويستحق هذا الاهتمام من الأحياب لأنه من الواجب على كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ودار تبليغ الإسلام سبقها تأسيس جماعة (الوعظ الإسلامية) التى أصبحت الآن « جماعة الوعظ والدعوة الإسلامية فى مصر » ولم يكن هناك جمعيات تسجل فى الشئون الاجتماعية، كما هو الآن من الناحية الرسمية، ولما قامت فكرتها فى رأسى شرعت فى إصدار مجلة اسمها « التقوى » وفعلاً أصدرت هذه المجلة وكنت أطبعها فى صفحة واحدة وكتبت عليها [ جريدة التقوى، تصدرها جماعة الوعظ الإسلامى ] وفضلت ألا أكتب عليها اسمى نظراً لأنى لم أurd ذلك وإن كنت قد عرفت بعد ذلك وانتشر اسمى على غير رغبة منى وجعلت عنوانها بشارع الصراط المستقيم - حارة الهدى - نمر ( ١ ) بدار السلام ( ولم يكن هذا عنوانا حقيقيا بالطبع ) وطبعت أول عدد منها فى مطبعة كرامة عند مسجد سيدنا الحسين وطبعت منها حوالى ألف ( ١٠٠٠ ) نسخة ووزعتها فانتشرت بحمد الله انتشارا واسعا وأيضا كنت أكتب عليها كما أكتب على مجلة « البريد الإسلامى » الآن « أقرأها وأعطها لغيرك مشكورا » وبعد ذلك سلكت طريق الإجراءات الرسمية المطلوبة، لإصدار صحيفة بصورة دورية وحددت وجهتها وموضوعها: أدبية إسلامية .. إلخ.

وواصلت إصدار (التقوى) حتى عام ١٩٣٥ م ورشحت لبعثة هندسية إلى سويسرا عام ١٩٢٩ م وهناك شعرت بحاجة الأوروبيين للحصول على فكرة صحيحة وموضوعية عن الإسلام ومن ثم بدأ العمل لتبليغ الإسلام تحت اسم ( دار

(١) « رجل من أمة التوحيد » للكاتب - الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ، سنة ١٩٩١ م -

دار الصحوة بالقاهرة ص ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥.

تبليغ الإسلام) وهو اسم معنوي كنت أعمل من ورائه ولا زلت، وكانت كل الرسائل والإعلانات التي أبعث بها إلى الصحف الأوروبية أو أنشرها من خلالها باسم محمد توفيق محرر مجلة (التقوى) في القاهرة، وكنت أتسلم كثيرا من الرسائل التي تصل إلى المنزل الذي كنت أسكن فيه وبالطبع كنت أرد عليها وفي كل مكان كنت أنزل فيه أجد كثيرا من الأسئلة المتعلقة بالإسلام والمسلمين وكانت صورة الإسلام مشوهة من أعداء الإسلام والمستشرقين ومن حسني النية الذين يصدقون كل ما يقرأون فيعتقدون أن الإسلام بهذه الصورة، وذات مرة قام أحد المبشرين واسمه روبلي أو الدكتور روبلي مفتش التبشير في أسوان في ذلك الوقت وكان بصدد جمع تبرعات للمساعدة في خدمات المستشفى التبشيري في مصر، ونشر في الصحف أنه سيلقى محاضرة عن مصر وفلسطين وحدد موعدها، وحث الجمهور لحضورها، وكان مكان المحاضرة في أحد المعابد الأوروبية وتصورت وقتها أنه سيتعرض في محاضرتة للإسلام وفعلا تناول في حديثه أشياء كثيرة تمس الإسلام وتحدث في مواضيع كثيرة عن العرب وفلسطين ومصر وذكر مظاهر من الفوضى والجهل المنتشر - والذي هو في الحقيقة - بسبب البعد عن الإسلام حيث لم تعرف الفوضى ولم يعرف الجهل في حياة المسلمين في العصور المتأخرة إلا بتغريبهم عن دينهم وابتعادهم عن نهج قرآنهم، وكانت تلك الحملة مرتبة ومخططا لها من أعداء الإسلام، وقد حمل الرجل صوراً معه إلى المحاضرة تسيء إلى الإسلام وإلى مضر أبلغ إساءة ومن الصور التي عرضها بالفانوس السحري صورة جمل وسيدة تركب خلف الرجل في المكان المنحدر من مؤخرة ظهر الحمل تكاد تسقط ليوحى بهذا عن سوء معاملة الرجل المسلم للمرأة مما يوحي بسوء معاملة الإسلام للمرأة، ثم قال: «تتخيلون .. كيف تتزوج المرأة هناك؟! - القول للدكتور روبلي - المرأة عند المسلمين تباع!! فهناك المرأة التي يشتريها الزوج عند الزواج بعشرة جنيهاً وأخرى بعشرين وأخرى بخمسين (إشارة إلى المهر في مصر في الثلاثينات من القرن الحالي) كأنك تشتري عنزاً أو جاموسة يمكنك أن تشتري المرأة، ويمكنك أن تتزوج ممن تعجبك بأي عدد تشاء

ولم يحدد «روبلى» عدد النساء بأربع كما هو معروف!!، وبعد هذا عرض «روبلى» صورة أخرى لرجلين يمشيان يحمل أحدهما مغزله يغزله به وأمامه زوجته تحمل حملاً ثقيلًا من القمح قدره روبلى - حسب الصورة - بأنه أربع كيلات وقال للمشاهدين الذين يشاهدون الصورة: هل تعرفون كم تحمل هذه المرأة إنها تحمل ما يساوى أربع كيلات من القمح وبالرغم من ذلك يقول زوجها لصاحبه: سأطلقها ويسبها بالرغم من تفانيها وتعبتها فى خدمته، وبعد ذلك قال لهم: الآن سأعرض عليكم صورة لأكبر مستشفى رمدى فى مصر بالقاهرة وجاء بالصورة لضريح السيدة نفيسة - رضى الله عنها - وتظهر فيه حلقتان فى جوانب الضريح وجاء باناس تظهر عيونهم بصورة قبيحة جداً وقد وضعت عليها طبقات من الطين بشكل قبيح تتقرز منه العين وقال: هذه الطيبة - السيدة نفيسة - رضى الله عنها - من نسل النبى محمد ﷺ، أرسلت إلى مصر لتعمى المصريين!!! وقال لهم: هل تعرفون كم عدد العميان فى مصر؟ وأجاب: إنهم يمثلون نسبة (٣٠٪)!!

وعندما انتهت المحاضرة قدم الحاضرون التبرعات لهذا المبشر .

ورغبت فى الرد على الدكتور روبلى غير أن لغتى الألمانية لم تكن تسعنى فى هذه المهمة، فقلت كلمات قصيرة فى نهاية المحاضرة واستمع إليها الحاضرون ومؤداها إن لى تعليقا قصيرا ستقرأونه فى الصحف وأثناء خروجى اعتذرت له عن المساهمة فى تقديم التبرعات، وعندما ذهبت إلى البيت قالت لى المرأة التى كنت أسكن عندها غاضبة وقد حضرت المحاضرة: هل دينكم بهذا الشكل؟ وهل الحياة فى بلادكم على هذه الصورة القبيحة؟

غير أنى لم أتم تلك الليلة، وجئت بجميع القواميس فى محاولة منى لكتابة رد يصحح ما أثاره مفتش التبشير فى محاضراته من أكاذيب ومغالطات، وفى الصباح صححت لى هذه السيدة لغة الرد المكتوب بلغة ركيكة، وبعثت بهذا الرد إلى الصحف وقد نسخت منه ثمانى نسخ ونشرت الصحف

الرد وذكرت أنه لمحمد توفيق محرر مجلة «التقوى» بالقاهرة، ومن هنا كانت الحاجة ماسة لتأسيس دار تبليغ الإسلام، لتقوم بتقديم مفهوم الإسلام الصحيح للأجانب بلغاتهم ولتساعد الأجانب الراغبين في معرفة الحقيقة فيما يتصل بالإسلام بلغاتهم الحية في مواجهة حملات التضليل، والأكاذيب والتعصب .. (انتهى).

● أما نماذج الأجانب الذين أسلموا على يد المهندس محمد توفيق فكثيرة متعددة وكل نموذج منها يمثل كتاباً مستقلاً ونمطاً فريداً.

\* \* \*

## أوروبيون أسلموا على يد هذا الرجل

جهاد مشرف للداعية الإسلامى المبارك محمد توفيق بن أحمد سعد - رحمه الله (١) - الذى بلغ دعوة الإسلام لآلاف من مثقفى العالم وخاصة العالم الأوروبى والأمريكى فهدى الله على يده أربعة آلاف من الأجانب بأسلوب التواصل الإعلامى والمقابلة الشخصية فى رحلة مع تبليغ الإسلام امتدت نحو ستين عاما هذا فضلا عن آلاف ممن غيروا فكرتهم عن الإسلام فصاروا لدعوته أصدقاء بعدما كانوا لها كارهين وعليها متحاملين، وقد كان لأسلوبه الحكيم فى التواصل مع الناس وسماحة أخلاقه وبشاشته وجهه أكبر الأثر فى نجاح دعوته وتأثيره الساحر فى أحبابه وأصدقائه ومريديه وخصومه على حد سواء، الأمر الذى استلزم منه معرفة واسعة باللغات الأوروبية وقد يسر الله له ذلك بإقامته فى أوروبا ثلاث سنوات (١٩٢٩ - ١٩٣١) فضلاً عن أصدقائه المقربين ومريديه الذين يجيدون لغات شتى ووضعوا خبرتهم ومهارتهم فى اللغات الأجنبية فى خدمة رسالة أستاذنا فى حقل تبليغ الإسلام للأجانب لتصحيح أفكارهم المشوهة عن الإسلام بلغاتهم، وكان برسائله الموجزة (الإسلام دين الجميع) التى بحجم كف اليد الواحدة والتى تشتمل على فكرة مركزة تعرض فى إيجاز رسالة الإسلام وعلاقته بما سبقه من الرسائل والشرائع فعل السحر فى كثير من المثقفين الأوروبيين وكان يشجع أصدقائه من الأجانب أن يرسلوا لدار تبليغ الإسلام عناوين أصدقائهم ليطرق أبوابهم بدعوة الإسلام دين الله الخاتم وشرعه الخاتم لدنيا الناس وبهذا الأسلوب تبادل الرسائل مع الأوروبيين ومنهم من كان يطلب لقاءه وزيارته بمصر. ومنهم من تسمى باسمه بعدما هداه الله إلى الإسلام، وتفاوت

---

(١) كان داعيتنا المبارك قد فاز بلقاء ربّه راضياً مرضياً حين نُشر هذا الجزء من الدراسة المتعلقة به رحمه الله، وقد نشر هذا الجزء فى الخامس من رمضان المبارك سنة ١٤١٢ هـ مارس سنة ١٩٩٢م بصحيفة «أخبار الخليج» فيما كانت وفاته ليلة الجمعة: ٢٦ من شوال ١٤١١ هـ - ١٠ من مايو ١٩٩١م.

الوقت والجهد اللذين كان يبذلهما مع الرجل الأوروبي الذى فتن بحضارة الغرب وعبادة العلم من دون الله وغرته قوته وتقدمه التقنى . فضلاً عن فكرته الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، فمن الأوروبيين من كان يقتنع بعد مراسلات قليلة فى بضع شهور وفى سنة على الأكثر ومنهم من ظل فى جداله ومحاوراته مع مؤسس دار تبليغ الإسلام سبع عشرة سنة، وكان - رحمه الله ورضى عنه - يأسى ويحزن لأحوال المسلمين المعاصرة ويرى فى تخلفهم وسوء أحوالهم وما انحدرت إليه أخلاقهم وتشرذمهم أكبر عقبة فى طريق انتشار دعوة الإسلام، وكان - رحمه الله - يقول لى كثيراً لو كان المسلمون على مستوى إسلامهم حقاً ما بقى على ظهر الأرض كافر واحد، وكان يعكف الساعات الطوال يبحث فيما يردُّ به على الشبهات التى يطرحها الباحثون عن الحقيقة ويوضح لهم ما غمض عليهم من رسالة الإسلام ويكتب الرسائل مترجمة إلى كل فرد بلغته مما يستلزم جهداً لا تقوم به إلا مؤسسة ولم يكن غريباً أن يكتب عنه الأستاذ عبد القادر الإدريسي المغربى مقالاً تحت عنوان (الرجل المؤسسة) فى مجلة (المسلمون) الدولية فى الثمانينات، ومن طريف ما يحكى أن المدرس سأل ابنه أحمد (طالب فى كلية الهندسة بمصر حالياً) وكان صبياً فى الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية عن وظيفة أبيه فرد الطفل فى براءة (بيكتب جوابات) وكان أستاذنا يحكيها ضاحكاً - رحمه الله - .

ولم يكن جهد الشيخ المبارك يتوقف عند إعلان المهتدى من الأوروبيين اعتناقه الإسلام وبرآءته من كل دين يخالف دين الإسلام عن اقتناع وحرية كاملة وإنما كان يواصل التعرف على أخباره والكتابة إليه ومساعدته فى حل مشاكله، كتب<sup>(١)</sup> إليه مسلم ألمانى كان مجنداً بالجيش أنه ارتكب مخالفة كانت سبباً فى دخوله السجن وإعطائه طعاماً لا يأكله المسلم مثل لحم الخنزير وشراب البيرة وسأل المهندس محمد توفيق الاتصال بإدارة السجن لتغيير طعامه، فسارع الداعية

(١) انظر كتابنا «رجل من أمة التوحيد» ص ١١٦، ص ١١٧ دار الصحوة بالقاهرة

المبارك - رحمه الله - بكتابة رسالة رقيقة لضابط السجن الحربى المسئول يخبره بأن البشرية تحترم الأديان ويلفته إلى وجود الجندى المسلم من أحبابه يحرم عليه الإسلام أن يأكل كذا وكذا من المأكولات ورجاه أن يقدم له المأكولات الإسلامية مثل السمك والبيض والماء العذب الزلال فاستجاب الضابط الألمانى لهذا الطلب فوراً وتم تغيير الأطعمة للأخ المسلم والطريف أن الضابط كتب إلى المهندس توفيق لإخباره بتلبيته طلبه، كما طلب - الضابط - عدداً من المطبوعات الإسلامية التى فى حوزة دار تبليغ الإسلام وكانت سبباً فى إسلام الضابط وإشهار عقيدة الإسلام السمحة.

\* \* \*

## الفصل الخامس

### ورحل الرائد الطبيب والشاعر الإنسان الشاعر الدكتور عمر الجارم في ذمة الله

• كان لصاحب «البريد الإسلامى» الداعية المهندس محمد توفيق - رحمه الله - زاوية يحررها فى مجلته الغراء؛ لنعى الراحلين من أبناء الوطن والأمة عنوانها: «الفائزون بلقاء الله» تفاعلاً بمكانتهم عند ربهم - تبارك وتعالى - واستحضاراً للمعنى قوله تعالى فى ختام سورة الكهف: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

- وفى ثغر الإسكندرية بمصر الكنانة صباح يوم الأحد العاشر من شهر رجب ١٤١٦ هـ الموافق الثالث من ديسمبر ١٩٩٥ م صعدت روح رائد الطب وشاعر الأطباء العبقري الدكتور عمر عبد المحسن الجارم إلى ربها، ويسترد المولى - عز وجل - وديعته، بعد عمر حافل بالعطاء الرائد فى مجال طب الأعصاب فى مصر والبلاد العربية والإسلامية، تبوأ خلاله فقيه العلم والأدب مكان الصدارة فى خدمة العلم والأدب .

• لقد رحل شاعرنا الطبيب الرائد دونما مرض أو سبب من علة بالجسم أو نحو ذلك، وإنما السبب هو أوان الأجل: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ومن الأمور المحزنة فى حياتنا أننا نغفل كثيراً عن ذكر الموت؛ ولذا يلح علينا الذكر الحكيم والسنة النبوية المطهرة فى الاستعداد للقاء الله واستحضار الأجل ومن ذلك ما ورد فى معنى الحديث الشريف: كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وقد أوصانا الحبيب ﷺ بالإكثار من ذكر الموت فى حديث آخر، إذ يقول فيما معناه: أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا .

● ولا شك أن رحيل الطبيب الأستاذ الدكتور / عمر الجارم رائد طب الأعصاب في مصر بخاصة والوطن العربي بعامة خسارة كبرى للعلم والأدب؛ لأن الدكتور عمر الجارم فضلاً عن صفته في الريادة الطبية والأستاذية العلمية التخصصية، شاعر عبقرى يرقى شعره إلى مصاف شعراء مدرسة الشعر الأصيل بياناً وخيالاً وجمالاً وجلالاً، ويشهد على ذلك ديوانه (الشعر الواضح) الذى أصدره منذ بضع سنين، فضلاً عن كونه عضواً مؤسساً لاتحاد كتاب مصر وراعياً للحركة الأدبية والثقافية فى ثغر الإسكندرية زهاء ستة عشر عاماً من خلال رئاسته لهيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية كبرى الجمعيات الأدبية والثقافية المؤثرة فى الإسكندرية وهى الهيئة التى استضافها فى عيادته لتمارس نشاطها فى التنوير الثقافى والتربية الأدبية والهداية الروحية سنين طويلة.

● ومن لطائف الأقدار أن شاعرنا الطبيب فجع بوفاة والده الأستاذ الشيخ عبد المحسن الجارم فى يوليو سنة ( ١٩٣٠ م ) - رحمه الله - بمدينة رشيد الباسلة، فيما كان يؤم المصلين يوم الجمعة بعد أن ألقى خطبة الجمعة فى مسجد (المحلى) الشهير برشيد وحضهم فيها على الصبر، وكان شاعرنا الفتى بين المصلين حيث سقط أبوه الإمام فى الركعة الثانية فرثاه بقصيدة نظمها بعنوان (أبى) - وكأنه لعجب الأقدار يرثى نفسه بعد قرابة ستين عاماً من نظمها فى أبيه حيث نظمها عام ١٩٣٥م يقول فيها ببيانه العالى - رحمه الله - :

ناداك ربك فاستجبتَ ملبياً	وذهبْتَ تُؤثِرُ جيرة الرحمن
لا قيته فى بيته متهيباً	فاجتزت من طهر إلى رضوان
زخر «المحلى» يومها فى جمعة	صارت يتيمته على الأزمان
وعلوت منبره وكانت خطبة	جمعت مزايا الصبر والسلوان
ووقفت بين يديه جل جلاله	فأضاء محراب من الإيمان
والناس مصطفون خلف إمامهم	يتمايلون لصوته الرنان
قد كنت ممن ينصتون متابعاً	فإذا به قد غاب عن آذانى

وسمعت لحظتها ارتطامة من هوى نعم الشهيد يختر في الميدان  
أكذا الشمس تغيب عن أفلاكها أكذا الأفول يكون بعد ثوانٍ؟!!

● ويُعد الشاعر الطبيب الدكتور عمر الجارم معلماً بارزاً من معالم الطب والشعر في عصرنا الحاضر، ولا يقل نبوغه في الشعر عن نبوغه في الطب، وليس ثمة تناقض بين المجالين، فكلاهما يُطَبَّبُ جراح الإنسان الجسدانية والروحانية، ويأخذ بيد الإنسان صوب عالم الكمال والسعادة ودنيا الحق والقوة والحرية، ويدعم ذلك التزاوج الدافئ بين الطب والشعر تخصص شاعرنا الطبيب الأستاذ في مجال الأمراض العصبية والنفسية، حيث ابتعث إلى إنجلترا سنة (١٩٤٨ م) لدراسة الأمراض العصبية والنفسية، ويعود شاعرنا الطبيب من بعثته عام (١٩٥١ م)؛ لينشئ قسم الأمراض العصبية والنفسية بكلية الطب في جامعة الإسكندرية ثغر مصر الباسم العريق، ولذا يُعدُّ شاعرنا في مجال الطب رائداً في تخصصه وعمدة من عمد الطب النفسى والعصبى فى بلادنا العربية والإسلامية وتعتبر أبحاثه ومحاضراته ومؤلفاته فى مجال تخصصه مراجع يلوذ بها الدارسون والباحثون ومنارات يهتدى بها الحائرون، لأجل ذلك أستحق شاعرنا الرائد - عن جدارة واقتدار - وصف « شاعر الأطباء وطبيب الشعراء » ولم يكن غريباً أن ينظم الشعراء الكبار عذب أشعارهم، تغنياً بموهبة الدكتور عمر الجارم وحكمته، ومهارته فى طب النفوس والأجساد؛ فضلاً عن عبقريته فى مجال الأبداع وامتلاك ناصية البيان .

- ومن يزرَّ عيادة الدكتور عمر الجارم فى محطة الرمل بثغر الإسكندرية تطالعه أشعار كثيرة فى الإشادة بعبقرية الشاعر الطبيب فى الطب والشعر أبداعها شعراء كبار من أمثال الشاعر محمود عبد الحى صاحب ديوان (أصداف الشاطئ) والشعراء محمد برهام وحسن شهاب وعبد العليم القبانى ... وغيرهم .

● وشاعرنا الدكتور عمر الجارم ينتمى إلى مدرسة الشعر العربى الأصيل .

شعر البيان الجميل والموهبة الفطرية والصورة المبتكرة والعاطفة الصادقة، ويعد شعره امتداداً لشعر عمه على الجارم ( شاعر العروبة ) بخاصة وشعر مدرسة أمير الشعر والشعراء أحمد شوقي بعامية، والشعر عند شاعرنا يعنى ( الإلهام ) وتفسير ذلك - كما يرى شاعرنا - أن الإلهام هو تلك « اللحظة الخاطفة »، والبارقة السريعة تهز بروعتها نفس المبدع، كما تهز نفس ( المتذوق ) ومن ثم تتولد - نشوة جمالية فورية تغمر الوجدان .

- يقول فى مطلع قصيدته فى مدح أستاذه الدكتور على حسن بك أستاذ علم التغذية فى كلية الطب - جامعة الإسكندرية :

أعددت من وحي الشعور قصيدى      وجمعت من روض الوفاء ورودى  
ونثرتها عفو المراد؛ فيالها      جاءت بنظم رائع ونضيد  
والشعر إن يكن للشعور مترجما      يسمو لأوج فى البيان بعيد

● وفى قصيدته ( الإسكندرية ) التى ألقاها فى مهرجان الشعر الرابع بمدينة الإسكندرية فى أكتوبر ١٩٦٢م يقول فى مطلعها :

أهواك ملء جوانحى أهواك      هلا تركت بقية لسواك؟  
حَلَّتْ صبابتك الفؤاد وجردت      أمضى السلاح، فأين منى الشاكى؟  
ويحدثها عن رشيد فيقول :

إنى أتيتك يافعا، لم أكتمل      حُلْمًا، بمبتدئ من الإدراك  
بَعَثْتُ إِلَيْكَ ( رشيد ) برعوما فما      وجدت خصيبا طيبا كثرارك  
فغدوت مثل ( رشيد ) أنضر وردة      بين الرياض منيعة الأشواك

ويقدم نفسه للإسكندرية فيقول :

إسكندرية : هل يقدم نفسه      متواضعا جم الحياء فتاك؟  
أنا من صنعت فإن وددت فسائلى      يُمنى يديك، وسائلى يُسراك  
لى صنعتان، ولم أكن لأنال فى      أى مهارة مبدعٍ لولاك

صوغ القريض، وما أتيت بمعجز هو درّ بحرك صار عقد حلاك  
وشفاء أدواء العليل وإنما الفضل فيه إلى عليل صباك

● رحم الله شاعرنا الطبيب الأستاذ الذى جاءت أشعاره معبرة عنه وعن  
أمته ووطنه وتجارب حياته فى مختلف المواقف والخبرات الحيوية، والذى حافظ  
على بناء القصيدة وفق أصول إيقاع القصيد العربى وَقَدْ ضَمَّنَ شعره تجاربه  
وجديد أفكاره ومعانيه وطريف صورته وأخيلته، كما اتسع قلب الشعر العربى  
لإبداع الشعراء العرب والناطقين بلغة الضاد خلال ستة عشر قرناً عبر مجالٍ واسع  
من النغم العذب فى ثوب فضفاض من بحور الشعر العربى التى لم تضق قط  
بتجارب الشعراء العرب فى مختلف العصور.

\* \* \*

من صحيفة ( المدينة ) السعودية الغراء فى  
١٤١٧/٢/٤ هـ }  
١٩٩٦/٦/٢٠ م

## مُعَارِضَةٌ لَّقَصِيدَةِ الْجَارِمِ وَتَحِيَّةٌ وَدَعَاءٌ لِلْسَّمِيطِ

بقلم : د. ربيع السعيد عبد الحليم

أستاذنا الكريم الدكتور محمد يعقوب تركستاني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد شغلت عن مراسلتكم مدة طويلة ولكنى لم أنقطع خلالها عن العب  
من معين ( ملحق التراث ) الذى أتابعه باستمرار، إلا أحيانا قليلة عندما أكون  
خارج المملكة، ويتعذر حصولى عليه .

والذى دفعنى للكتابة - الآن - هو تأثرى بمقالة الأستاذ عبد اللطيف  
الجوهري ( ورحل شاعر الأطباء وطبيب الشعراء ) ( ملحق التراث، السنة  
العشرون، العدد الثالث - الخميس ( ٢٥ شوال ١٤١٦ هـ ) رحم الله الشاعر  
الطبيب الأستاذ الدكتور عمر عبد المحسن الجارم .

ولقد تحدث الكاتب - فى مقدمة مقاله - عن الشعر والطب، وعلاقتهما  
بعضهما ببعض فذكرنى ذلك بمقدمة قصيدة متواضعة نشرتها لى مجلة  
( الممارس ) التى تصدر عن ( الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع ) .

ومن عجب أن المقالة ذكرتنى - أيضا - بأبيات لى عن الإسكندرية ( ١٤ )  
ذى الحجة ١٤١٤ هـ ) جاءت على نفس روى قصيدة ( الإسكندرية ) للأستاذ  
الدكتور عمر عبد المحسن الجارم، ومن نفس بحرهما ( وإن كان قد أتى مجزوءا  
عندى بينما ورد تاما عنده ) رغم أننى لم أطلع على قصيدته، أو أسمع عنها من

قبل، ولا زلت لا أعرف منها سوى الأبيات المقتبسة في مقالة الأستاذ الجوهري،  
وعجيب أمره لهذا الشعر !!

وها هي أبياتي أعرضها عليكم، للنظر في نشرها « بملحق التراث » معارضة  
بظهر الغيب لقصيدة شاعرنا الأستاذ الطبيب، فقيد العلم والأدب:

إِسْكَندَرِيَّةٌ: هَلْ تُرَى بَعْدَ الْوَدَاعِ نَرَاكَ؟  
وَنَعُودُ لِلجَوِّ الْجَمِيلِ وَشَاطِئِ يَهْوَاكَ؟  
بَحْرٌ مُحِيطٌ مَوْجُهُ مُتَسَابِقٌ لِلقَاكِ  
مُتَجَدِّدُ الْأَشْوَاقِ ذُو حِرْصٍ عَلَي رُؤْيَاكَ  
أَنْفَاسُهُ أَنْشُودَةٌ تَرْنِيمُهَا نَجْوَاكَ  
ضَمَّ الثَّرَى بِسَعَادَةٍ وَلَجَيْنُهُ حَلَاكَ  
وَيَثُورُ لَوْ نَوَّءٌ مِنَ الْأَنْوَاءِ هَزَّ عُرَاكَ  
لَا تَغْضَبِنِي مِنْ ثَائِرٍ فِي وَدِّهِ يَرْعَاكَ  
يَحْنُو عَلَيْكَ مُبَاعِدًا هَجَمَاتِ كُلِّ عِدَاكَ  
وَيَجُودُ مِنْ أَعْمَاقِهِ بِالرِّزْقِ فِيهِ غِنَاكَ

\* ● \* ● \* ● \*

بالملاسة

# مُعَارِضَةٌ لِقَصِيدَةِ الْجَارِمِ وَتَحِيَّةٌ وَدَعَاءٌ لِلْسَّمِيظِ

بقلم: **أحمد السميظ** - عبد الحليم

استاذنا الكريم الدكتور محمد يعقوب تركستاني  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
لقد شغلت عن مراسلتكم مدة طويلة وكنت لم أقطع خلالها عن العيب من معين (ملحق التراث)  
الذي أتابعه باستمرار، إلا أحيانا قليلا عندما أكون خارج المملكة، ويعتذر حصولي عليه.  
والذي يدعي للكتابة - الآن - هو تازي بقالة الأستاذ عبداللطيف الجوهري (ورحل شاعر الأطباء  
وطبيب الشعراء) (ملحق التراث، السنة العشرين، العدد الثالث الخميس ٢٥ شوال ١٤١٦ هـ) ورحم الله  
الشاعر الطيب الأستاذ الدكتور عمر عبدالحسن الجارم.  
ولقد تمكنت الكاتب - في مقدمة مقاله - عن الشعر والطب، وعلاقتها بهما بما بهما؛  
لذا كرتي ذلك بمقدمة قصيدة متواضعة نشرتها في مجلة (المارس) التي تصدر عن الجمعية  
السعودية لطب الأسرة والمجتمع.  
ومن عجب أن المقالة ذكرتني - أيها - بأبيات لي عن الإسكندرية (١٤) في الحجة (١٤١٤ هـ).  
جاءت على نفس روي قصيدة (الإسكندرية) للأستاذ الدكتور عمر عبدالحسن الجارم، ومن نفس  
بحرها (وان كان قد أتى مجزوءا) أعندي بينما ورد تاما عنده) رغم أنني لم أطلع عليها لم يبد،  
أو أسمع عنها من قبل، ولا ذلك لا أعرف منها سوى الأبيات المقدمة في مقالة الأستاذ  
الجوهري، وعجب أمره هذا الشعر.  
وما هي أبياتي أعرضا عليكم، للتظلم في نشرها «ملحق التراث» معارضة بظهر الغيب لقصيدة  
شاعرنا الأستاذ الطيب لعبد العلم والأدب



د. عبدالرحمن حمود السميظ      د. عمر عبدالحسن الجارم      عبداللطيف الجوهري

إِسْكَنْدَرِيَّةُ، هَلْ تَرَى بَعْدَ الْوَدَاعِ ذَرَاكَ؟  
وَتَعُوذُ لِلْحَيِّ الْجَمِيلِ وَشَاطِئِ يَهُوَاكَ؟  
يَحْرُ مَجِيئًا مَوْجُهُ مُتَسَابِقٌ لِلْقَاكِ  
مُتَحَدِّدِ الْأَشْوَابِ ذُو جِرْصٍ مَعَارُ زُؤَاكَ؛  
أَنْفَاسُهُ السُّودَةُ تَزْدِيمُهَا نَجْوَاكَ  
ضَمُّ الدَّرِيِّ بِسَعَادَةٍ وَلِحْبِنُهُ خَلَاكَ  
وَيَبْذُورُ لَوْ نَوْءٌ مِنَ الْأَنْوَاءِ هَرَّ عَرَاكَ  
لَا تَغْضَبِي مِنْ ذَائِرٍ فِي وَدِّهِ يَرْعَاكَ  
بَحْنُو عَلَيْكَ مُبَاعِدًا هَجَمَاتِ كُلِّ عِدَاكَ  
وَيَجُودُ مِنْ أَعْمَاقِهِ بِالرِّزْقِ فِيهِ غِنَاكَ

## الفصل السادس

### ورحل رئيس تحرير (الاعتصام)

### الدكتور محمد أحمد عاشور في ذمة الله

- وأخيراً ترجّل فارس الصحافة الإسلامية النبيل وأسلم الروح لبارئها واختاره الله تعالى إلى جواره الكريم في رفقة الأبرار والصالحين، بعد رحلة طويلة مع المرض، كانت جسر التطهر والقرب من الله الرحمن الرحيم، قضاه الدكتور محمد أحمد عيسى عاشور صابراً محتسباً يؤنسه فيها الخالق الحنان وتحفه الملائكة.

- لقد تحرّر نبيل الصحافة الإسلامية من سجن جسده لتحلّق روحه في آفاق علوية وليهنأ بصحبة الصديقين والشهداء والصالحين، وقد سبقه إلى تلکم الرفقة المباركة الداعية العالم الجليل الشيخ محمود عبد الوهاب فايد الذي نصح لأئمة المسلمين رعاتهم وجهر بكلمة الحق ولم يخش في الله لومة لائم، كما رحل فقيد الصحافة الإسلامية في مصر الأستاذ صلاح عزام صاحب القلم الذكي والقلب الحي والعمل المتواصل لخدمة الإسلام، كما سبق إلى عالم الخلود منذ نحو العام فرسان الإسلام الثلاثة: الداعية المجاهد وصاحب الفكر الثاقب الشيخ محمد الغزالي والكاتب الحر والمفكر الجريء الأستاذ خالد محمد خالد ومعهما شيخ الإسلام الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر الذي صمد في مواجهة الحملات الضارية للنيل من الأزهر الشريف الجامع والجامعة. رحمهم الله جميعاً.

- إن تلقى أخبار رحيل أمثال هؤلاء الأعلام النجباء في هذه الفترة التاريخية العصبية من تاريخ أمتنا، لهو أمر محزن ومزعج معاً، هو محزن لفراق الأحباب المخلصين المجاهدين من أمة التوحيد، وهو مزعج؛ لأن في رحيل هؤلاء

المخلصين من هؤلاء الأعلام الأفذاذ خسارة كبرى لأمتنا في هذا الوقت بالذات من تاريخها حيث جاوز الأعداء الطامعون المدى وبلغ الاستعلاء الصهيوني في ظل العجز العربي والشتات الإسلامي مبلغاً يندر بالخطر!!، وصار الأعداء في حملتهم ضدنا وفي حربهم لاجتثاث جذورنا، يجدون العون من بعض مثقفينا وأعلامنا، وحق لنا أن نردد قول الشاعر ليبيد :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم      وبقيت في خَلْفٍ كجلد الأجرِبِ

– لقد عرفت الدكتور محمد عاشور رئيساً لتحرير (الاعتصام) صاحب إيمان غرض وقلم مؤمن وعاطفة فياضة بحب الله تعالى وأمة الإسلام وأهل القرآن، لا يملك مَنْ يقابله إلا أن يحبه ويتوق لمعاودة لقاءه مرات ومرات؛ لدمائة خلقه ورقيق طبعه وحرارة إيمانه، ولذا كان قوَى الاتصال بكتاب الله تعالى تلاوة وتعبداً حفيماً به، كما كان كَلْفاً بشعر الدكتور محمد إقبال (شاعر الحب والطموح والإيمان) كما لقبه أديب الأمة الإسلامية مولانا أبو الحسن علي الحسنى الندوي، ولم يك ذلك بالعجيب منه أو الغريب عليه، فهو واحد من أبناء الداعية المجاهد والإعلامي الإسلامي الرائد الشيخ أحمد عيسى عاشور صاحب امتياز (الاعتصام) وأبو المؤسسات الإسلامية والخيرية رحمه الله وتقبله وابنه البار الدكتور محمد عاشور في الصالحين .

● ولقد انتقل الدكتور محمد عاشور إلى جوار ربه الكريم عصر يوم تُرفع فيه الأعمال إلى الله تعالى في شهر من الأشهر الحُرْم، حيث غادر دنيانا الفانية عصر يوم الاثنين الثاني من ذى الحجة ١٤١٨ هجرية، وقد نشأ منذ نعومة أظفاره في بيعة دعوية حملت هموم الأمة الإسلامية، وترعرع ونما عوده يرفل في رياض العلم وينهل من معين التربية الإسلامية الصافية وتلقى العلم من منبعه الأصيل في الجامع الأزهر الشريف وأدرك – كما كتب عنه شقيقه ورفيق حياته وكفاحه الأستاذ حسن عاشور – أدرك « أن العلم الذي تلقاه في الأزهر الشريف له ضريبة لا بد من الوفاء بها . . . وأن تعلم العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأن وظيفة

العالم الأزهرى هى وظيفة الرسل والأنبياء فعرفته المنابر خطيباً ومحدثاً والندوات فقيهاً ومعلماً، والمؤتمرات باحثاً وموجهاً، وساحات النشر مؤلفاً ومحققاً» .

– تقلد الدكتور محمد عاشور رئاسة تحرير (الاعتصام) القاهرية فجعلها منبراً حراً للكلمة المخلصة الجريئة وتجرد فيها للدفاع عن قضايا الأمة المصيرية وجعلها منبراً للمستضعفين وسوطاً لجلد أنصار الظلام والطغيان فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ودعا إلى الخير وأزعج كتائب الشر وعبدة الشيطان وأنصار المادية وفلول المراكسة، كما كان نائب رئيس تحرير صحف مؤسسة (التعاون) وعضو نقابة الصحفيين المصرية، وقد انحاز إلى الشعب المصرى فى المحن التى نزلت به ودعا للاعتصام بدينه والعض على شريعته بالنواجذ، كما ناشد العلماء حفظ الأمانة وأن يأخذوا الكتاب بقوة واليقظة فى حراسة الدين، وكان من ندائه لهم: «يا علماء الدين يا ملح البلد .. ما يصلح الملح إذا الملحُ فسَدَ؟! أنتم صوت الحق فى الأرض، وأنتم أمناء الله عزَّ وجل على دينه ... فإذا بلَّغتم فاصدقوا مع أنفسكم وأمتكم، واصدقوا مع ربكم، وإذا قلتكم ونصحتكم فالزموا أنفسكم بالتطبيق والعمل، وكونوا القدوة الحسنة، ولا تكونوا علماء الفتنة أو اللسان فيسحقكم عذاب الله يوم لا ينفع مال ولا منصب أو جاه فأنتم سفراء الرسل وأنتم ورثة الأنبياء» (من كلمة الأستاذ حسن عاشور).

– ولا غرو أن يضطلع الرجل – رحمه الله – بذلك النشاط الفاعل على الساحة المحلية والعربية والإسلامية وقد نشأ وترعرع فى مناخ إسلامى نقى، حيث تفتحت عيناه فى الحياة على بيت علم ودين ونهل علوم الأدب والدين فى الجامع الأزهر واشتدَّ عودُه بين رياض الدعوة الصادقة فى الجمعية الشرعية ومدرسة الشيخ حسن البنا القرآنية وآفاقها الرحبة، كما نهل من كل معين نافع فى رياض الحكمة والعلم المفيد والإعلام الصادق .

– رحم الله الدكتور محمد عاشور وبارك فى آل عاشور وتقبل منهم جهادهم وجهودهم فى خدمة العلم والدين ورفع بهم لواء الأمة وأعز بهم الدين الحق والتوحيد الخالص .

## الفصل السابع

### الشيخ أحمد عيسى عاشور (\*) الداعية المبارك والإعلامى الرائد

● لقد قيض الله تبارك وتعالى لدينه الحق رجاله المؤمنين الصادقين وجنوده المخلصين الذين أحبهم الله وأحبوه وحبب إليهم فعل الخيرات والاشتغال بمعالى الأمور والتعلق بقيم الحق والحب والحرية والتطلع إلى المثل العليا وحب الصالحين وزين لهم الطاعات وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان فاستقامت حياتهم على سنن الحق وجاهدوا في الله حق جهاده، فأعز بهم دينه وشريعته ونهج المصطفين الأخيار.

● ومن تلکم الصفوة المختارة سماحة الداعية المبارك والإعلامى الإسلامى الرائد الشيخ أحمد عيسى عاشور - رحمه الله تعالى وأنزله منزلاً مباركاً مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً - وهو الرجل الذى صنعه الله على عينه وقد مدّ فى عمره وبارك فى جهاده ونفع بعلمه وهدى به خلقاً كثيراً ورفع به لواء الدعوة الإسلامية خفاقاً فى مشارق الأرض ومغاربها وبارك فى ذريته فجندهم جميعاً للدود عن حياض الإسلام وسخرهم لإذاعة الكلمة الطيبة ونشر الثقافة الإسلامية الحقّة والوعى الإسلامى الرشيد حتى تبوأ شيخنا - رحمه الله - وأبناؤه من بعده مكان الصدارة فى خدمة الدعوة الإسلامية والأدب والإعلام الإسلاميين فكانوا - بحق - من أولئك النفر المرابطين على ثغور الإسلام ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين والذين باتت معاركهم مع الردة الحضارية التى يقودها معاندون مكابرون والمغرر بهم من المحسوبين على ديننا وأوطاننا، باتت معركتهم تلك واقعة لا محالة تعاني الأمة شظاها وأوزارها ولظاها.

---

(\*) صحيفة (البلاد) السعودية الغراء يوم الخميس (٥ من جمادى الأولى ١٤١٩ هـ -

٢٧ - ٨ - ١٩٩٨ م).

● وفيما كنتُ في المرحلة الثانوية أتجه إلى القراءة الحرة والبحث الإسلامي، لفتني فيما يصدر من الصحف والمجلات مجلة (الاعتصام) التي نبهني بعض زملائي إلى تميّزها ونهجها الإسلامي السديد، فطالعت بعض أعدادها فاستهوانى فيها جرأتها في الحق وتنزهها عن النفاق والتزلف لذوى الحظوة والنفوذ ودفعها عن الإسلام الرشيد والتوحيد الخالص، وبرغم تواضع إمكاناتها المادية التي انعكست على طبعاتها أوراقاً وإخراجاً في ذلك الحين من أواسط السبعينات الميلادية إلا أنها تبوّأت في نفوس طلاب العلم الحاليين بمجتمع الفضيلة وشريعة القرآن مكاناً علياً، فحرصتُ - كما حرص كثير من الشباب - على متابعة أعدادها وتلقف ما تصدره (دار الاعتصام) من رسائل وكتيبات للتوعية الإسلامية الرشيدة وتصحيح العقائد والعبادات والزود عن الدين الخفيف والدعوة إلى تحكيم شرع الله والالتزام بهدى القرآن الكريم وسنة النبي المصطفى ﷺ، مما كان له أطيّب الأثر في البناء المعرفي والوجداني للناشئة والشباب والطلاب، الأمر الذي انعكس خيراً وبركة على الصحوة الإسلامية المباركة في مصر وبخاصة وبلاد العرب والمسلمين بعامّة.

● ومع رحلتي المبكرة مع البحث وصدّاقة القلم توفّر لى شئ من البحوث الإسلامية المبكرة تاقت النفس لعرض واحد منها على (دار الاعتصام) والظفر بلقاء القائمين عليها، وكنت حينذاك فتى طلعة يسعى لاكتشاف عالم الأضواء في العاصمة القاهرة، ومن ثم شددت الرحال نحو القاهرة أسأل عن صاحب الاعتصام في (دار الاعتصام) في مقرها الكائن في رقم (٨٠) شارع حسين حجازى في القاهرة فقبل لى يمكنك أن تقابل الشيخ في مقر الجمعية الشرعية في المغربلين وهو من أحياء القاهرة العتيقة، «ولأيا عرفت» المغربلين «بعد توهم» وهنالك قبل لى يمكنك مقابلة صاحب الاعتصام في منزله العامر بحى المعادى من ضواحي القاهرة، فأتمت المعادى حيث كان اللقاء بالشيخ الجليل، ولعل ذلك كان في صيف ١٩٧٥ م.

● ومهما حاول القلم البليغ التعبير عن أثر ذلك اللقاء فى النفس فسوف يكون عاجزاً عن الوفاء عن ذلك الأثر العظيم الذى استقر فى الوجدان جراء ذلك اللقاء العبقري، حيث لقينى الشيخ الجليل بترحاب نبيل فى بشاشة وجه وطلاقة محيا وأبوة حانية وكرم عربى أصيل شدنى إليه تواضعه الجميل وإقباله على العبادة وعكوفه على البحث والدرس حتى لتستشعر وأنت فى حضرته أنك فى محراب علم وخلوة عابد ومعية عالم عامل من السلف الصالح.

● ولعل كل من التقى بالعالم الداعية الجليل الشيخ أحمد عيسى عاشور استقر فى نفسه ذلك الإحساس، وترك ذلك اللقاء أطيّب الأثر فى قلبه ووجدانه، وعمّق أواصر القربى الروحية بالسيد الجليل وشيخنا المبارك أحمد عيسى عاشور - عليه رحمة الله - ومن ذلك ما قصه الشيخ محمد المجذوب من انطباعه عن زيارته ولقائه الشيخ المفضال فى منزله العامر فيقول: «... والزائر لمنزل آل عاشور ليس بحاجة إلى طويل وقت حتى يستشعر بأنه واحد من أهله، فالسمات البارزة هناك هى الأنا والكرم هو ما يطالعك به محيا ذلك الشيخ الوقور، الذى لا أعرف وصفاً أحق من أنه بقية من السلف، الذين من حياتهم نستمد القدوة الحسنة، وتعلم ما يميز المسلم من فضائل الأخلاق» (ص ٩٥) من كتاب - (علماء ومفكرون عرفتهم) - للشيخ محمد المجذوب - الجزء الثانى - القاهرة ١٩٨٦ م. ويواصل الشيخ المجذوب حديثه عن تلك المقابلة فيقول: «استمر لقائى هذا الشيخ الصالح طوال الأيام التى أقمتها فى القاهرة ضمن ذلك المنزل؛ وفى قاعته الحافلة بمئات المجلدات فما أذكر أنى رأيت فى دار الاعتصام أو مكتبتها قط، وما أدري أهو دأبه أبداً فى لزوم البيت أم كان ذلك عارضاً بسبب انشغاله فى العبادات والمطالعة». (المصدر السابق ص ٩٥).

● ومن ذلك أيضاً ما رواه لنا صاحب (البريد الإسلامى) ومؤسس (دار تبليغ الإسلام) الداعية المبارك المهندس محمد توفيق بن أحمد سعد -

رحمه الله رحمة واسعة وأكرم نزله في مستقر رحمته - حيث تلاقيا لأول مرة ربما في ثلاثينيات هذا القرن في مكتب بريد العنتبة بالقاهرة لقاء الأجساد الذي سبقته أشواق الروح، وحدثني صاحب (البريد الإسلامي) عن ذلك حديثاً فياضاً بنبيل الأدب والأدب النبيل الذي ينطق بالفضل بين داعيين جليلين من تلکم الكوكبة التي قرَّبها الله إليه وحبَّب إليهم الإيمان وجندهم لنصرة دينه والذود عن حياض شرعه الحنيف، وعلى أثر تلك المقابلة دعاه الشيخ أحمد عيسى عاشور لزيارته في مقر الجمعية الشرعية في حي المغربلين في القاهرة، ومن ثم توثقت عرى المحبة بين الشيخين حتى استحالَت محبة صافية في الله على طريق الدين الحق وهدى سيد المرسلين وخير خلق الله أجمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين وصحابه الغر المحجلين .

● ومما قصه علينا صاحب (دار تبليغ الإسلام) - رضوان الله عليه - أنه قرأ الاعتصام من الفها إلى يائها ظاهراً وباطناً في واحد من أعدادها، ولما فرغ تماماً من قراءتها، تآقت نفسه إلى رؤية العالم الجليل الشيخ أحمد عيسى عاشور (صاحب الاعتصام) - رحمهما الله رحمة واسعة - ، فسأل أحد أبنائه أن يبرق إلى (صاحب الاعتصام) في القاهرة يخبئه على جهده البعقري في تحرير (الاعتصام) ويدعوه إلى زيارته في مقر (دار تبليغ الإسلام) في منزله العامر بثغر الإسكندرية الجميل، فإذا برسول (صاحب البريد) يلقي الشيخ أحمد عيسى عاشور وأنجاله في مدخل المنزل، جاءوا لزيارة الداعية المهندس محمد توفيق بكل الشوق والإخلاص، زيارة الحب في الله على غير مآرب زائلة يتعاطونها، ولذا فهم على نور ويوم القيامة على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله تعالى فلا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وضمن حديث المصطفى ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] .

● وليس من شك أن الاقتراب من شخصية الداعية المجاهد الشيخ أحمد عيسى عاشور في محاولة للتعريف بجوانب التفرد والامتياز في عطاء شخصيته المباركة أمر يطول ويطول وتضيق به الأبواب والفصول، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وتحت هذه الدراسة الوجيزة ندل على نبع فياض من الخير ومعلم بارز من معالم الوطنية الإسلامية وصانع من صناع النهضة الإسلامية المعاصرة في مصر والعالم العربي والإسلامي - والدال على الخير كفاعله - كما ورد في الحديث الشريف، وحسبنا في هذا الصدد أن نشير إلى المعالم البارزة في عطاءه الثرى في المجالات الآتية :-

- دعوته إلى التوحيد الخالص ودفاعه عن السنة النبوية المطهرة .
- مكانته في ريادة الإعلام الإسلامى المعاصر .
- دوره في تيسير الفقه والتوعية الدينية .
- جهوده في بناء المؤسسات الخيرية الفاعلة .
- محاولة لتفسير ذلك العطاء العبقري لتلك الشخصية .

● وليس من شك أن كل باب من أبواب عطاء الرجل ونشاطه وتفرده يحتاج إلى دراسات متخصصة في مجال الإعلام الإسلامى والدعوة إلى الله وريادة النشاط الاجتماعى الخيرى والباحث الفقهى، ولعل الباحثين والقائمين على تلك المجالات فى الدرس الجامعى يلتفتون إليها وينهلون من ثمار شجرة داعيتنا المبارك - رحمه الله - لإثراء دوحه الإعلام والدعوة والجهاد، وليبرزوا جوانب العطاء العبقري للرجل المبارك مثالا يُحتذى لعبدٍ من عباد الله سار على نهج النبى ﷺ وانطلق من هدى القرآن الكريم يعلى لواء التوحيد ويدعو إلى الخير والوئام والسلام . ولعل دراسة الدكتور خالد محمد نعيم عن فضيلة ( الشيخ أحمد عيسى عاشور ) كمعلمٍ رائد ( من أعلام الدعوة والفكر الإسلامى ) تأتى - برغم وجاتها - إضاءة مركزة على جهاد شيخنا الداعية - رحمه الله - فضلاً عن

كلمات تأبين الشيخ بعد رحيله إلى دار البقاء المنشورة في آخر أعداد (الاعتصام) - ردّ الله غربتها - (بعد زوال القوانين المقيدة للحريات)، ونأمل أن تعود لتضطلع بدورها في مواجهة العولمة وفرض ثقافة الكاوبوى وأبناء صهيون، ولتواصل رسالتها صوتاً مصرحاً أصيلاً في إثراء مناخ الوعي الثقافى المتنامى، وسفيراً للأوطان الإسلامية وكل الناطقين بالعربية فى أرجاء المعمورة، وإرضاء لروح صاحب امتيازها الذى استودعها أمانة فى أعناق أبناء هذا الوطن الكريم والأمة الإسلامية جميعاً.

\* \* \*

## الفصل الثامن

### الطبيب الداعية الدكتور زكى على (\*)

#### (١) مؤمن بكتّ لرحيله السماء والأرض !!

● أخيراً وبعد جهادٍ طويل في سبيل الدعوة الإسلامية ورسالة العلم والطب ودفاع مجيد عن قضايا العرب والمسلمين، وبلاء حسن في تعليم لغة القرآن الكريم للمستشرقين في جنيف بقلب القارة الأوروبية لنحو سبعين عاماً، يرحل العالم الطبيب والداعية الإسلامي النجيب والكاتب الشاعر الأديب الدكتور زكى على عن دنيا الفناء إلى دار البقاء ويفوز بلقاء الله تعالى، ويسبقنا إلى رب رحيم، ويسترد الخالق وديعته يوم السبت الحادى عشر من ذى القعدة لسنة (١٤١٩ هـ) الموافق السابع والعشرين من فبراير (١٩٩٩ م) ويُدْفَنُ جثمانه الطاهر - حسب وصيته - بجوار والديه في قريته أنشاص البصل من أعمال مدينة الزقازيق بمصر عن أربعة وتسعين عاماً وشهرين بالتاريخ الشمسى الميلادى وقرابة سبع وتسعين عاماً بالتاريخ القمرى الهجرى.

● وفقدان هذا الرجل خطب جليل لكل المؤمنين الصالحين في مشارق الأرض ومغاربها وخسارة كبرى لدعوة الحق وأهل القرآن أهل الله ودعاة الخير والإنسانية الكاملة، وعلى مثله تبكى السماء والأرض، وتصلى ملائكة الرحمن؛ لما لهذا العبد المؤمن المحب من يد بيضاء في خدمة الإسلام والاشتغال بتبليغ رسالته وهدايته إلى الأوربيين والمثقفين المستشرقين وتعليم اللغة العربية في جامعة جنيف للدارسين المستشرقين الأوربيين، مما هدى على يديه خُلُقاً كثيراً إلى الدين الحق، وساعد على تقديم صورة منصفة عن الإسلام والمسلمين عقيدة وتاريخاً وحضارة للدارسين الأوربيين وغيرهم من الأجانب، فكسب للإسلام بهم جنوداً مدافعين ودعاة مبشرين بالإسلام وثقافته بين الشعوب الأوروبية بلسان أبنائها، كما

(\*) صحيفة (أخبار الخليج) البحرينية في يوم الجمعة [٣٠ - ٤ - ١٩٩٩ م].

لاحظنا في أعلام القارة الأوروبية المنصفين أمثال الدكتور هانا مارى شمىل والدكتور زجرىد هونكه والسفير الدكتور مراد هوفمان والمفكر الفرنسى الفيلسوف رجاء الله جارودى وغيرهم عشرات بل مئات من أبناء القارة البيضاء الذين اضطلعوا بدعوة الإسلام وتبليغ رسالته والذود عن حضارته بعد أن هداهم الله تعالى إلى دينه الحق.

● عاش الرجل فى قلب الأحداث يؤثر فيها ويتأثر بها وصولاً إلى نصرة الحق بالكلمة المكتوبة والمذاعة والمرئية وكتابة المقالة وتآليف الكتب فى خدمة العلم والطب باللغات الأوربية الكبرى الإنكليزية والفرنسية والألمانية التى يجيدها جميعاً متحدثاً ومحاضراً وكاتباً كما يجيد لغته العربية ويبذل فيها نثراً وشعراً برغم إقامته وسط الأوربيين، وهو كذلك فى تآليفه وتصانيفه فى التعريف بالإسلام ولغة القرآن والدفاع عن قضايا شعوبه وأوطانه، وهو فى سبيل ذلك ظل على اتصال دائم بكل أعلام الإسلام فى مختلف بقاع المعمورة، يتابع ويرصد ويحلل وينقد ويكتب بكل اللغات وتُنشر مقالاته وآراءه بكل اللغات وكل الصحف والمجلات فى مصر والوطن العربى وأفريقية وآسيا والأمريكتين وقد عرضتُ لنشاط الرجل - رحمه الله تعالى - فى دراستى المنشورة عنه فى جدة بعنوان (من أعلام الدعاة فى أوربا - العلامة الدكتور زكى على) داعياً نجيباً وعالمًا طبيباً وكاتباً أديباً.

- وقد راسلتُ الرجل إبان إقامتى فى البحرين عام اثنين وتسعين وتسعمائة وألف وقد رجوته أن يزودنى بنبذة عن سيرته الذاتية مع صورة شخصية لأستعين بها فى الكتابة عنه فكتب إلىّ فى إحدى رسائله إلينا كتب يقول: «أما ما طلبت منى أن أوافيك به بدافع محبتك وإخلاصك وحسن ظنك بشخصى الضعيف العاجز من نبذة عن سيرتى فأرجو أن تعذرنى فى عدم تدوينها ولو بغاية الإيجاز فى رسالة شخصية وحسبك أننى أدعو لك بظهور الغيب وفى جنح الليل بصالح الدعاء»، ولما ألححتُ عليه فى طلب ذلك فى رسالة لاحقة كتب إلينا فى آخر

رسائله المؤرخة في جنيف ( ظهر السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤١٣ هـ - ٧ من نوفمبر ١٩٩٢ م ) كتب يقول : « ... فاعذروني في عدم إرسال مقالات أوصور لشخصي راجيا عدم الإلحاح ، وإنى أعانى من كثير من ضعف البدن والبصر المعوق ومن متاعب الهرم » فإنى من مواليد عام [ ١٣٢٢ هـ ] فتفضلوا بالتوقف عن الحديث فى هذا الموضوع لا سيما أننى دائم التفكير فى حديث سيدنا محمد رسول الله ﷺ : ( الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ) وأسأل الله حسن الخاتمة وفى نيتى الاعتكاف بلا تراسل وتزاور إلى أجل غير مسمى ولكم منى طيب التحيات وعاطر الذكريات .

● وبرغم اعتكاف داعيتنا المجاهد ليعبد ربه حتى يأتية اليقين إلا أنه ظل على صلة بهموم الدعوة وقضايا أمته الإسلامية بلقاء الأحبة المقربين الذين كانوا يلتقونه فى جنيف بحكم الإقامة أو الزيارة ومن هؤلاء الأعلام الذين تبادل معهم الرسائل حتى عام ( ١٩٩٧ م ) تقريباً الأديب الحجازى الرائد الشيخ محسن أحمد باروم الذى التقى داعيتنا فى جنيف فى بداية الستينيات الميلادية من هذا القرن العشرين حين أمم جنيف ليؤسس المكتب الثقافى السعودى فى جنيف ويكتب عن هذا اللقاء : « لقد كان الدكتور زكى على حين قابلته مرة فى شقته المتواضعة بشارع ٣١ ديسمبر فى جنيف الصاخبة ، قد اعتزل الحياة الدنيا والكون المحيط به ، وانقطع لعبادة ربه ، بعد أن قطع من العمر قرابة خمسة وخمسين عاماً آنذاك ( فى بداية الستينيات الميلادية ) قضاها مجاهداً فى سبيل قضايا شعوب أمة الإسلام ، وفى مقدمتها وطنه العزيز مصر ، ولم تترك له حوادث الأيام ومصائب الدهر ومشكلات السياسة الإسلامية ومصاعب العيش إلا ركائماً من أمراض الضعف ، ووهن العظام وأوجاع الشيخوخة ، التى عايشها بقلب مطمئن ، ونفس مليئة بالأمل فى رحمة الله وغفرانه وحسن ثوابه » .

● ولداعيتنا الفقيه عاطفه خاصة نحو الإمام الشافعى ، فقد أحبه حباً جماً

فقيهاً وشاعراً، وتعلق به تعلقاً رُوحياً عجبياً، حتى إن زيارة مسجد الإمام الشافعي في القاهرة وزيارة قبره كانت آخر عهده بوطنه مصر حين ودعها مبتعثاً من طب قصر العيني للدراسات العليا في باريس عام [ ١٩٣١م ] وكثيراً ما يردد أشعار الشافعي في رسائله ومؤلفاته بالعربية، ومن ذلك ما ورد في خطابه للشيخ محسن أحمد باروم حيث يقول له فيه: «... وأنا - كما ذكرت لك - أثناء زيارتك الخاطفة أني أعيش كالمعتكف في (صومعته) كالغريب عن دنيا هذا الزمان، بل وعن أهل هذا الزمان، أضف إلى ذلك نُدرة زيارة الإخوان، الذين لا يبلغ عددهم كل أصابع يدٍ واحدة، والحمد لله على كل حال، وإنني أذكر بيني وبين نفسي قول الشافعي:

بموقف ذُلِّي دون عزتك العظمى      بمخفى سرِّ لا أُحيطُ به علماً  
بإطراق رأسي باعترافي بزلتي      بمد يدي أستمطر الجود والرحماً  
أذقني شراب الأُنس يا من إذا سقى      مُحبباً شراباً لا يُضام ولا يُظماً

هكذا كان الدكتور زكي على في غربته الروحية، يعيش بجسمه بين كتل الأحياء الذين يحيطون به من كل جانب، ولكنه ينأى بروحه وفكره ووجدانه عنهم» والتعبير للشيخ محسن باروم في التعليق على خطاب الدكتور زكي على إليه <sup>(١)</sup>. (من أعلام الدعاة في أوروبا ص ٢٧، ٢٨ لكاتب المقالة - عالم المعرفة بجدة - الطبعة الأولى [ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ]).

● ومن عرف للداعية الفقيه حقه وكتب يُنبه إلى فضله الأديب الإسلامي الشهير والإعلامي القدير الأستاذ فهمي هويدي الذي سطر بيراعه المثقب مقالته المنشورة في مجلة (المجلة) الدولية في عددها الصادر في لندن بتاريخ [ ١٥ / ٨ / ١٩٩٨ م ] بعنوان (الدكتور زكي على الذي لم يعد يذكره أحد) وأعلى هذا العنوان الرئيسي في أقصى يمين الصفحة جعل عنواناً جانبياً ثانوياً

(١) الجوهري. عبد اللطيف - من أعلام الدعاة في أوروبا - العلامة الدكتور زكي على ص ٢٧ - ٢٨ - الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) الناشر: عالم المعرفة بجدة.

لافتاً يقول: ( أقدم عربى فى جنيف طريح الفراش وينتظر الأجل وحيداً ) وقد أشار فيها إلى الدراسة المفصلة المنشورة فى كتاب برعاية الشيخ محسن أحمد باروم وبدعوة ندية منه والتي عنوانها: [ من أعلام الدعاة فى أوربا - العلامة الدكتور زكى على ] لصاحب المقالة، وقد استجاب رجال الحرس الوطنى فى المملكة العربية السعودية بأوامر من سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولى العهد لما ورد فى المقالة المذكورة وعرضوا شتى أنواع المساعدة لداعيتنا الدكتور زكى على وخدمته إلا أن حالته لم تسمح بالانتقال لمستشفى الحرس الوطنى بالرياض فقدمت للرجل ألوان أخرى من الرعاية والمساعدة جزى الله كل من قام بها أو انتبه إليها وأمر بها خير الجزاء، يقول الأستاذ فهى هويدى: « ما من عربى أو مسلم ذهب إلى جنيف طيلة الستين سنة الأخيرة إلا وسمع باسم الدكتور زكى على أو سعى إليه، وما من قضية من قضايا العرب والمسلمين أثرت فى أوربا طيلة تلك الفترة إلا وكان الدكتور زكى على فى مقدمة المدافعين عنها فى كل الساحات ومن فوق كل المنابر، بالرغم من ذلك - وفى حدود علمى، فإنه ما من علم من الأعلام لقى تجاهلاً ونكراناً من جانب أمته بقدر ما لقى ذلك الرجل المدهش! »

- ويمضى الأستاذ فهى هويدى فى مقالته فيقول: « بعد رحلته الطويلة والحافلة، وقد بلغ من العمر الآن ( ٩٣ ) عاماً، يرقد الدكتور زكى على هذه الأيام فى إحدى مستشفيات جنيف ينتظر الأجل المحتوم، وقد استبد به الضعف والوهن، وعجزت قدماه عن حمله، حتى عينه التى بقيت له لا يكاد يبصر بها إلا بصعوبة بالغة، كل ما يحلم به أن يؤدى فريضة الحج، وكل ما يخشاه أن يموت وحيداً وليس إلى جواره أحد من المسلمين الأتقياء، كما ذكر فى إحدى رسائله<sup>(١)</sup> (مجلة (المجلة) العدد - ٩٦٥ - ص ٣٠).

---

(١) هويدى. فهى. مجلة (المجلة) الدولية. لندن. العدد (٩٦٥) ص ٣٠ - أغسطس

● وبعد : فقد مات الرجل واستراح من عناء الدنيا وتحرر من سجن الجسد  
وسجن الدنيا وفاز بلقاء الله الذي كان مستعداً له منذ سنوات وسنوات، ليلحق  
بركب الصالحين والأنبياء والشهداء مع الصديقين، وليلقى محمداً وصحبه  
وحسن أولئك رفيقا، وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ  
الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي  
جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] وإنا لله وإنا إليه راجعون .

\* \* \*

## (٢) الدكتور زكى على (\*) وسبعون عاما في خدمة العلم والإسلام

• ولد الدكتور أحمد زكى على العشماوى (والذى اختصر اسمه إلى زكى على واشتهر به فى الأوساط العلمية والأدبية) ببلدة أنشاص البصل من أعمال مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية بمصر أواخر يناير ١٩٠٥م ونشأ نشأة إسلامية فى بيت علم ودين وتلقى دراسته الأولية والابتدائية والثانوية فى الزقازيق والقاهرة.

– اشتعلت الحركة الوطنية المصرية فى مارس ١٩١٩م وهو فى المدرسة الحديوية بالقاهرة فانخرط بين صفوف شبابها الثائر وانضم إلى صفوفها، ونشرت أول مقالة وطنية له بعنوان «فى سبيل الاستقلال» بجريدة «النظام» بالقاهرة فى سن الخامسة عشرة، ثم تابعت مقالاته الوطنية فى الصحف والمجلات.

– التحق الدكتور زكى على بمدرسة الطب المصرية بقصر العينى ونال منها إجازة الطب فى يناير ١٩٢٧م واشتغل طبيبا لشركة النفط الانجليزية (شل) بالگردقة وهناك ساءت حالته الذل والظلم التى يعانىها الأهالى والعمال المصريون من الشركة فعمل على رد حقوقهم وحث الأهالى على التمسك بالدين ومكارم الأخلاق حيث كان يخالطهم فى مسجد الغردقة.

عاد الدكتور زكى على من الغردقة ليعمل طبيبا بقصر العينى وافتتح عيادة طبية بالقاهرة وأخرى فى بردين من أعمال محافظة الشرقية بمصر.

– وفى سنة ١٩٣١م ألف بالعربية رسالته الأولى فى الطب بعنوان (الطب العربى وتأثيره فى مدينة أوروبا) وطبعتها دار الكتب المصرية والتى كتب عنها أحمد الصاوى محمد يقول: (الطب العربى وتأثيره فى مدينة أوروبا) صفحات

---

(\*) صحيفة (الأخبار) القاهرية يوم الجمعة ١٨/٣/١٤٢٠هـ – ١٩٩٩/٧/٢م.

لا يجوز لرجل مثقف أن يجهلها، ففيها . كما قال هذا الدكتور الكريم إحياء لمآثر العرب العظيمة ومفاخرهم النبيلة تخرج للناس يجدون فيها علما ماثورا ودليلا ساطعا وحجة ناطقة بحضارة العرب ومدنيتهم ممثلة في الطب العربي الذى جعلوه وثيق الأركان رفيع البنيان وخلدوا معالمه فى لوح التاريخ .. ويختتم الأستاذ أحمد الصاوى محمد كلمته عن مؤلف الدكتور زكى على فى الطب بقوله : مع صغر هذه الرسالة القيمة فإن مؤلفها البارع أتى فى آخرها بعشرين مرجعا بين عربية وانجليزية وفرنسية وطبعها طبعا متقنا فى مطبعة دار الكتب المصرية، وهو ما يستحق عليه الشكر والثناء» .

– تعاطى الدكتور زكى على – رحمه الله – صناعة الطب وزاول مهنته فى مصر وفرنسا والنمسا وجنيف بسويسرا التى حط برحاله فيها منذ أواخر عام ١٩٣٤م حتى وفاته آخر فبراير ١٩٩٩م .

وقد نشرت أبحاثه الطبية فى المجلة الطبية المصرية بالقاهرة والمجلات الطبية المتخصصة المشهورة فى سويسرا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا ولقد عُدُّ بحث طبيينا الزائد الدكتور زكى على ( تاريخ الجراحة العربية فى أسبانيا « الأندلس » ) الذى نشر فى باريس بالفرنسية عام ١٩٣٢م معادلا لرسالة دكتوراه فى الطب كذلك بحثه ( الدهانات التالية لعمليات جراحية ) الذى كتبه بالفرنسية ونشر فى سجلات الأمراض العصبية والنفسية بسويسرا سنة ١٩٤١م، وفى سنة ١٩٨٣م انتخب الدكتور زكى على عضوا مزاملا فى الجمعية الطبية بجنيف كما رشحته نقابة الأطباء فى جنيف فى العام ذاته رئيسا لأطبائها باعتباره أكبر الأطباء سنا إلا أنه اعتذر عن ذلك لظروفه الصحية .

● كان ذلك فى مجال الطب وعلومه (أما) عن عطائه العبقري فى مجالات النشاط الفكرى والأدبى لحضارة أمته العربية الإسلامية فقد عكف الدكتور زكى على منذ أن حط برحاله فى باريس فى نوفمبر عام ١٩٣١م للتخصص الطبى على الدرس والاستزادة من العلم، ولم ينس قضية الاحتلال البغيض لبلاده فى مصر

والأوطان العربية والإسلامية، وما لبث أن تواصل مع الأوساط العربية والإسلامية في باريس ليواصل جهاده في سبيل العلم والدعوة لاستقلال بلاده وسائر الأوطان العربية والإسلامية .

وفي ربيع عام ١٩٣٢م انتخب عضواً في جمعية تاريخ الطب الفرنسية بَيِّد أن دراساته العلمية لم تشغله عن مواصلة جهاده في سبيل الدعوة الإسلامية فانتقل من باريس إلى فيينا عاصمة النمسا حيث شرع يعمل للدعوة الإسلامية وحرية واستقلال بلاده بعقد الاجتماعات وإلقاء الخطب والمحاضرات والأحاديث الإذاعية بالإسلام وعالمه الفسيح والدعوة إلى قيمه ومثله العليا، وقام بالاتصال بكثير من المفكرين المشتغلين بالشئون الإسلامية في الشرق والغرب .

– ومن أجل تأدية رسالته أسس الدكتور زكي علي ( رابطة الثقافة الإسلامية ) في فيينا عاصمة النمسا سنة ١٩٣٢م كما اشترك في تأسيس جمعيات إسلامية أخرى في وسط وغرب أوروبا .

● غير أن الدوائر الاستعمارية الاستكبارية لم تستقبل نشاط الدكتور زكي عليّ المبتعث من طب قصر العيني للدراسات العليا في الطب بالارتياح فأوحت تلك الدوائر للقائمين على رئاسة البعثة في أوروبا بتوجيه الأمر للدكتور زكي علي بالعودة الفورية إلى إنجلترا وإلا اعتبر مفصولاً من البعثة ولم يستطع الدكتور زكي تنفيذ الأمر لأنه كان مريضاً وطريح الفراش في مستشفى بادن من ضواحي فيينا وكان الدوائر الاستعمارية والعناصر الموالية في الحكومة المصرية تعرف ذلك، وقد استغلت تلك الظروف لإعادة الدكتور زكي إلى مصر أو فصله فصلاً تعسفياً من البعثة الطبية وكان لهم، وضحي الرجل مضطراً بوظيفته كأستاذ في طب قصر العيني وقطع عنه عطاء البعثة ومنحتها من الحكومة المصرية في ظل الاحتلال آنذاك، وتحدى داعيتنا المجاهد الصعاب والشدائد التي واجهته من الفقر والمسغبة فلزم التقشف في مجتمعات الرفاهية واتخذ من جوعه صوماً يتقرب به إلى الله تعالى .

- ولما لمع نجم الدكتور زكى على فى سماء أوروبا مدافعا شجاعا عن قضايا الأوطان العربية والإسلامية وجهادها فى سبيل الحرية والاستقلال دعاه الأمير شكيب أرسلان للإقامة معه فى جنيف فأمرها أواخر عام ١٩٣٤م ليكون عضوا فى اللجنة التى يرأسها الأمير شكيب أرسلان للإعداد للمؤتمر الإسلامى العالمى الأول فى قلب أوروبا عام ١٩٣٥م، فى جنيف حيث مقر عصبة الأمم فلبى الدعوة وانتقل إلى جنيف واستقر بها، وتولى سكرتارية أول مؤتمر إسلامى عالمى، واتخذها منذ ذلك الحين مركزا لجهاده يرقب منه أحوال العالم العربى وأوطان الأمة الإسلامية، ويُكوّن مع الأمير شكيب أرسلان والشيخ والإعلامى على الغياتى صاحب مجلة (منبر الشرق) قاعدة صلبة فى تنظيم الكفاح وتنسيق جهود المقاومة ضد أعداء الأمة من المحتلين الطامعين المتربصين.

- يقول الدكتور زكى على فى كتابه المؤلف بالفرنسية (هذه هى الشعوب البيضاء) عن تلك الفترة من ثلاثينيات القرن العشرين: «لقد اكتشفت فى أوروبا حالة مؤلمة من الجهل بدىنى (الإسلام) كما تجلّى لى وجود كثير من الآراء المتعسفة الظالمة مع سوء الفهم والجهل وقيام أفكار خاطئة فى ذهن الرجل العادى فى الغرب عن الإسلام والمسلمين وهنا عرضت على نفسى العمل لإيجاد حالة أفضل من التفهم والتقدير بين العالمين الغربى (الأوروبى) والإسلامى، وبوصفى وطنيا آليت على نفسى أن أعمل فى أوروبا بقلمى ولسانى مكافحا فى سبيل تحقيق الحرية والاستقلال لوطنى».

- وخلال إقامته فى جنيف فى أواخر عام ١٩٣٤م إلى وفاته بها آخر فبراير ١٩٩٩م حيث غادر دنيا إلى دار البقاء وانتقل إلى جوار الكرم فى ١١ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ - الموافق ٢٧ من فبراير ١٩٩٩م حفلت حياة داعيتنا الطبيب الرائد بالعطاء المتواصل فى سبيل العلم وتطبيب جراح الجسد والنفس متتبعا مسيرة أمته راصدا أحوالها على مختلف الأصعدة اقليمية وعربيا وإسلاميا وكونيا حتى أن كتابه «الإسلام فى العالم» الذى ألفه بالإنجليزية وصدرت طبعته الأولى

فى لاهور عام ١٩٣٨م كتب عنه الأستاذ محمد لطفى جمعة فى مجلة ( الرابطة العربية ) أواخر الثلاثينيات يقول : « لم يضع كاتب حديث ولا قديم بلغة غير لغته كتابا على هذا النمط العالى ، كما صنع الدكتور زكى على نزيل جنيف وخادم العلم والوطن والملة . وإذا كان هذا الرجل الفذ لا يزال فى العقد الرابع ، كما علمنا من بعض عارفية الثقات فلا يعلم إلا الله ما يصل إليه بعد عشرين سنة من الدرس والتحصيل والتنقيب والتأليف .

كما عرض لكتاب الدكتور زكى على كتاب كثيرون منهم صاحب مجلة (الفتح) الأستاذ محب الدين الخطيب فى مقالته المجيدة بالفتح والتي دعا فى نهايتها الدولة المصرية للاستفادة من عبقرية الدكتور زكى على وقدراته الفريدة فى العلم والمعرفة للنهوض بالوطن والأمة كما تفعل الدول المتحضرة التى مثل لها بإيطاليا وهولندا .

- وعن قصة اتصال وزير الدعاية فى حكومة الزعيم الألمانى هتلر الدكتور جوبلز بالدكتور زكى على يقول : « على أثر ظهور الطبعة الأولى من كتابى بالانجليزية (الإسلام فى العالم) سنة ١٩٣٨م والاستقبال العظيم الذى قوبل به فى الشرق والغرب بفضل من الله عظيم والحمد لله على آلائه كتب إلى الناشر الألمانى ( باول لست ) راجيا السماح له بترجمته إلى الألمانية فأرسلت إليه نسخة لهذا الغرض ، ولكن كان لا بد من عرضها أولا على الدكتور جوبلز وزير الدعاية ( البروجاندا ) فى عهد هتلر فرفض أن يترجم كتابى ، لأن ما ذكر فيه عن نظام الإسلام ونهجه لا يتفق مع مبادئ ونظريات النظام الهتلرى ، فعاد الناشر يرجونى أن أكتب فصلا عن (ألمانيا والإسلام خلال العصور) لينشره فى ختام الكتاب المذكور .. وفعلا بعثت بالفصل المطلوب (بالألمانية طبعا) إنما - مع الأسف - عرض من جديد على وزير الدعاية الهتلرية فحذف جانبا كبيرا منه ، فيه بيان لسمو الإسلام فوق القوميات والعصبيات والعنصريات والسلاليات وفوق النظم البشرية الوضعية سواء كانت ليبرالية أم ديكتاتورية .. إلخ .. ثم نشر الكتاب

والفصل بعد ذلك الحذف بدون أخذ ولا رد معى ولعذالم أذكره من قبل بين مؤلفاتى بسبب ما حصل فيه من حذف ونسخ» .

— سجل اسم الدكتور زكى على بأحرف من نور فى بعض دوائر المعارف الدولية مع الإشارة فى بعض دوائر المعارف العالمية إلى أبرز أعماله ومؤلفاته ونبذة عن حياته .

● وبعد فهذه مؤلفات الدكتور زكى على رحمه الله :

( ١ ) رسالة الطب العربى وتأثيره فى مدينة أوروبا [ بالعربية ] صدر فى القاهرة ( ١٩٣١ م ) .

( ٢ ) الإسلام فى العالم ( بالإنكليزية ) صدرت طبعته الأولى ( ١٩٣٨ م ) وطبعته الثانية ( ١٩٤٧ م ) فى لاهور ثم نشر فى الستينيات فى نيويورك فى أمريكا دون إذن المؤلف .

( ٣ ) لمحات فى الإسلام ( بالإنكليزية ) سنة ( ١٩٤٤ م ) الطبعة الأولى فى جنيف والثانية فى لاهور سنة ( ١٩٥٤ م ) .

( ٤ ) أوروبا والإسلام [ بالفرنسية ] ونشر فى جنيف ( ١٩٤٥ م ) وترجم إلى العربية فى لبنان ونشرته دار الكشف فى بيروت سنة ( ١٩٤٩ م ) دون إذن المؤلف .

( ٥ ) اللغة العربية فى العالم [ بالفرنسية ] نشرته مدرسة الترجمة بجامعة جنيف سنة ١٩٥٠ م ثم ترجمته إلى العربية مجلة ( الأنوار ) فى تطوان ( المغرب ) سنة ( ١٩٥٠ م ) .

( ٦ ) تأثير الثقافة الإسلامية فى الغرب ( بالألمانية ) ونُشر فى أولتن ( OLTEN ) بسويسرا ( ١٩٦٠ م ) .

( ٧ ) هذه هى الشعوب البيضاء [ بالفرنسية ] وطبع فى لوزان ( سويسرا ) ونُشر سنة ١٩٧٣ م .

● وللعلامة الدكتور زكى على ( ١٥ ) خمسة عشر بحثاً طبياً نُشرت فى

( ٢١ - للحق والنهضة والجمال )

مجلات طبية متخصصة في مصر وفرنسا وسويسرا وألمانيا وبلجيكا وإيطاليا واعتُبر أحد هذه الأبحاث (بالفرنسية) وهو (الدهانات التالية لعمليات جراحية) والذي نشرته مجلة السجلات السويسرية للأمراض العصبية والنفسية عام ١٩٤١م معادلاً لرسالة دكتوراه في الطب من جامعة سويسريه .

● كما شارك مع الزعيم أغاخان في تأليف كتاب عن الحضارة العربية الإسلامية بالإنجليزية كتب الدكتور زكى فصله الثاني وعرض فيه لفضل الحضارة العربية والإسلامية على أوروبا في مختلف نواحي الفكر والثقافة والتبادل الحضارى .

– تبادل الدكتور زكى على الرسائل مع أقطاب الفكر والرأى والأدب فى العالم الإسلامى والأوروبى والأمريكى ومن هؤلاء الفيلسوف الدكتور محمد إقبال شاعر الإسلام والهند والباكستان والعلامة الرائد محمد فريد وجدى والسفير والجامعى الدكتور عبد الوهاب عزام وأديب الإسلام العلامة أبو الحسن الندوى والأديب السعودى الرائد الشيخ محسن أحمد باروم والأديب الموسوعى الأستاذ أنور الجندى والداعية المهندس محمد توفيق بن أحمد سعد صاحب «البريد الإسلامى» وصاحب مجلة «الفتح» الأستاذ محب الدين الخطيب والكاتب الإسلامى العبقرى الأستاذ فهمى هويدى والزعيم أحمد حسين والأمير شكيب أرسلان والمجاهد على الغاياتى صاحب (منبر الشرق) والشاعر الدكتور مختار الوكيل وملك بلجيكا وأدباء ندوة العلماء بالهند وصاحب هذه السطور وغيرهم وغيرهم .

● قام الدكتور زكى على بدعوة من جامعة جنيف ١٩٤٣م بتدريس اللغة العربية والترجمة الفورية من اللغة العربية وإليها من مدرسة الترجمة الملحقه بالجامعة فقبل ذلك وقام بهذا العمل لخدمة لغة القرآن الكريم وآدابها على مدى تسع عشرة سنة .

والدكتور زكى على شاعر بالفطرة والنشأة وله شعر جيد ونثر بديع، ولعل أشهر ما وصلنا من شعره قصيدته فى وداع مصر حين غادرها أواخر عام ١٩٣١م والتي مطلعها:

وداعا منك يا مصر وداعا وليس البعد عنك هوى مطاعا (١)

● وقد كان له كَلْفٌ بشعر الإمام الشافعى الذى تعلق به قلبه حتى عد من مريديه ومحبيه وكثيرا ما استشهد بشعره فى رسائله لأحبابه وتلاميذه وإخوانه، ولا غرو أن يكون آخر ما فعله قبيل مغادرته مصر للدرس فى أوروبا زيارة لقبر الإمام الشافعى ومسجده فى القاهرة. لقد أدرك الدكتور زكى على - رحمه الله - الغاية التى خلقه الله من أجلها فى هذا الكون، وآمن إيمانا جازما أنه خلق فى هذه الحياة لغاية سامية وحكمة بالغة، ألا وهى خلافة الله تعالى فى الأرض وعبادته عبادة تستوعب نشاطه الإنسانى كله، لىأتى موافقا لطاعة الله تعالى وطمعا فى رضاه، وليكون من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، وكان إيمانه ذلك من وراء عطائه العبقرى فى مجال الطب والعلوم والآداب والحضارة الإيمانية وخدمة قضايا الأمة الإسلامية ووحدتها ونهضتها.

- وبعد: فلا أجد أنسب ولا أدل من هذه الكلمات على لسان الدكتور زكى على فى تعريف نفسه إلى القارئ الكريم فيقول - رحمه الله - وكأنه يودع دار الفناء:

إنى أثق أننى غريب فى هذه الدنيا، عابر سبيل مجهول، وحسبى ذكر الله الذى يعلم ما فى السرائر والضمائر والقلوب، وأقول ما قاله إمامى الإمام الشافعى رضى الله عنه:

ولما قسا قلبى وضقت مذاهبى جعلت الرجا منى لعفوك سلما  
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما

فاللهم اغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وأرحمنى يا أرحم الراحمين  
يا رب العالمين آمين.

\* \* \*

(١) انظر كاتب المقالة فى كتابه [من أعلام الدعوة فى أوروبا - الدكتور زكى على] (عالم المعرفة) بجدة - الطبعة الأولى [١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م].

## الفصل التاسع

### الشهيد المجاهد عمر المختار

### مثل بديع في الجهاد كريم

● في مثل الزعيم الشهيد عمر المختار يصدق قول أديب العربية وداعية الحرية الشيخ عبد الرحمن الكواكبي إذ يقول: « ما بال الزمان يضمن علينا برجال ينبهون الناس، ويرفعون الالتباس، ويفكرون بحزم ويعملون بعزم، ولا ينفكون حتى ينالوا ما يقصدون ».

– والزعيم عمر المختار مثال بديع في كوكبة المجاهدين، بلغ ذرا المجد والكمال والكرم، إذ نهض لقيادة شعبه وأبناء وطنه في مواجهة المحتل الباغي والغازي المغتصب الذي اجتاح البلاد بغيا وعدواناً، وعمد إلى استغلال خيرها واستعباد أهلها، ومن ثم كان وقوف أبناء البلاد بقياد الزعيم عمر المختار عملاً مشروعاً وجهاداً نبيلاً ونبراساً هادياً للشعوب المقهورة والمستغلة؛ بالمواجهة المقدسة والتصدي لقوى البغي والعدوان بكل الوسائل المتاحة في جهاد شريف وكفاح نبيل حتى النصر أو الشهادة.

– ولقد جاهد عمر المختار الأعداء الغزاة جهاداً عبقرياً، كان فيه مثالا للمجاهد الشريف والفارس النبيل حتى انتزع التقدير والإعجاب من فم أعداء الوطن والدين انتزاعاً، وواصل جهاده حتى بلغ ذروة الشجاعة والكرم فنال الشهادة راضياً مرضياً بعد مقاومة بطولية كان فيها جواداً وشهماً نبيلاً، لم يدهن أو يساوم على حساب مصالح وطنه وأمانيه المشروعة في الحق والعدل والاستقلال والحرية، ولم يغره مال أو جاه، وبقي على إرادته تلك حتى أتاه اليقين، ولقى ربه غير مضيع ولا مفطر، فبقى لأهله وأمته مثلاً عبقرياً لكوكبة القادة المجاهدين والأبطال الميامين، وبقي ذكره نورا يستضاء به، وناراً تحرق أطماع المتربصين بالدين والأرض والعرض.

● وما أحوج أمتنا في هذه الحقبة السوداء من تاريخها لاستنهاض الهمم وتفجير الطاقات الكامنة في البلاد والعباد؛ لمواجهة الهيمنة الصهيونية الأمريكية في أوطان العروبة والإسلام، ولا يكون ذلك إلا برجال ممن يضمن الزمان علينا بهم ممن « ينبهون الناس، ويرفعون الالتباس، ويفكرون بعزم، ويعملون بعزم، ولا ينفكون حتى ينالوا ما يقصدون » كما قال الكواكبي في عبارته التي زينا بها صدر هذه المقالة .

— من أجل هذا فإن أمتنا العربية والإسلامية لفي أمس الحاجة لهذا الصنف من الرجال، وذلك الطراز من القادة للسير على نهج النبي القائد والمعلم ﷺ وتلاميذه المباركين كسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة عامر بن الجراح وسيف الله المسلول خالد بن الوليد، ومن هذا حذوهم من القادة كصلاح الدين الأيوبي والملك المظفر سيف الدين قطز ومحمد الفاتح صاحب فتح القسطنطينية العظيم، ومن بعدهم المجاهد عمر المختار والأمير عبد القادر الجزائري والزعيم مصطفى كامل ورفيق دربه محمد فريد وغيرهم وغيرهم في قافلة القادة المظفرين على امتداد الوطن العربي الكبير والأمة الإسلامية من المحيط إلى المحيط، أولئك النفر الذين يجود الزمان بهم في مراحل التحول التاريخية، التي يسعى فيها الأعداء لتوجيه ضربتهم القاضية لأمة العرب والمسلمين، فإذا آمالهم تخيب، ومساعيهم تبوء بالفشل، إذ يُقيض الله للأمة وأوطانها مَنْ يلمُّ شعثها، ويوحد طاقاتها، ويبعث فيها الأمل والعزم والإرادة السياسية الفاعلة، وفي مثله يصدق قول الشاعر:

لَهُ هَمٌّ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصَّغْرَى أَجْلٌ مِنَ الدَّهْرِ

— وإن أمتنا قد تمرض، ولكنها لا تموت وسرعان ما تتماثل للشفاء، وكم من مواقف مرت بها عبَّرَ تاريخها أعدَّ لها الأعداء أكفانها وحفروا لها قبورها، ولكن ما لبثت أن نهضت من عثرتها، وأفادت من غفوتها، فاستحال ضعفها قوة وتفرقتها وحدةً وضلالها رشاداً، فنصرها الله تعالى وأيدها بروح منه، فهزمت

أعداءها واستعادت رشدتها وتملكت زمام القيادة والتوجيه لخير حضارة شهدتها مسيرة البشرية في تاريخها الطويل، حضارة العلم الإيمانية والتوحيد الخالص والإنسانية الحقة .

– ولقد حدث لأمتنا مثل هذا الابتلاء ونزل بها مثل هذا البلاء في غزوة الأحزاب وفي حنين ومؤته وتبوك، وفي حروب المرتدين ومع الصليبيين القدامى والجدد، وفي ظل الاجتياح المغولي، ويبقى التحدى الصهيوي – أمريكى، والذي هو أثر من آثار اتفاقية (سايكس – بيكو) ونتاج مساعي عميل المخابرات الإنكليزية لورانس في بدايات هذا القرن العشرين الميلادى .

● ويبقى أمامنا تحدى الجهل والتخلف والتشرذم، فضلاً عن تحدى

الاحتلال الصهيوي – أمريكى لفلسطين وهو في الحقيقة احتلال وغزو أوربي صليبي في ثياب صهيونية، تواطأ فيه الغرب الأوربي مع دعاة الفكرة الصهيونية لزرع الكيان الصهيوني في فلسطين باسم إسرائيل؛ لطعن آمال الأمة العربية والإسلامية في النهضة والتوحيد والتوحد، والقضاء على طموحها المشروع في الاضطلاع بدورها في القيادة العالمية وبناء الحضارة الإنسانية المعاصرة، وضمان تخلفها وعجزها وبقائها في دائرة نفوذ السيد المستعمر الجديد، لا تقطع أمراً دونه، ولا تخرج على وصايته المقنعة وإلا فالويل والثبور لمن يزعم أحلامه وطموحاته في الهيمنة والسيطرة والسعى لتحويل العرب والمسلمين إلى هنود حمر وإلا فالمواجهة والحصار وحرب الإبادة كما هو ماثل للعيان في غير مكان .

● وإني لأشكر لأستاذنا الشاعر العربي الليبي الكبير والناقد الأدبي القدير

الدكتور محمد حامد الحضيرى الأستاذ بكلية الآداب بينغازى دعوته لصاحب هذه المقالة وسط كوكبة الأدباء الأفاضل والشعراء الأماثل للاحتفاء بالذكري المتجددة للزعيم المجاهد والشهيد الحىّ عمر المختار – رحمه الله ورضى عنه، وأنزله منازل الصديقين والأبرار مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

\* \* \*



● **وَبَعْدُ:** فأرجو أن أكون بما قدمت من فكر وأدب قد أذنتُ فأسمعتُ وبلّغتُ، ولم تكن مساهمتي الفكرية والأدبية بهذا الكتاب صِيحَةً في وادٍ أو نفخة في رماد، وعسى رجال الأمة الواعدين أن ينهضوا فَيَبْزُغُ بهم فجرُ أمتنا الصادق، ليقيل عثارها، ويجمع شتاتها ويستثمر بديع طاقاتها، فتضطلع بدورها في بناء حضارة العلم والإيمان وتُحقق إنسانية الإنسان في أبهى صورها، وتُلْجَم حضارة (الأشياء) وعبادة العقل والجسد والقوة المتغترسة بلجام القسط والحق؛ ليسود السلام وتهنأ الشعوب المستلبة والأُم الضعيفة بحياة الحرية والعدل والإيمان والقسطاس المستقيم .

● وما أجدَر أمة خير الأنام - ﷺ - أن تضطلع بدورها الذي هي حريّة به، باصطفاء الله تعالى لها حين تعتصم بحبل الله وتتألف قلوب أبنائها علي كلمة التوحيد والإيمان والسلام فيتحقق فيها قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

● ولا شك أن أمة التوحيد بوسطيتها في السلوك البشري والبناء الاجتماعي ومنظومتها الأخلاقية وشريعتهما السمحة والتزامها العدل مع البشر جميعاً، مهياة للاضطلاع بذلك الدور في إنقاذ الحياة على كوكبنا من المصير الأليم الذي تقودها إليه الحضارة المادية بقيمتها الاستهلاكية وفجورها الطاغية وظلمها الصارخ للآخر المختلف، واعتسافها الحقائق وتمجيدها شريعة القوة الباغية، وهذا ما نبّه إليه أصحاب النظر الثاقب والبصيرة النيّرة من المفكرين

المصلحين الاجتماعيين من الأوربيين والمسلمين على السواء، أمثال المفكر والفيلسوف الفرنسي رجاء الله جارودي والمفكر والدبلوماسي الألماني الدكتور مراد هوفمان وعالم الاجتماع والمفكر الإسلامي الدكتور رشدي فكار .

● والحمد لله من قبلُ ومن بعدُ، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وصل اللهم صلاة دائمة مباركة طيبة ما هبَّت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم على حبيبك نبينا وهادينا وقدوتنا سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم صلاةً في الأولين وصلاةً في الآخرين إلى يوم الدين .

\* \* \*

المؤلف

**عبد اللطيف كمال الجوهري**

بريد الإسكندرية بمصر ٢١٣١١

ص . ب ٢٢ سيدى جابر

ت : ٥٧٢٥٤٦١ فاكس : ٥٧٤٨٥٨٩



## ● مؤلفات منشورة :

- ١ - قضيتنا مع إسرائيل (دراسة في ضوء القرآن الكريم) - مطبعة الإصلاح بطنطا (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م).
- ٢ - عمر الخيام وقصة الرباعيات - في ضوء الإسلام - الطبعة الأولى - دار الأنصار بالقاهرة (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).
- ٣ - مقال في أزمة التربية - قراءة في كتاب (التربية وبناء الأجيال) للأستاذ أنور الجندي - دار الدعوة بالإسكندرية (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).
- ٤ - عمر الخيام ومسألة الرباعيات - في ضوء الإسلام - الطبعة الثانية - السابق (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).
- ٥ - رحمة الله - دراسة من القرآن الكريم في ضوء الطب النفسي - الناشر السابق (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).
- ٦ - مع إقبال - شاعر الوحدة الإسلامية - مكتبة النور - القاهرة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- ٧ - رجل من أمة التوحيد - أسلم على يده (٤٠٠٠) أربعة آلاف من الأجانب - دار الصحوة بالقاهرة (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).
- ٨ - أسماء القرآن وصفاته - ونبذة في مجتمع التراحم - مكتبة الاعتصام الإسلامي بالإسكندرية (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- ٩ - تسابيح نورس - في جزائر اللؤلؤ (شعر) دار الهدى بالإسكندرية (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).

١٠ - قمم إسلامية معاصرة - فى الدين والأدب والدولة - دار الاعتصام بالقاهرة (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).

١١ - قصة الفتى النصرانى الذى اهتدى - دار الراوى بالدمام (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).

١٢ - من أعلام الدعاة فى أوربا - العلامة الدكتور زكى على - مكتبة عالم المعرفة بجدة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).

١٣ - للحق والنهضة والجمال - (هذا الكتاب).

### ● مقالات وأبحاث منشورة :

- مقالات وأبحاث وحوارات وآثار صحافية فى المجلات العربية والإسلامية (المجاهد) المصرية و (البريد الإسلامى) المصرية و (الشاطئ) السكندرية، و (الأمة) القطرية و (منار الإسلام) الطيبانية و (الفيصل) السعودية.

- والصحف : (الجمهورية) المصرية و (الأهرام) و (الأخبار) القاهريتان و (النور) الإسلامية و (الأمة) القطرية و (الأمة الإسلامية) المصرية و (أخبار الخليج) و (الأيام) البحرينيتين، و (المدينة) الحجازية السعودية.

### ● محاضرات وندوات :

١ - رباعيات الخيام فى ميزان النقد الأدبى - قصر ثقافة طنطا (١٩٧٨/٩/٢٠ م).

٢ - رباعيات الخيام بين الحقيقة والانتحال فى (١٩٨٣/١٠/٢٧ م) بقصر ثقافة الحرية بالإسكندرية.

٣ - شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال (نشأته وثقافته) بقصر ثقافة الحرية بالإسكندرية (١٩٨٥/٦/٦ م).

٤ - موقف الدكتور محمد إقبال من التعليم فى العالم الإسلامى بجمعية الشبان المسلمين بالإسكندرية فى (١٩٨٥/١٠/٢٤ م).

## ● ندوات :

- ١ - فى الاحتفال بذكرى العقاد - الهيئات الثقافية بالإسكندرية (١٩٨٥م).
  - ٢ - الشيخ أحمد الجارم - قصر الحرية بالإسكندرية (١٩٨٥م/٦/٢).
  - ٣ - أزمة اللغة العربية فى الإعلام والتعليم - ملاحظات على طريق الإصلاح (سبتمبر ١٩٨٦م) بجمعية الشبان المسلمين بالإسكندرية مع هيئة الفنون والآداب.
  - ٤ - مهرجان الشعر والزجل والإلقاء بجمعية الشبان المسلمين وهيئة الفنون بالإسكندرية (١٩٨٦م/٦).
  - ٥ - مهرجان إقبال للشعر والزجل والإلقاء بجمعية الشبان المسلمين وهيئة الفنون بالإسكندرية (١٩٨٦م/١١).
- والمؤلف من المشتغلين بالتعليم والإعلام وهو عضو اتحاد كتّاب مصر - عضو اتحاد الكتاب العرب وعضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة وهيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وجماعة الأدب العربى بالإسكندرية.
- وقد شارك فى ندوة (العلامة الطرازى) بقسم الدراسات الشرقية بكلية الآداب - جامعة عين شمس (مارس ١٩٨٧م).
- وقد حاضر عن بعض مؤلفاته مثل (قضيتنا مع إسرائيل) و(عمر الخيام) و(مع إقبال) و(رجل من أمة التوحيد) فى المنتديات الأدبية فى القاهرة والإسكندرية والديوانيات العربية بالبحرين والخليج العربى.
- ناقش بعض الأعمال الأدبية والدواوين الشعرية بدعوة من جماعة الأدب العربى بالإسكندرية واحتلقت رابطة الأدب الحديث بالقاهرة بأحدث إصداراته فى أبريل ١٩٩٩م / برعاية وإشراف رئيسها العلامة الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى .

– عمل بالتدريس فى مجال تعليم اللغة العربية وآدابها بالمدارس الثانوية والمتوسطة بالإسكندرية والمنامة والدمام .

– أسس أول نادٍ أدبى للعناية باكتشاف المواهب الأدبية ورعايتها بمدارس الإسكندرية الثانوية ( ١٩٨٧ م ) ومدارس البحرين الثانوية ( ديسمبر ١٩٩٢ م ) .

– وهو متخرج فى قسم اللغة العربية – كلية التربية بجامعة الإسكندرية ١٩٧٩م بتقدير عام جيد جداً – وهو من أوائل دفعته المتميزة .

### ● وقريباً يصدر له :

( ١ ) فى منتدى الأدب .

( ٢ ) المقالات الأوربية ( فى المسألة الصهيونية ومواقف الأوربيين من الإسلام ) .

● وعنوانه : ص . ب ٢٢ سيدى جابر ٢١٣١١ – الإسكندرية

ت : ٥٧٢٥٤٦١ – فاكس : ٥٧٤٨٥٨٩ .

\* \* \*

# المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	- الإهداء
٥	- مقدمة
٩	● الباب الأول: في ظل البحوث القرآنية
١١	- الفصل الأول: في رحاب البركة
١٥	- الفصل الثاني: البركة في القرآن
٢٠	- الفصل الثالث: نبي الله يونس في القرآن والتوراة
٢٣	- الفصل الرابع: من أمراء الصبر والبلاء
٢٧	- الفصل الخامس: دعوة النبي يونس في بطن الحوت
٣٣	● الباب الثاني: في العقيدة والتيارات الفكرية المعادية
٣٥	- الفصل الأول: القرآن نور ودستور
٤٢	- الفصل الثاني: عبادة الشيطان وأفاقها في المجتمع الإنساني
٤٩	- الفصل الثالث: في رحاب الدعوة الإسلامية
٥٥	- الفصل الرابع: إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية !
٥٧	- التحدى الصهيوني الإسرائيلي إلى زوال
٥٩	- الفصل الخامس: من ثمرة التربية الصالحة
٦٦	- الفصل السادس: الإسلام يتحدى فلسفات العصر
٧٣	● الباب الثالث: في رحاب النهضة العلمية والتعليمية المعاصرة
٧٥	- الفصل الأول: في رحاب العلم والعلماء
	- الفصل الثاني: الشيخ محسن أحمد باروم: التريوى الرائد
٧٩	والأديب المثقف
٨٢	- الفصل الثالث: ذكريات وشجون تربية
٨٧	- الفصل الرابع: في أجواء مكة المكرمة والقاهرة في الأربعينيات
٩٢	- الفصل الخامس: طرائف من أدب الرحلة والسفر
٩٧	- الفصل السادس: التسامح وإنصاف الآخرين

## الموضوع

## الصفحة

- ١٠١ ..... - الفصل السابع: الوفاء والخلق الإسلامى العظيم
- ١٠٧ ..... ● **الباب الرابع: فى فلسفة الابتلاء والتطهير**
- ١٠٩ ..... - الفصل الأول: فى فلسفة الابتلاء والتطهير
- ١١٤ ..... - الفصل الثانى: مع حديث النفس المطمئنة
- ١١٩ ..... ● **الباب الخامس: أزمة التربية المعاصرة فى أوطان العالم الإسلامى**
- ١٢١ ..... - الفصل الأول: فى أزمة التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام
- ..... - الفصل الثانى: فى تاريخ الغزو التربوى والتعليمى والثقافى
- ١٢٨ ..... ووسائله وغايته
- ١٣٧ ..... - الفصل الثالث: واقع التربية الوافدة فى العالم الإسلامى
- ١٤٦ ..... - الفصل الرابع: التربية والتعليم والثقافة فى التصور الإسلامى
- ١٥٧ ..... ● **الباب السادس: فى ثقافة التغريب والتبعية والاحتواء**
- ١٥٩ ..... - الفصل الأول: الغزو الثقافى والتواصل المعرفى
- ١٦٥ ..... - الفصل الثانى: الدكتور محمد إقبال والاستلاب الثقافى
- ١٧١ ..... - الفصل الثالث: ثقافة التبعية والاحتواء
- ١٧٦ ..... - الاستعمار العقلى والتربوى
- ١٨١ ..... - الفصل الرابع: فى أزمة المثقفين تجاه الإسلام
- ١٨٦ ..... - مثقفون ومثقفون !!
- ١٩٠ ..... - فى أسباب أزمة المثقفين تجاه الإسلام
- ١٩٧ ..... - فى علاج أزمة المثقفين المستلبين
- ٢٠١ ..... ● **الباب السابع: شعراء وقصائد**
- ٢٠٣ ..... - الفصل الأول: مع ذكرى الإسراء والمعراج: أشعار وآمال وآمال
- ٢٠٦ ..... - معجزة الإسراء والمعراج فى عيون الشعر العربى
- ٢١٢ ..... - الفصل الثانى: قصيدة الشاعر الدكتور محمد إقبال (فى صقلية)
- ٢١٩ ..... - الفصل الثالث: الشاعر الدكتور عمر الجارم و(نعمة القرآن)
- ٢٢٥ ..... - الجارم والتجديد الشعرى المتطرف
- ٢٢٩ ..... - مع قصيدة (نعمة القرآن)

- الفصل الرابع: مع الشاعر الحكيم الدكتور محمد إقبال  
 ٢٣٥ ..... وقصيدة (حديث الروح)
- **الباب الثامن: نجوم في سماء الأمة الإسلامية في العلم والأدب والدعوة والإعلام**  
 ٢٦١ ..... - الفصل الأول: نجمان في سماء العلم وآداب الشعوب الإسلامية  
 - العلامة الدكتور حسين مجيب المصري  
 ٢٦٣ ..... والبرفسور نصر الله الطرازي  
 - الفصل الثاني: العلامة مبشر الطرازي الحسيني -  
 ٢٧١ ..... الداعية الأديب والزعيم المجاهد  
 ٢٧٧ ..... - الفصل الثالث: خطاب الشاعر الدكتور محمد إقبال لأمة العرب ..  
 - الفصل الرابع: الداعية المهندس محمد توفيق بن أحمد سعد  
 - بلّغ الإسلام لآلاف من مثقفي العالم وأسلم  
 ٢٨٣ ..... على يده (٤٠٠٠) أربعة آلاف من الأجانب ...  
 - الفصل الخامس: ورحل الطبيب الرائد والشاعر الإنسان  
 ٢٩٣ ..... - الأستاذ الدكتور عمر الجارم في ذمة الله  
 - الفصل السادس: ورحل رئيس تحرير (الاعتصام)  
 ٣٠١ ..... - الدكتور محمد أحمد عاشور في ذمة الله  
 - الفصل السابع: الشيخ أحمد عيسى عاشور  
 ٣٠٤ ..... - الداعية المبارك والإعلامي الرائد  
 - الفصل الثامن: الطبيب الداعية الدكتور زكي على  
 ٣١٠ ..... - مؤمن بكت لرحيله السماء والأرض !!  
 - الدكتور زكي على وسبعون عاماً في خدمة العلم  
 ٣١٦ ..... والإسلام  
 - الفصل التاسع: المجاهد الشهيد عمر المختار  
 ٣٢٤ ..... - مثلٌ بديعٌ في الجهادِ كريمٌ
- خاتمة .....  
 ٣٢٧ .....  
 ٣٢٩ ..... للمؤلف .....  
 ٣٣٣ ..... المحتويات .....

رقم الإيداع: ٢٣١٢/٢٠٠٠  
I.S.B.N. : الترقيم الدولي  
977 - 225 - 193 - 4

أميرة للطباعة

٥ شارع محمود الخضري - عابدين  
ت: ٣٩١٥٨١٧ محمول: ٠١٠١٤٥٦٠٣٧